

معسكر
المجتمع والتاريخ



تنسيق : أ.د. عبيد بوداود

مدير مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

جامعة معسكر





منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر - الجزائر



جامعة معسكر

معسكر: المجتمع والتاريخ

تنسيق: أ.د. عبيد بوداود
مدير مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

1435هـ/ 2014م

منشورات مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر - الجزائر



الطبعة الأولى

2014-1434



مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع - الجزائر

شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر

الهاتف والفاكس: 048 54 66 07

الهاتف: 040 41 17 96

المحمول: 07 73 394265

Edition Rached

Sidi Bel Abbes

Algerie

Tél: 040 41 17 96

Tél Fax: 048 54 66 07

Port: 07 73 394265

Email: ahmedd.2009@yahoo.fr

الإيداع القانوني 2014-2904



9789947650141

تقديم كتاب "معسكر: المجتمع والتاريخ"

احتفاء بالذكرى الخمسين لاستقلال الجزائر، ارتأى **مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بجامعة معسكر**، تخليد الذكرى بتأليف كتاب جماعي حول تاريخ منطقة معسكر عبر مختلف العصور، وقد أطلق على هذا الكتاب عنوان:" **معسكر: المجتمع والتاريخ**". وكان يروم من وراء هذه المبادرة المساهمة في كتابة التاريخ الوطني، وبالخصوص تاريخ منطقة معسكر. ...

أصبح الاهتمام بالتاريخ المحلي، من أهم فروع الدراسات التاريخية حاليا، وعلى اعتبار أن منطقة معسكر سجلت حضورها القوي في تاريخ الجزائر بمختلف حقبه، فهي جديرة بالاهتمام والدراسة. إن منطقة معسكر بحكم ما حباها الله به من طيب التربة، واعتدال المناخ، وتوفر المياه، شكلت موطنا لاستقرار أقدم السلالات البشرية، وما وجود بقايا عظام أقدم إنسان في شمال إفريقيا بالمنطقة، أو ما اصطلح عليه لاحقا بإنسان تغنيفي إلا دليلا على ذلك، كما عرفت المنطقة تجمعات بشرية منذ فجر التاريخ، وبداية التاريخ القديم، وتأسست بها عدة مدن على العهد الروماني والفترات التي أعقبته. وخلال العهود الإسلامية، شارك أهل المنطقة بفعالية في صناعة تاريخ الجزائر خلال العصر الوسيط. وبرز دور المنطقة أكثر خلال العهد العثماني حينما تحولت معسكر إلى عاصمة لبايلك الغرب، ثم ساهمت في مطلع القرن التاسع عشر بفعالية في مقاومة الاحتلال الفرنسي بقيادة الأمير عبد القادر الجزائري. وتواصل دور المنطقة في دحض مشاريع الاحتلال الفرنسي

وسياسته الاستيطانية البغيضة، وحينما قامت ثورة أول نوفمبر 1954، كان أهل المنطقة من أوائل من انخرط في الثورة، ولبى نداء الوطن.

تم إعلان مبادرة هذا التأليف الجماعي على أوسع نطاق، وأمهل الساهرون على تجسيده الراغبين في المشاركة فيه ما يربو على السنتين، ورغم الوعود التي تلقيناها من عدة باحثين، لكننا مع الأسف لم نتلق في الأخير، إلا عددا محدودا من الإسهامات، ورغم ذلك أمضينا في تجسيد المشروع.

يشتمل هذا التأليف على خمسة عشر مقالا، مست أغلب مراحل تاريخ المنطقة، ابتداء من التاريخ الوسيط الإسلامي، وانتهاء بتاريخ الثورة. ولقد رتبت هذه المقالات لاعتبارات فنية، حيث راعينا في عرضها التسلل الزمني للأحداث.

في ختام هذا التقديم، نغتنم الفرصة لنتقدم بالشكر الجزيل والامتنان الخالص لكل الباحثين الذين ساهموا في هذا التأليف، ونأمل أن تساهم هذه المبادرة في ظهور مبادرات أخرى تهتم تاريخ منطقة معسكر، أو مناطق أخرى من ربوع الوطن.

منسق الكتاب: أ.د. عبيد بوداود
مدير مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية
معسكر يوم: 10 ماي 2014

معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية

أ.عبيد بوداود، جامعة معسكر

مقدمة:

تعتبر منطقة معسكر، أو ما اصطلح عليه بمنطقة الراشدية في العصر الوسيط، من أقدم المناطق التي استقربها الإنسان وعمرها، وذلك منذ ما قبل التاريخ، بدليل العثور على بقايا عظام إنسان ما قبل التاريخ في المنطقة - منطقة تغنيف- أو ما اشتهر بإنسان تغنيف، والذي يعد أقدم إنسان في شمال إفريقيا، مرورا بالتاريخ القديم، وبقية العصور التاريخية. إن هذا الحضور البشري المتواصل بالمنطقة عبر كل العصور، دليل على توفر المنطقة على بيئة طبيعية مناسبة من حيث اعتدال المناخ، وتوفر مصادر المياه، وتنوع التربة وغناها، وهي العوامل التي شجعت الإنسان على الاستقرار وتعمير المنطقة. لقد حاولنا أن نسجل حضورنا في هذا المؤلف الجماعي الذي بادرنا بإنجازه والإشراف عليه، والذي يحمل عنوان معسكر: المجتمع والتاريخ، من باب الوفاء للمنطقة ورجالها، وإسهاما منا في كتابة تاريخها. وبعد أخذ ورد، استقر رأينا على موضوع: معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية.

تشير مختلف المصادر الجغرافية العربية، وكتب الرحلات في العصر الوسيط، إلى بلدات وقرى تابعة لإقليم الراشدية، سواء منها المصادر المتقدمة أو المتأخرة، وتقدم عنها أوصافا تتقاطع في الكثير منها مع بعضها البعض. وتوحي هذه الأوصاف أن هذه القرى والبلدات كانت سابقة في الوجود عن العهد الإسلامي، أي تأسست في

التاريخ القديم، بعضها ازدهرت في العصر الوسيط الإسلامي، وتعززت مكانتها، والبعض الآخر تراجعت مكانتها، ووصلت إلى حد الاندثار، وذلك تبعا لتأثير الظروف السياسية والأمنية، والصراع بين الدول والإمارات التي حكمت المنطقة. سوف نحاول في هذا المقال التطرق إلى بلدتين اشتهرتا في العصر الوسيط، وأشارت إليهما مختلف المصادر الجغرافية، ونعني بهما: إفكان ومعسكر، متعرضين إلى المعلومات التي حملتها هذه المصادر، وتقويم مدى أهميتها.

أولا: إفكان

وصفتها المصادر الجغرافية بالمدينة، وقدمت عنها معلومات هامة تتنوع بين المعلومات الجغرافية والعمرانية والتاريخية، وإن كانت تلك المعلومات تتكرر في أكثر من مصدر جغرافي، وهذه الملحوظة تنسحب على أغلب المصادر الجغرافية، فهي في الغالب تنقل عن بعضها البعض، وتستمر نفس المعلومات في التداول بينها، وفي بعض الأحيان لعدة قرون، خاصة إذا علمنا أن بعض الجغرافيين والرحالة لم يزوروا المنطقة، واكتفوا بالنقل عمن سبقهم، دون أن يحدثوا أو يحينوا معلوماتهم. أول مصدر جغرافي تعرض إلى إفكان، هو كتاب صورة الأرض، ومما جاء في وصف المدينة ما يلي:" وإفكان مدينة لها أرحية، وحمامات وقصور وفواكه، وكانت ليعلى بن يحمد، ذات سور من تراب في غاية الارتفاع والعرض، وواديها يشقها بنصفين...ولإفكان على واديها أعمال عريضة، وأجنة ومزارع."[1]

كما ورد ذكرها عند أبي عبيد البكري، الذي قدم عنها معلومات بأكثر استفاضة:" وعلى مرحلتين من اسلن مدينة فكان بينهما نهر سي وعليه المنزل في المرحلة الأولى ومدينة فكان كانت سوقا قديمة من أسواق زناتة، فمنها

[1] ابن حوقل النصيبي أبو القاسم، صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، دون تاريخ، ج1، ص 89.

يعلى بن محمد بن صالح اليفرني. وكان ابتداء تأسيسه لها سنة ثمان وثلاثين وثلاث مائة. وارتحل إليها أهل المعسكر من أهل تاهرت ويلل وشاطئ بني واطيل ووهران وقصر الفلوس، فغمرت وتمدنت وعظمت، وهي في سفح جبل أوشيلاس، وهو بجوفيها، ولهذا الجبل شعراء غامضة، وبقبلها نهر سيره ومنبعه من عيون بشرقيها عليه الأرحاء والبساتين من كلا ضفتيه، وبغربي فكان أسفل بساتينها مجمع الأودية، وادي يسره، ووادي هنت. وعلى مدينة فكان سور طوب، وبها جامع وحمام وفنادق. وبين هذا الحصن وحصن مرنيسة البير ثلاثة أميال..." .[1]

أما المصادر الجغرافية المتأخرة، فأوردت معلومات مقتضبة منقولة عن المصادر المتقدمة، وهذا ما يظهر في كتابات أبي عبد الله الشريف الإدريسي الذي يقول بشأنها:" وأفكان هذه مدينة كانت لها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة، وكان عليها سور تراب، لكنه الآن تهدم وبقي أثره، ووداديها يشقها نصفين، ويمضي منها إلى تاهرت"[2]. أماعبد المنعم الحميري فيذكر عنها:"مدينة بين تلمسان وتنس، وبها أرحاء وحمامات وقصور كثيرة، وعليها سور تراب تهدم وبقي الآن أثره، ووداديها يشقها بنصفين، ويمضي منها إلى تيهرت". [3]

---

[1] أبو عبيد البكري (ت487هـ)، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، مكتبة المثنى، بغداد، دون تاريخ، ص 79.

[2] القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق لأبي عبد الله الشريف الإدريسي، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 151-152.

[3] الحميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 51.

إن رسم اسم المدينة تراوح في المصادر السالفة الذكر بين "فكان" و"إفكان" و"أفكان"، وذلك تبعا لاجتهاد الناشرين لهذه المصادر في قراءة نصوصها، ونشير على أن بعض تلك المصادر لم يحقق تحقيقا علميا، وإنما نشرت نصوصها فقط، وهي بحاجة إلى إعادة تحقيق، بالإضافة إلى تفعيل الأبحاث الأثرية التي سوف يكون لها الدور الحاسم في مراجعة العديد من الحقائق التاريخية. وما يمكننا استنتاجه مما ورد في هذه المصادر الجغرافية أن مدينة إفكان، كانت مدينة مستبحرة في العمران، بدليل توفرها على عدد من القصور والأرحاء والحمامات، وهو ما يبين أن عدد سكانها كان كبيرا. ومما ساعد على استقرار السكان بها توفرها على طبيعة غنية بأرضها الخصبة ومياهها المتدفقة واعتدال هوائها.

والظاهر أن موقع إفكان كان قبل العهد الإسلامي مدينة رومانية، لكنها اندثرت وخربت بسبب الحروب، ثم بعثت من جديد على يد قبيلة زناتة البربرية، وتوسعت إلى أن أصبحت مدينة كبيرة على عهد يعلى بن محمد بن صالح اليفرني الذي بدأ في اختطاطها سنة **338**هـ " ومع بداية القرن **10**م (سنة **909**م) انتزعت قبائل بني يفرن منطقة معسكر من مغراوة، وفي هذه الأثناء أسس يعلى الإفريني قرية عين فكان على أنقاض ألاميليريا ALAMILIRIA الرومانية، وذلك في سنة **935**م، واستغل أراضيها في المجال الزراعي."[1]

[1] عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، دار الخلدونية، ط1، 2005، ص 50.

لكن المدينة لم تستطع أن تحافظ على ازدهارها، بسبب الصراع الفاطمي الزناتي، حيث تمكن القائد الفاطمي جوهر الصقلي من احتلالها وتخريبها" أما جوهر الصقلي القائد الفاطمي، فقد اتخذ من معسكر (الراشدية) قاعدة للقضاء على ثورة زناتة، ومنها أغار على قرية إفكان وخربها نهائيا، وبمقتل يعلى الإفريني على يد جيش القيروان سنة **958**م، فر سكان إفكان باتجاه الصحراء".[1]

وبالتالي أنهى حقبة مزدهرة، وتفرق سكانها في الصحراء بعدما كانت تستقبل وتضم سكان عدة مدن وبلدات من المغرب الأوسط، هجروا إليها زمن استقرارها ورخائها.

ثانيا: معسكر

أما عن معسكر، فالمعلومات عنها في كتب الرحالة والجغرافيين مقتضبة، وتتفق على تسميتها في الغالب بالقرية العظيمة، وهذا لا يحط من شأنها، كون أن القرية في العصر الوسيط، وما قبله كانت تعني المدينة كذلك، ومما جاء في وصفها في كتاب صورة الأرض:"...المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وأشجار وفواكه"[2] . أما عند الشريف الإدريسي، فيقول عنها:" والمعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار، ومنها إلى جبل فرحان مارا مع أسفله إلى قرية عين الصفاصف، وبها فواكه كثيرة وزروع ونعم دارة"[3]

---

[1] نفسه، ص51.

[2] ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[3] لقارة الإفريقية' المصدر السابق، ص 152.

وعلى خلاف مدينة إفكان التي اندثرت في منتصف القرن العاشر الميلادي، ولم تقم لها قائمة بعد ذلك، فإن مدينة معسكر ظلت قائمة، وحافظت على مكانتها ضمن إقليم الراشدية. وفي نهاية العصر الوسيط اعتبرها حسن الوزان ثاني أهم قرية في إقليم بني راشد بعد قرية هوارة، ومما جاء في وصفها:" وبها يقيم خليفة الملك (يعني به ملك تلمسان) مع فرسانه، يعقد فيها سوق كل يوم خميس يباع فيه عدد وافر من الماشية والحبوب والزيت والعسل، كثير من منسوجات البلاد وأشياء أخرى أقل قيمة، كالحبال والسروج والأعنة وحاجيات الخيل. ولما كنت في هذه الناحية اتفق أن ذهبت إلى السوق لشراء بعض ضروريات السفر الذي كنت أقوم به إذ ذاك إلى تونس. وصلت إليه ممتطيا فرسي وأول ما اشتريته حبال خيام. وبعد أن فرغت من شرائي وضعت رجلي اليسرى على عنق الفرس حتى أستطيع تعداد مالي على ركبتي وأطلقت العنان والتفت لأؤدي ثمن ما اشتريت، ثم استقمت ووضعت الرجل في الركاب. لكنني لم أجد العنان عندما أردت إمساكه، فنظرت هنا وهناك ثم ناديت الخادم ليقود مطيتي إلى المنزل، وإذا بسيافين من خدام الملك أتيا وقالا لي: يا سيدي، لقد سرق عنانك بغلان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا، فرأينا هو أخذناه منهما بالقوة فانظر هل سرقا لك شيئا آخر. بعد ذلك اشتريت كل ما كنت محتاجا إليه وعدت إلى المنزل، وقد حكيت هذه القصة لنائب الملك أثناء تناولنا الغداء، فقهقه ضاحكا وقال: لا تستغرب إذا ما قلت لك إننا نعاني كثيرا لنجد أناسا يعملون كبغالين، لأنها مهنة وضيعة وشاقة، بالإضافة إلى الأجرة التافهة التي ندفعها لهم والتي لا تكفيهم قطعا. فسواء

ربحوا كثيرا أو قيلا جدا، وسواء استأجرتهم أنا أو استأجرهم غيري، فإنهم يسرقون دائما، لأن كافة البغالين ببلادنا تعودوا على ذلك منذ طفولتهم، فنتركهم يسرقون وتعسا لمن لا يحترس منهم. يقدم هذا الإقليم للملك تلمسان زهاء خمسة وعشرين ألف مثقال، ويمده بنفس العدد من المقاتلين بين راجلين وراكبين".[1]

ومن خلال ما جاء في نصوص الرحالة والجغرافيين عن مدينة معسكر، يتبين أنها كانت مدينة كبيرة، غنية بالمواد الزراعية والحرفية، وسوق التجارة فيها رائجة. وكان أهلها مياسير، بدليل ما كانت تدفعه المدينة من ضرائب وأتاوات إلى ملوك الدولة الزيانية في تلمسان، وهذا ليس مستغربا على مدينة تعيش في محيط طبيعي غني جدا، وسكانها معروفون بالمثابرة وحب العمل.

لقد ظلت مدينة معسكر من أهم مدن الدولة الزيانية تمدها بالمال والرجال للدفاع عن حياضها، ولما انهارت مملكة الزيانيين، وجاء العثمانيون إلى الجزائر، تعززت مكانة مدينة معسكر إلى أن أصبحت عاصمة بايلك الغرب الجزائري. ولما بدأت الحملة الاستعمارية الفرنسية على الجزائر في بداية القرن التاسع عشر، هب أهل معسكر للدفاع عن وطنهم بقيادة ابنهم البار الأمير عبد القادر الجزائري، الذي حمل لواء الجهاد لطرد الغزاة وتحرير البلاد.

خاتمة:

[1] الوزان الفاسي الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، الجزء الثاني، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، الرباط، 1983، ص 26-27.

تعتبر كتب الرحالة والجغرافيين العرب والمسلمين من أهم المصادر التي يمكن الاستعانة بها لكتابة تاريخ منطقة بني راشد في العصر الوسيط، وعلى الرغم من أن المعلومات التي توردها عن المنطقة قليلة في عمومها، وهي تتشابه مع بعضها البعض رغم تباعد الفترة الزمنية لكتابة هذه المؤلفات، إلا أن ثمة معلومات يمكن توظيفها والاستئناس بها، لاسيما ما تعلق منها بالمعلومات الجغرافية مثل أسماء الأنهار والوديان والعيون، وأسماء السهول والجبال والغابات، والعمرانية كأسماء الأسوار والأرحاء والقصور والحمامات والفنادق، والاقتصادية كالإنتاج الحيواني والنباتي والحرفي، وهذا ما يساعد على كتابة تاريخ المنطقة سواء التاريخ الاقتصادي أو التاريخ الاجتماعي لما تحمله تلك المصادر من معلومات قيمة، لكن لا يمكن المراهنة فقط على هذا النوع من المصادر لوحده في كتابة تاريخ المنطقة ما لم يعزز بأنواع أخرى من المصادر المكملة **موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني**

موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني

د. محمد بوشنافي، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس

لم يعرف علماء المسلمين منذ العهود الأولى الفصل بين الوظيفة العلمية والتعليمية وشؤون السياسة والحكم وغيرها من مصالح المسلمين، وذلك اقتداء بالرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- الذي بلغ عن ربه سبحانه وتعالى كما تولى شؤون الحكم واهتم بتربية المجتمع وتكوينه على أساس قويم، وتواصل هذا الأمر في عهد الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم. ولم يختلف الوضع في الجزائر خلال العهد العثماني، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من الخلافة الإسلامية، فكان علماؤها يتقنون شتى أصناف العلوم العقلية والنقلية كالفقه والأدب والرياضيات، وفي نفس الوقت نجدهم يخوضون في قضايا السياسية والمجتمع، معتبرين أنفسهم أصحاب رسالة ومهمة إنسانية غايتها الأسمى إصلاح أحوال الحاكم والمحكوم. وتحصي مصادر التراجم والسير عددا لا يحصى من علماء الجزائر آنذاك الذين تدخلوا في المجالات السابقة الذكر، خاصة وأن الأوضاع العامة للجزائر خلال ذلك العهد أجبرتهم على عدم الوقوف على الحياد، فهي فترة حراك سياسي وعسكري واجتماعي داخليا وخارجيا، ونلمس ذلك من خلال اضطراب نظام الحكم وتزايد الاعتداءات الخارجية التي قادها " الكافر" ضد دار الإسلام، مما جعل هؤلاء العلماء يحثون أصحاب السلطة والمجتمع على الجهاد لصد الأعداء وحماية الأعراض والممتلكات، يضاف إلى ذلك

الاضطرابات والثورات الداخلية ضد نظام الحكم مثل ثورات الطرق الصوفية في أواخر العهد العثماني والتي سببت انقساما في مواقف العلماء تجاهها. إن من بين الإشكاليات التي تواجه الدارس لواقع العلم والعلماء بالجزائر خلال العهد العثماني، طبيعة العلاقة بين رجال العلم والسلطة السياسية آنذاك، فلا يمكننا أن نجزم بأن كل علماء الجزائر تدخلوا في السياسة وتقربوا من الحكام لأغراض مختلفة، ولكن المصادر تطلعنا على أسماء عديدة ممن ابتعدوا عن السياسية وهمومها، وركزوا كل اهتمامهم على التأليف والتدريس، ولم يجروا وراء المناصب الشرعية كالقضاء والفتوى وغيرها، وفي أحيان أخرى نجد منهم من يعارض العثمانيين ويناصبهم العداء، ومن هذا المنطلق يمكننا أن نصنف علماء ذلك العهد إلى ثلاثة أصناف:

- صنف تدخل في السياسة وتقرب من رجالاتها لأهداف مختلفة، نحصرها في الهدف المادي من خلال السعي للحصول على المناصب وبالتالي الابتعاد عن الفاقة والحاجة، أو لأهداف دينية باعتبار أن العثمانيين أهل فضل على الجزائريين لما خلصوهم من أعدائهم و بالتالي وجبت طاعتهم وتقديم النصح لهم، فعائلة قدورة تولت وظائف الإفتاء والقضاء المالكي بمدينة الجزائر لفترة طويلة من الزمن، وكذا الحال لعائلتي الفكون وابن باديس بقسنطينة.

- صنف أعلن معارضته الصريحة لهم، ووصل الحد ببعضهم أن حمل السلاح ضدهم، كالشاعر سعيد المنداسي الذي هجاهم لما هاجر إلى المغرب، أو سليمان الأوراسي الذي نال الحظوة لدى بايات

قسنطينة، مما جلب له حسد أقرانه من العلماء الذين وشوا به لدى الحكام متهمين إياه بتدبير انقلاب والاستيلاء على الحكم، فلجأ مع أخيه أبي العباس إلى جبال الأوراس، ومن هناك قادا ثورة ضد العثمانيين، انتهت بمقتل سليمان على يد إحدى الفرق التي تحالفت معه (الفكون، ع.1987: 54-55).

- صنف وقف على الحياد، فابن حمادوش كان يسترزق من ممارسة التجارة، وكذا الحال مع العالم المقايسي الذي امتهن حرفة صناعة الأساور. ومن المناطق التي تبرز فيها هذه المواقف بشكل جلي نجد بايليك الغرب، وذلك بسبب وضعيته المتميزة التي تظهر في التواجد الإسباني في وهران والمرسى الكبير إلى غاية 1791، يضاف إليه القرب من المغرب الأقصى الذي كان في صراع دائم مع الحكام العثمانيين، وتغير مواقف قبائل المنطقة بموالاتهم للعثمانيين تارة ومعاداتهم تارة أخرى، وأمام ذلك كان لعلماء المنطقة مواقف بارزة من أحداث عصرهم، وبالخصوص علماء معسكر التي كانت لوقت من الزمن عاصمة لبايليك الغرب، كما اعتبرت مركزا علميا هاما جلب إليه العديد من العلماء، خاصة في عهد الباي محمد الكبير محرر وهران من الاحتلال الإسباني معتمدا في ذلك على جيش من العلماء والطلبة، هذا إلى جانب تقريبه لهؤلاء وبناء المؤسسات العلمية كالمدرسة المحمدية بمعسكر وتوفير الكتب وتخصيص الأوقاف للنفقة على أهل العلم و مؤسساته .

إن ما يهمنا في هذه الدراسة إبراز مواقف علماء معسكر من بعض القضايا الهامة والمصيرية التي عاشتها الجزائر آنذاك، مع

تبيان الدوافع والأسباب التي كانت وراء ذلك، وخاصة خلال الفترة المتأخرة من هذا العهد المليئة بالصراعات والأحداث الجسام، غير أنها في نفس الوقت لا تخلو من الانتصارات والانجازات، فلم يقف علماء معسكر موقفا حياديا، بل أدوا واجبهم الديني بإبراز مواقفهم بكل وضوح.

- موقفهم من السلطة العثمانية

إن من بين القضايا التي ركز عليها علماء معسكر آنذاك، الموقف من السلطة العثمانية، فتذكر المصادر أن كثيرا منهم كانوا مقربين من البايات لأنهم كانوا من المساندين والمدعمين للعثمانيين، ونلمس ذلك من خلال توليهم للوظائف الرسمية وخاصة الشرعية منها، وما خلفوه من كتابات تمجد الأتراك العثمانيين وتعدد انتصاراتهم وانجازاتهم. فمن بين العائلات التي نالت حظوة ومكانة لدى بايات المنطقة، نجد عائلة المشارف التي تولى بعض أفرادها المناصب الشرعية، وبقوا على ذلك الحال حتى في عهد الأمير عبد القادر، ويأتي على رأسها العالم عبد القادر المشرفي الذي كان من المقربين لدى أصحاب الحكم، رغم أنه رفض وزهد في تولي المناصب التي عرضت عليه، يقول عنه تلميذه أبو راس أنه " قليل التردد على الأمراء، فضلا عمن دونهم من القواد والوزراء، فكسب بذلك احترام أهل الحكم والسياسية " (أبو راس ،ن.1990: 53)، كما أنه كان محل مشورتهم يلجؤون إليه لحل الكثير من القضايا المستعصية التي تواجههم " يخضعون له القضاة و سائر الولاة، ويهبونه ويرجعون إليه ودأبهم تعويلهم عليه في مهمات الدين وفي مصالح عباد الله

المهتدين، وعرض عليه القضاء مرارا فلم يلتفت إليه، ولا عرج عليه" (أبو راس،ن.1990: 53). أما ابنه الطاهر المشرفي، فعلى العكس من أبيه، تولى منصب القضاء على عهد العثمانيين، وهو نفس المنصب الذي تولاه محمد بن عبد الله مصطفى سقاط المشرفي (ابن المختار، غ. 1961: 332-333). ولعل من أبرز من أعلنوا ولائهم للعثمانيين وأصبغوا وجودهم في الجزائر بصبغة شرعية، نجد الحافظ أبو رأس الناصر المعسكري الذي عايش مرحلة حاسمة وخطيرة من تاريخ الجزائر العثمانية، فهو يرى أن العثمانيين لهم فضل كبير على الجزائر لأنهم قدموا الكثير لسكانها منذ قدومهم وصدوا عنها كل الأخطار التي كانت تهددها، ونلمس هذا الموقف من خلال ما كتبه في مؤلفاته عن هذا الموضوع، فهو يؤرخ لقدومهم إلى الجزائر وكيفية استقرارهم، ويبين أن ذلك كان استجابة لطلب النجدة الذي أرسله السكان إليهم " ولما رأى العالم الصالح الإسبانيين على سواحل المغرب الأوسط كتب إلى السلطان سليم العثماني، فبعث جندا من الترك نظير خير الدين بن حسن باشا، فاستوطنوا الجزائر التاريخ المار(أي 923هـ) وجعلوها دار ملكهم وكرسي عملة المغرب وحاربوا النصارى في برج المرسى حتى فتحوه سنة ثمان وأربعين من المائة العاشرة" (أبو راس،ن.2002: 510). ونفس الرأي يذهب إليه ابن سحنون الراشدي الذي كان من المقربين من الباي محمد الكبير وساهم في فتح وهران الثاني، فنجده بدوره يقر بالأعمال الجليلة التي أداها العثمانيون تجاه الجزائر، وأنهم أنقذوا السكان من خطر " الكفار" " ولما قتل عروج و أخوه- يعني إسحاق- بقي ثالثهما الأجل – أي خير الدين- يصادم الكفرة

ويدافعهم عن الجزائر ويلاقيهم في البحر فيشتت شملهم ويفل ويغنم سفنهم ويسبي أهلها" (ابن سحنون،ر. 1973: 440-441). أما عن خروجه من مدينة الجزائر في عام 1521 فيؤكد أنه قام بذلك مضطرا بسبب مالاقاه من سكانها، فلما انهزم أمام أحمد بن القاضي لجأ إلى جيجل، وهناك يذكر ابن سحنون أن خير الدين رأى في منامه الرسول –صلى الله عليه وسلم- " يعاتبه على تركه الجزائر ويشوقه إليها" (ابن سحنون، ر. 1973: 441). كما يرجع إليهم الفضل في استتباب الأمن والاستقرار في أرجاء الإيالة وإنهاء كل الحركات التمردية التي كانت تعيشها المنطقة قبل مجيئهم، فلم تبق إلا سلطة واحدة تحكم البلد، إنها سلطة العثمانيين " فدوخوا عصاتها ودانت لهم أهلها، فانقطعت عروق الفتن، وذهبت مواد الشقاق ولم يبق بها صائل غيرهم، ولا ثائر من سواهم، واختصروا ما كان يكثر غيرهم لطلب الملك من الثورة بالقبائل، وإقامة الحروب وإثارة الفتن الجلائل" (ابن سحنون، ر. 1973: 441-442). ومما لا شك فيه أن هؤلاء العلماء الذين ساندوا العثمانيين، نالوا الحظوة والمكانة المرموقة لدى رجال الحكم، فتولوا الوظائف الشرعية وأصبحوا محل احترام وتقدير من قبلهم، ومن بين هؤلاء الحافظ أبو راس الذي تولى وظيفة الإفتاء ثم القضاء والخطابة، غير أنه عزل منها في عام 1211هـ/ 1796-1797م(أبو راس، ن.1990: 24).كما أنه كان من المقربين من الباي مصطفى الذي ثار عليه ابن الشريف الدرقاوي، وكان هذا الباي قد بنى له مكتبة بمعسكر سميت " بيت المذاهب الأربعة" "وقد بناها الملك الأصفى، والخليل الأوفى، والمحب الأضفى، السيد الباي مصطفى" ، ولما قتل هذا الباي في موقعة فرطاسة عام

1805 تأثر أبو راس كثيرا لذلك. وعندما نوى إعادة ترميمها وتجديدها أمده الباي محمد بن عثمان بمبلغ من المال قدره مائة ريال، ونفس الباي جهزه بكل ما يحتاج إليه لما نوى السفر لأداء فريضة الحج ، وعند عودته في عام 1227هـ/1812م قدم إليه مائة محبوب (أبو راس،ن. 1990: 75-76). وكان العلماء المساندين للعثمانيين القوة الأساسية التي اعتمد عليها الباي محمد الكبير(1779/1796) في فتح وهران، حيث منحهم مناصب القيادة وحرية التصرف مع جيش الطلبة في داخل الرباط، لأن هؤلاء كانوا يقدرون شيوخهم ويكنون لهم احتراما كبيرا، فمثلا عين محمد بن عبد الله الجلالي المسؤول الأول على الرباط، وكان قبل ذلك يشرف على المدرسة المحمدية بمعسكر، كما كلف محمد المصطفى بن زرفة الدحاوي، كاتبه الخاص، بتسجيل كل الوقائع أثناء الفتح وتقييد المؤن والأرزاق التي تصل إلى الطلبة، يذكر ابن سحنون ذلك في قصيدة مما جاء فيها (ابن سحنون،ن.1973: 228):

ورتب المرابطين في الجبل — من كل حبر عن هوى الموت جبل
وكل مقدام همام و بطل — منذ بدى باد الضلال و بطـــــل
مؤمرا لشيخنا الجـــلالي — محمدا لأحــــق بالإجــــــــلال

ولما كان الباي محمد الكبير يحاصر الإسبان في مدينة وهران عام 1791م، أرسل قاضي محلته وكاتبه السيد محمد بن هطال بهدية إلى ملك المغرب مكلفا إياهما بشراء ما أمكن من أسلحة لمواصلة الحصار، ومن هناك توجه ابن هطال إلى جبل طارق حيث رجع بعدما أحضر معه "مائتي قنطار وخمسين من البارود" (ابن

سحنون، ر. 1973: 247). وإذا كان هؤلاء العلماء قد أعلنوا ولائهم للسلطة العثمانية، فهناك صنف آخر نظر إلى هذه السلطة نظرة مغايرة معتبرا أنها أنهكت السكان بشتى أنواع المظالم، ومن هؤلاء الشيخ محي الدين والد الأمير عبد القادر، الذي كان المشرف على الزاوية القادرية بمنطقة القيطنة، وكان هذا الأخير قد تعرض لاضطهاد الباي حسن، آخر بايات الغرب، حين ألقى عليه القبض واستقدمه إلى وهران حيث قام بسجنه مع ولده عبد القادر، ولم يشفع له لدى الباي إلا تدخل أحد أعيان المخزن، فخففت عقوبته إلى الإقامة الجبرية في وهران (المزاري، ب.1990: 361)، فكان من نتائج هذه الحادثة أن وقف الشيخ محي الدين موقفا محايدا لما غزت فرنسا المنطقة، ولم يهب لمساعدة الباي حسن في مواجهة العدو كما كان عليه الحال مع رجال الزوايا سابقا، وحتى ابنه عبد القادر كان له موقف مماثل من العثمانيين لما تولى قيادة المقاومة حيث......(سعيدوني...).

إن السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح يكمن في الأسباب التي دفعت العثمانيين إلى تغيير موقفهم تجاه العلماء، وبالخصوص علماء معسكر الذين كان لهم فضل في جهاد الأسبان وفي فتح وهران، وقد نجد عذرا لهؤلاء لما نعلم بأن تلك الثورات التي اندلعت في مطلع القرن التاسع عشر اتخذت طابعا دينيا، وهذا ما جعل الحكام العثمانيين يتوجسون خيفة من كل رجل دين، وفرضوا عليهم رقابة شديدة خوفا من أن يثوروا عليهم مرة أخرى، وبرز هذا القمع للعلماء بشكل جلي في عهد الباي حسن الذي "كثر ظلمه وغضبه وغيظه وغصبه وعبثه بالرعية"

(المزاري، ب. 1990: 349)، كما أنه " اجترأ على العلماء و الأولياء والشرفاء والرعية فبان منه الجور والظلم والتعدي، وكثر منه الضلال وهتك المحارم والتردي، وطغا وتجبر وتكبر وكثر منه الفساد والسفك بغير موجب لدماء العباد"(المزاري، ب. 1990: 350). ومن علماء معسكر الذين عاصروا أواخر العهد العثماني وكان لهم موقف معارض من السلطة آنذاك نذكر أبا حامد المشرفي، ونلمس ذلك من خلال دعمه للثورة الدرقاوية التي اعتبرها مخلصة للسكان من ظلم العثمانيين " وذلك أنه لما اشتدت شوكة الأتراك وما لقت الناس من كثرة الظلم ...دعوا الله في سواد الليل أن ينجهم من ذلك الويل" (أبو حامد، م. ورقة 196)، فهو يرى أن الله بعث عبد القادر بن الشريف الدرقاوي كمنقذ ومخلص للسكان من هذا الحيف الذي سلطه عليهم العثمانيون.

- موقفهم من القبائل المتعاملة مع الأسبان

إن من بين القضايا التي أثارت علماء الجزائر عامة ومعسكر خاصة، قضية القبائل المتعاملة مع الأسبان، أو ما اصطلح على تسميتهم بـ "المغاطيس"، الذين استخدمهم الإسبان للتجسس على القبائل التي استقرت في ضواحي وهران، فكانوا عيونا لهم على حساب بني جلدتهم مقابل مكاسب مادية يضمنها لهم الإسبان. لقد اتفقت فتاوى علماء معسكر على خروج هؤلاء عن الملة وبالتالي فإنهم يعاملون كما يعامل الإسبان. دفع هذا الوضع العالم عبد القادر المشرفي إلى تأليف كتابه الموسوم "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبانيين من الأعراب كبني عامر" ذكر فيه معلومات مفصلة عن هذه القبائل التي حددها بثمانية فرق وهي: كريشتل، شافع، حميان، غمرة، قيزة، أولاد عبد الله، أولاد علي،

الونازرة. ونفس الرأي ذهب إليه العالم ابن زرفة الذي يرى بأن هؤلاء يعاملون كأعداء، فيجوز قتلهم وسبيهم باستثناء صغارهم(ابن زرفة، م. 2003: 84). أما أبو راس فنجده يذم هؤلاء لأنهم تخلوا عن بني جلدتهم وباعوهم للكافر مقابل عرض من الدنيا، فبسببهم تمكن العدو من تقوية نفسه وأحكم سيطرته على المنطقة، ولولاهم لما أمكن له البقاء كل هذه المدة من الزمن " ورغب الأعراب في عرضه الفاني حتى انحاز إليه كل رقيق دين على نفسه جاني، مثل قيزة وحميان وبني عامر من كل ضعيف الإيمان وصاروا شيعته، فقويت بهم شوكته وكانوا عيونه على جميع المسلمين" (أبو راس،ن.2002: 256) ويتهم أبو راس هؤلاء بأنهم كانوا السبب وراء فشل كل محاولات المقاومة للسكان، فهم الذين ثبطوا عزائمهم، فكانوا يخوفونهم بقوة الإسبان وكثرتهم وضخامة عتادهم الحربي " ولاسيما أخبار المرجفين بأن النصارى أهل جنود وآلة وبنود، وعددهم لا ينقطع ورأيهم لا ينصدع، ليكون ذلك دائما بالدخول تحت ذمة الكافر المخذول"(أبو راس،ن.2002: 256).

- علماء معسكر و فتح وهران

كانت الجزائر طيلة العهد العثماني قبلة للجهاد، لأنها كانت دائمة التعرض للغارات الأوروبية (الكفار)، فانتشرت بين سكانها روح الجهاد، وكان جيشها في حالة استنفار دائم، ولم يكن العلماء بمعزل عن ذلك، فكان الكثير منهم يتقدمون الصفوف عند المعارك، ويحضون المجاهدين من خلال خطبهم على التضحية في سبيل الله، فخلال فتح وهران الأول في عام 1708 شاركت جماعة من العلماء

في ذلك ومنهم العالم المعسكري عبد القادر المشرفي، كما يخبرنا عن ذلك تلميذه أبو راس الناصر (أبو راس،ن.1990: 53). لقد خلد أبو راس ذكرى الداي محمد بكداش فاتح وهران وأطنب في مدحه حين قال " وقولي محمد باكداش هو إمام جامع المجادة الأزهر، وبدر مطالع السعادة الأبهر، أبو الفتوحات الربانية القائم بصدقات الدولة العثمانية...وما أحب الإمارة إلا لأجل القتال" (أبو راس،ن. 2002: 510-511)، لقد اعتبره صاحب نعمة عظيمة على الجزائر، ألا وهي فتح وهران " وقد اجتمعت خصال الخير في محمد بكداش دولاتي وقد أتحف بالنعم والسعادة والرضوان وأي نعمة أعظم من فتحه لثغر وهران الذي فقدوه وعظم داؤه ومنع فناؤه وحمت أرجاءه" (أبو راس،ن.2005: 167). وخلال الفتح الثاني شارك عدد معتبر من علماء معسكر في جهاد الإسبان وكان الباي محمد الكبير شديد الاعتماد عليهم كابن سحنون الراشدي الذي وكل إليه أمر..... ومحمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة الدحاوي ومحمد بوجلال، كما أنه كلف قاضي قضاة معسكر الطاهر بن حوا بقيادة جيش يتكون من الطلبة، وإثارة الحماس بينهم لفتح وهران، غير أن ابن حوا استشهد قبل الفتح، ويعطينا "صاحب الثغر الجماني" تفاصيلا حول هذه الحادثة فيقول: "فرجع –رحمه الله- إليه فلما توجه نحو العدو وسدد مكحلته (بندقيته) ليرمي بها أصيب في ذراعه الأيمن قرب الأكحل ببندقة خرجت من منتهى عضده ثم دخلت جوفه فولي –رحمه الله-، وكانت إصابته على الطلبة من البلاء العظيم والرزء الأليم وركب الكفرة أكتافهم... وذهب الطلبة بالسيد الطاهر مرتثا فمات بعد ذلك بليلتين عقب صلاة العشاء أول ليلة

من جمادى الأولى، فقدت بفقده محاسن الأخلاق، وعدم معه الحياء من أمثاله على الإطلاق، وذهب الوفاء والإنصاف ولم يبق أحد مثله مصاف، وبكته العيون الجامدة والقرائح الخامدة-رحمه الله- وأسكنه فسيح الجنان وأحله منازل الرضى والرضوان" (ابن سحنون، ن.1973: 237). خلد علماء معسكر فتح وهران الأول والثاني في مجموعة من الكتابات النثرية والشعرية، فسجلوا مآثر الفاتحين وجهودهم واستبسال المجاهدين، وخاصة العلماء والطلبة منهم، فكتب ابن سحنون الراشدي مؤلفه الموسوم ب" الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني"، في حين سجل ابن زرفة أحداث الفتح الثاني في كتابه " الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، وكذا الحال بالنسبة لأبي راس الناصر الذي ألف كتاب" عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"

- موقفهم من الثورات الدينية

عرف بايلك الغرب في مطلع القرن التاسع عشر سلسلة من الثورات الشعبية، قادها رجال الزوايا والمرابطين، ونحن لسنا نريد أن نفصل في أحداثها، وإنما نسعى لإبراز مواقف علماء معسكر منها، ولعل من أبرز من عارض هذه الثورات واعتبرها وبالا على البلاد والعباد العالم أبو راس الناصر، ففي نظره أن تلك الثورات التي ثار أصحابها على العثمانيين ماهي إلا حركات تمردية غايتها إحداث الفتنة. لقد عبر عن معارضته لثورة درقاوة، التي سماها فتنة، في رحلته لما كتب يقول " ثم عمتنا فتنة درقاوة، وأنا لم نكن فيها، كما قال الشيخ عامر الشعبي للحجاج

بن يوسف: وقد خطبتنا فتنة لم نكن فيها أتقياء بررة، ولا أقوياء فجرة"(أبو راس، ن. 1990: 25). ورغم معارضته لهذه " الفتنة" إلا أنه لم ينجو، ككثير من علماء عصره، من تهمة مساندته لها بسبب وشاية من حساده، وقد دفعه ذلك إلى تأليف كتابه الذي سماه " درء الشقاوة في حرب درقاوة". وإذا كان أبو راس قد أبدى معارضته لهذه الثورة، فإن عالما آخر من معسكر نجده يدعمها، رغم أنه كتب مؤلفه هذا بعد مجيء الاحتلال الفرنسي، إنه أبو حامد المشرفي الذي لجأ إلى المغرب بعد 1830، وهناك ألف العديد من الكتب التي تطرق فيها إلى العديد من القضايا ومنها ثورة درقاوة، ففي " الحسام المشرفي" يبين الأسباب التي دفعت بعبد القادر بن الشريف الدرقاوي إلى الثورة على العثمانيين، ويرجع ذلك إلى تزايد ظلمهم واضطهادهم للرعية " فسلط الله عليهم بسبب الظلم...شخصا من هذه الطائفة الدرقاوية من الزاوية الغريسية الشرفاوية قام عليهم في شرذمة من أهل وسيلته قليلة ولمتانة دينها ووثوق عهدها فئة جليلة فشتت بها شمل المحال" (أبو حامد، م. الحسام. ورقة 196). يذكر أبو حامد أن الدرقاويين، بفضل قوة إيمانهم وصدقهم، أحكموا سيطرتهم على المنطقة، كما فرضوا حصارا على وهران اضطر معه العثمانيون إلى الحصول على المدد من داي الجزائر – مصطفى باشا آنذاك- عن طريق البحر، ولما اشتد عليهم الحصار اتصلوا بسلطان المغرب يطلبون منه التدخل لدى شيخ الطريقة العربي الدرقاوي ليطلب من تلميذه إيقاف الثورة " لما اشتد حصارهم في وهران وانسدت عليهم سبل البر بعث ملك الجزائر يومئذ للشريف الغطريف أبي الربيع مولاي سليمان

سلطان المغرب يستعطفه في مكتوبه ويقول له فيه أن أسلافكم ملوك الدولة العلوية مع ملوك الدولة التركية كانوا يدا واحدة لا تشاجر بينهم غير أن هذا القائم علينا درقاوي الوسيلة

وشيخه من إيالتكم ...وهو الذي يمده بطائفته فرأس الحية عندكم وذنبها عندنا" (أبو حامد، م. الحسام: ورقة200). يتعارض موقف أبي حامد مع موقف أبي راس تجاه الثورة الدرقاوية، فإذا كان هذا الأخير يرى في الدرقاوي رجل فتنة وشقاق، فإن أبا حامد يرى فيه رجلا ممسكا بالشرع يغلب عليه التقشف والتواضع، حتى أن شيخه العربي لما قدم عليه ليطلب منه إيقاف ثورته استجابة لأمر السلطان سليمان وجده " قائما بالعدل تابعا للسنة تاركا للبدعة حفظا للطاعة مجانبا للمعصية لا يمنع رفده ولا يترك ورده ملازما للبس الخرقة" (أبو حامد، م. الحسام: ورقة200). إن هذا الاختلاف في موقف العالمين من الثورة الدرقاوية مرده إلى الانتماء المذهبي لكل واحد منهما، فأبو راس كان سلفيا متمسكا بالكتاب والسنة معارضا للطرقية وأصحابها، في حين كان أبو حامد درقاويا كما نلمس من خلال كتاباته، فهو يمجد هذه الطريقة ويرى بأنها الأصوب بين الطرق الأخرى ولذا وجب إتباعها والاقتداء بتعاليمها وترديد أورادها " وطريقهم طريق جد واجتهاد قريب فتحها كثير خيرها بعيدة عن الرياء والسمعة وكانت ناسخة للطريقتين –أي النقشبندية والشاذلية- وتعرف بالطائفة الدرقاوية من بين سائر الطوائف فهي الأحق للاقتداء بأهلها لأنهم التزموا متابعة السنة وجنبوا عن ارتكاب البدعة (أبو حامد، م. الحسام: ورقة215).

وخلاصة القول، أن علماء معسكر خلال العهد العثماني ساهموا بقدر كبير في صناعة كثير من الأحداث المصيرية التي عاشتها المنطقة، فهم بحق علماء عاملون عايشوا مشاكل مجتمعهم وبذلوا قصارى جهودهم لإيجاد الحلول الشرعية لها، كما أنهم كانوا من المجاهدين الذين باعوا أنفسهم من أجل الآخرة، فنالوا شرف الشهادة كالطاهر بن حوا الذي استشهد في فتح وهران الثاني ، وأن كثيرا منهم لم يركضوا وراء المناصب والبحث عن الجاه والحظوة مثلما كان عليه حال كثير من علماء ذلك العهد، والذين فضح بعضهم ابن الفكون في كتابه منشور الهداية.

المصادر والمراجع:

*المخطوطات

-المشرفي أبو حامد، **الحسام المشرفي**، مخطوط بالخزانة العامة بالرباط، رقم ك **2276**.

*المصادر و المراجع المطبوعة

- أبو راس الناصر محمد بن أحمد. (**1990**). **فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته** (تحقيق وضبط وتعليق محمد بن عبد الكريم). الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب.

-الراشدي، بن سحنون أحمد بن محمد بن علي. (**1973**). **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني** (تحقيق وتقديم البوعبدلي المهدي). قسنطينة: منشورات وزارة التعليم الأصلي، سلسلة التراث.

-أبو راس الناصر محمد بن أحمد. (**2002**). **الحلل السندسية في شأن وهران و الجزيرة الأندلسية**. دار صنين للطباعة والنشر.

-المزاري بن عودة الآغا. (**1990**). **طلوع سعد السعود في أخبار وهران و الجزائر و إسبانيا و فرنسا** (تحقيق ودراسة بوعزيزيحي). بيروت: دار الغرب الإسلامي.

- الغريسي الطيب بن المختار. (**1961**). **القول الأعم في نسب قبائل الحشم**. تلمسان: مطبعة ابن خلدون.

-الفكون عبد الكريم. (**1987**). **منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية** (تقديم وتحقيق وتعليق سعد الله أبو القاسم)، الطبعة الأولى. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

الثورة الفرنسية الكبرى عند علماء معسكر

- أحمد بن سحنون الراشدي نموذجا-

د. ودان بوغفالة، مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر

أشار أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي في كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" الذي انتهى من تأليفه في الخامس من رمضان 1207هـ الموافق لشهر أفريل 1793م إلى المناظرة "المحاجة" التي جمعته بالمسيحيين الإسبان في وهران بعد تحريرها عام 1792م[1]. وبهذه المناسبة، استعرض مبادئ وأحداث الثورة الفرنسية الكبرى في حينها وسجل موقفه منها. وجاءت الأخبار التي أوردها دقيقة ومفصلة؛ وهو الذي تستبعد زيارته إلى فرنسا.

فمن أين استقى ابن سحنون هذه الأخبار دقة وتفصيلا؟ أمن الرهبان الإسبان أم من المتعاملين الاقتصاديين مع بايلك الغرب ومن القناصل الأوربيين الذين كان يستقبلهم الباي محمد الكبير بوهران؟ ما هو واقع هذه الثورة كتعبير عن المجتمع الفرنسي وتطور الفكر الغربي من منظور ابن سحنون؟ ماذا كتب عنها وهل كان له

---

[1] هو أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، توفي بعد عام 1796م، فقيه وأديب ومؤرخ، تولى الكتابة لدى محمد الكبير باي الغرب الجزائري، من المدافعين عن الدولة العثمانية، انتهى من كتابه المسمى: "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني "في أفريل 1793م/5 رمضان 1207هـ لذلك لم يذكر أحداث الثورة الفرنسية التي وقعت بعد هذا التاريخ، من مؤلفاته الأخرى "عقود المحاسن".

ناصر الدين سعيدوني، **من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي "تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين"**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ص ص 493-443.

وعي بحقيقتها؟ وانطلاقا من هذا المثال، إلى أي مدى نستطيع أن نفهم فهما موضوعيا علاقة العقل الجزائري في القرن التاسع عشر بالقيم الأوربية وفلسفة التنوير؛ وندرك طبيعة البنية الفكرية السائدة آنذاك لدى المجموعات الفاعلة في المجتمع وفي أجهزة الحكم؟

لقد اختلفت كتابات المغاربة عن أحداث الثورة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر ميلادي، وهذا من بدايتها إلى غاية عام 1799م: تاريخ إلغاء حكومة الإدارة و بداية عهد القنصلية وحكم نابليون بونابرت. وتمايزت هذه الكتابات من حيث حجمها ووصفها لهذه الأحداث، ومن حيث تحليلها للثورة وأسبابها وأهدافها، وذلك تبعا لثقافة كل عالم ووظيفته وظروفه التاريخية والسياسية. فصورة هذه الثورة عند بعض من عاصرها من العلماء والمؤرخين تختلف عن صورتها عند من كتب عنها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ويتعمق التباين أكثر أيضا بين الاتجاه التقليدي والاتجاه التجديدي في الفكر الإسلامي، وبين من انتقل إلى أوربا ووقف على جانب من تأثيرات هذه الثورة، ومن كانت تشكل أوربا لديه فضاء لا يعنيه وعلما آخرا يصنف في زمرة العداء والضلال (دار الكفر ودار الحرب).

أسباب الثورة: الإلمام والإيجاز

قال ابن سحنون الراشدي عن أسباب الثورة ما يلي: « والسبب في ذلك أن ملكهم كثر مصروفه حتى ضاق عنه ما في بيت ماله وخاف من الفضيحة بين الملوك فاستشار وزراءه فأشاروا

باتخاذ رقاع مطبوعة لا يسوغ بيع ولا شراء ولا نكاح ولا شيء من المعاملات إلا بها، وعين لها ثمنا قليلا لكن يجتمع منه ثراء كثير، ففعل ذلك. فلما وقف الناس عليه أنكروا وأعلنوا بعدم قبوله ... وكانوا على ثلاث فرق: فرقة رعية، وفرقة علماء، وفرقة الأكابر...»[1].

إنها محاولة من ابن سحنون، ولو متواضعة لتحليل أسباب الثورة، فبعد أن عرض بعضا من أحداثها، أشار إلى إفلاس الخزينة المالية نتيجة الإفراط في مصاريف القصر، وإلى الحلول الجزئية لتفادي شماتة الملوك وتجاوز هذا العجز المالي، ومن هذه الحلول التحايل في شكل الضريبة، وإصدار سندات مالية لدفع البورجوازية إلى امتلاك حقوق الإقطاعيين المصادرة؛ وهي حقوق رجال الكنيسة والنبلاء.

ونوه ابن سحنون بهذه المناسبة، بالصراع الطبقي الذي كان يمزق المجتمع الفرنسي في نهاية القرن الثامن عشر." الرعية " وهم العامة، ويمثلون الأغلبية من الفلاحين والبورجوازيين، "العلماء " وهم هيئة الإكليروس من رجال الدين في الكنيسة المالكين للأرض والعمالة والإعلام والتعليم، " الأكابر " وهم الإقطاعيون أو النبلاء أصحاب الامتيازات اللامحدودة والسلطات المتنوعة ... من الحكم و القضاء ... إلى الجيش والضرائب. وهذا الصراع لم يقم بين هذه الطبقات فحسب بل امتد إلى داخل كل طبقة.

---

[1] أحمد بن محمد بن سحنون الراشدي، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق المهدي البوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص 224.

إن ابن سحنون من القلائل في العالم العربي الذين عاصروا الثورة الفرنسية الكبرى 7891م، وكتبوا عن أحداثها الأولى[1]. فالذي يعاصر الحدث ويكتب عنه في حينه؛ وفي ظرف خاص يطبعه التجاذب الحضاري، ليس كالذي يكتب عن هذا الحدث بعد أن يعرفه الجميع وتتوفر مادته وتتضح حقيقته.

ابن العنابي[2]، معاصر ابن سحنون ومواطنه، وهو من الذين عاشوا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر والنصف الأول من القرن التاسع عشر، قال من جهته في كتابه " السعي المحمود..." عن ملوك وزعماء الدول الأوربية ككل في هذه الفترة، والذين نعتهم بأئمة الكفر: « فهم على أمر دنياهم يتكادحون. ولهوى أنفسهم وحظوظها في نار من الظلم يتهافتون »[3]. فهو بعد حديثه عن العقل الأوربي والفكر الإنساني وعدم حاجة المسلمين إليهما، أشار في هذه الجملة ولو بعبارات مبهمة إلى التنافس الطبقي الحاد في المجتمع الأوربي، وكذا تفشي ظاهرة ظلم الملوك

---

[1] المؤرخ المغربي الضعيف الرباطي، هو أحد المعاصرين للثورة الفرنسية، أشار إلى حملة نابليون على مصر وإلى غزو إسبانيا، ولكنه لم يشر إلى الأحداث الأولى لهذه الثورة. والضعيف الرباطي هو محمد بن عبد السلام (1752-1818م)، مرابط وفقيه، أديب ومؤرخ، له مكانة عند العلماء والسلطة، اشتهر بكتابه في التاريخ المعروف بـ:"تاريخ الضعيف" أو "تاريخ الدولة السعيدة".

[2] محمد بن محمود ابن العنابي (1775-1851م)، تولى القضاء الحنفي بالجزائر، وولاه محمد علي الفتوى الحنفية بالإسكندرية، سافر إلى دول المغرب و المشرق العربيين وإلى اسطنبول، يسميه الأستاذ أبو القاسم سعد الله بـ: "رائد التجديد في العالم الإسلامي". وكتابه "السعي المحمود..." ألفه بالقاهرة عام 1826م.

[3] محمد بن محمود بن العنابي، **السعي المحمود في نظام الجنود**، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 203.

واستبدادهم في أوربا، وتسلل حاشيتهم من أمراء الإقطاعيين النبلاء إلى الحكم واحتكاره، وهذا ما حدث بفرنسا.

الوقائع الأولى للثورة: دقة العرض الوصفي

إن وقائع الثورة الفرنسية لم ترد مفصلة ومرتبة في كتابات المغاربة التي أحصيناها مثلما وردت في رحلة "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" لبيرم الخامس[1]، وقبل ذلك بحوالي قرن في "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" والثورة لا تزال مشتعلة: « وتغلبوا على ملكهم فبقي تحت يد قهرهم فأجروا عليه رزقا يكفيه مؤونته وفطموه عن الأمر والنهي ... وازداد التضييق على ملكهم فهرب منهم فظفروا به وقد كاد أن ينجو، ثم آل الأمر أن عزلوه عن الملك بالكلية وصيروه من جملة السوقة لا يلقب بألقاب الملك ولا غيرها ليكون لهم العذر إذا قتلوه بأنهم لم يقتلوا ملكا وإنما قتلوا شخصا من عوام الناس ... ثم قتلوا ملكهم ... »[2].

إن سؤالا مهما أصبح مطروحا لابد من الإجابة عليه، وهو من أين استقى ابن سحنون هذه الأخبار دقة وترتيبا ؟ وفي هذا التاريخ؟

---

[1] هو محمد بن مصطفى بن محمد بيرم الثالث، أديب وعالم ومؤرخ (1840-1889م)، تعاطى السياسة واهتم بالإصلاح، زار باريس سنة 1292هـ /1875م، تولى وظائف هامة في تونس، أشهر كتبه "صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار" طبع في خمسة أجزاء، سجل فيه رحلته إلى أوربا وآسيا وإفريقيا.

- محمد بيرم الخامس التونسي، **صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار**، 5ج، ط1، المطبعة الإعلامية بمصر، دار صادر، بيروت، 1303/1302هـ مج1، ج3 ، ص 102.

[2] ابن سحنون، المصدر السابق، ص 225.

وهو الذي تستبعد زيارته إلى فرنسا[1]. هل استقاها من المتعاملين الاقتصاديين؛ الإسبان والفرنسيين مع بايلك الغرب؟ ومن القناصل الأوربيين الذين كان يستقبلهم الباي محمد الكبير مثلما تشير إلى ذلك إحدى الدراسات؟[2].

لم يشر ابن سحنون إلى هذه الأطراف ولا إلى غيرها، وإنما أشار فقط إلى المناظرة "المحاجة" التي جمعته بالمسيحيين الإسبان في وهران. وعليه فإن المعلومات التي جاء بها ابن سحنون وطبيعتها لا يمكن أن يرويها إلا من كانت له اهتمامات خاصة بأحداث الثورة، وكان قريبا من الدوائر السياسية ومهتما بالشؤون الأوربية، وربما كان مصدر هذه المعلومات عثمانيا؟ لأن فتح وهران لم يكن قد مضى عليه سوى عام واحد، وكان هذا الحدث لا يزال محل ابتهاج المسلمين عامة والقيادات العثمانية خاصة. وقد ثبت أن السلطان العثماني سليم الثالث (**7891-8071**م) كان معجبا بفرنسا، وكانت له اتصالات منذ عام **7861**م وقبل وصوله إلى العرش بالملك لويس السادس عشر، ثم استمرت هذه الاتصالات بعد إعلان النظام الجمهوري وتنوعت[3].

طرح أحد الباحثين السؤال نفسه حول الكيفية التي اطلع بها اللبنانيون في القرن الثامن عشر على حوادث الثورة الفرنسية،

---

[1] يقول ابن سحنون نفسه في نهاية الفقرة: « يبلغنا العجب من أخبارهم ».

[2] محمد غالم، **الشيخ والثورة الفرنسية، نظرة عالم جزائري معاصر لثورة 1789**، مركز الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية، وهران، 1995، ص 4.

[3] عن موضوع الثورة الفرنسية والدولة العثمانية راجع:

خالد زيادة، **اكتشاف التقدم الأوربي، دراسة في المؤثرات الأوربية على العثمانيين في القرن الثامن عشر**، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص ص 50-60.

وافترض أن يكون ذلك قد تم من خلال الحركة التجارية بين لبنان والأوربيين، أو من خلال حملة نابليون على مصر عام **1798**م واحتكاك اللبنانيين بالفرنسيين[1].

وفقرة ابن سحنون هذه، رغم أهميتها إلا أنها جعلت الوقائع تصطف وراء بعضها البعض، باختصار وبدون تأريخ، حتى كادت تختفي العلاقة فيما بينها، وما ارتبط منها بالملك على الخصوص، ولو أن ابن سحنون حاول أن يربطها بوقائع أخرى تتعلق بالثوار. الأمر الذي يدفعنا إلى الشك بأنه كان يملك معلومات أخرى عن الملك، فآثر عدم ذكرها، واستعرض حركة الثوار أكثر من حركة الملك كرد فعل، الذي لا يذكره إلا عند اصطدام الثوار به. وهو ما يدعو أيضا إلى التساؤل عن وجه الشبه عند مؤرخي بلاط باي الغرب الجزائري محمد الكبير[2]، بين أحداث الثورة الفرنسية **7891**م وأحداث ثورة بعض القبائل التي كانوا يرونها خارجة عن الطاعة، كأحداث الثورة التجانية سنة **7851**م في الجنوب الجزائري (عين ماضي والأغواط وجبل عمور) ؟! وهل يعني ذلك أن الملك لويس السادس عشر في نظر ابن سحنون بريء مثلما هو الباي والداي! حتى ولو كان بريئا وكانت فكرة إعدام الملك غير مقبولة فلا يهم. فهوكان يسأل الله أن تستمر الفتنة والحرب، ليس في فرنسا فقط وإنما في كامل أوربا.

---

[1] رئيف خوري، **الفكر العربي الحديث، اثر الثورة الفرنسية في توجيهه السياسي والاجتماعي**، ط1 ، دار المكشوف، بيروت، 1943، ص90.

[2] منهم مثلا أحمد بن هطال التلمساني الذي تولى الكتابة لدى الباي، و رافقه في حملته على التجانيين سنة 1785م، وكتب رحلة في ذلك، وكان معجبا بالباي وتوفي عام 1804م في الثورة الدرقاوية.

وهذا ما حدث بعد ذلك فعلا في أوربا، مع استمرار تطورات الثورة الفرنسية. لقد شعر ملوك أوربا بالخطر، وبدأوا يتحركون منذ اجتماع بلنيتز (Pillnitz) في أوت **7911**م، عقب محاولة الملك الفاشلة في الفرار. هذه المحاولة التي أظهرته بمظهر الخائن المعادي للثورة في نظر المتطرفين خاصة[1]. الأمر الذي سيؤدي بالمعتدلين إلى الاحتفاظ به وتقليص صلاحياته، وبعد ذلك وقفها إلى غاية ظهور الدستور الجديد في سبتمبر **7911**م الذي وقعه الملك. وكان الملكيون يرون في الحرب مع النمسا في أفريل **7921**م فرصة للقضاء على الثورة وفعلا ظهرت فرنسا ضعيفة. غير أنه زاد التطرف ضد لويس السادس عشر، فأدى إلى حتفه بعد استجوابه ومحاكمته. لقد كان الملك يتمنى انتصار أعداء الثورة ويتصل سرا بالجيوش النمساوية البروسية، فاقتحم المتظاهرون عليه قصر التويلري بعد الحرب في جوان **7921**م، واعتقله دانتون (Danton) في شهر أوت مع أسرته بعد مجزرة شنيعة. وبدأت المطالبة بالجمهورية وبمحاكمة الملك في مؤتمر وطني. وبعد فالمي (Valmy) والمعارك الأخرى اتجه التاريخ في غير صالح الملك، لقد ارتفعت معنويات المتطرفين اليعاقبة واستدرجوا المؤتمر الوطني لإعدام الملك ولكنهم فشلوا، بسبب معارضة الجيرونديين، وفي المحاكمة تدخل روبسبيير (Robespierre)[2] بالتهديد، فصدر قرار الإعدام وتم تنفيذه في **12** جانفي **7931**م.

---

[1] لمزيد من المعلومات، أنظر الدراسة التحليلية لهروب الملك عند:

M. Reinhard, **la Fuite du roi**, C.D.U., Paris.

[2] هو ما كسيميليان روبسبيير (1758- 1794م)، كان محاميا شابا، وشديد التحمس للثورة الفرنسية، وأصبح أحد أبرز قادة الثورة، تزعم نادي اليعاقبة، وقاد لجنة السلامة العامة، أعدم الآلاف من الفرنسيين، وأُعدم هو في جويلية 1794م.

إن فكرة إعدام الملك لم يهضمها المؤرخون والعلماء المغاربة، لأن الأوساط التي كانوا يتواجدون فيها أو قريبين منها؛ هي إما ملكية أو شبه ملكية، بل حتى التاريخ الإسلامي كله تقريبا جاء في نظام ملكي. وبالتالي من الصعوبة بمكان التسليم بأن يشمل الإصلاح طبيعة نظام الحكم ابتداء؛ عندما يؤمن هؤلاء بالإصلاح ككل ويتحمسون له، فالملك أو الداي أو الباي هو رمز للحكم وللوحدة، وللشرف وللأمن وللتاريخ، قد يهاجمون الملوك الأوربيين وينتقدونهم بصفة الجمع، ولكن لا يهاجمون أي ملك بمفرده صراحة، لأن هذا الملك له مثال واحد في بلدانهم هو إما الأمير أو الداي أو الباي.

حركة ومبادئ الثوار: النظرة الاستعلائية والإدراك الناقص

بالغ ابن سحنون الراشدي في نظرته الاستعلائية إلى درجة احتقار الأوربيين، وعدم الاعتراف لهم بأي مستوى علمي؛ فهم عنده بين جهل للتاريخ وانحراف في العقيدة (عقيدة التثليث) وتسلط لرجال الدين: « والجهلة ... المراد بهم النصارى، ولا شك أنهم أجهل الجهلة لا سيما في الاعتقادات ... وفي جهلهم بالتاريخ وكذبهم فيه أقول:

إنما الروم أناس حمقى ليتهم إذ حدثونا سكتوا
ليس يدرون أمورا سبقت فإذا ما ذكروها هفتوا

ومن مارسهم واطلع على خبيث تديناتهم رأى من ذلك الخرافات الهذيانية والخزعبلات المبنية على الأهواء النفسانية، ومن

أفدحها أن أمور دينهم موكولة إلى حبرهم الأكبر يزيد فيه ما شاء برأيه وينقص ما شاء ... »[1].

وتكشف بعض الكلمات الواردة لدى ابن سحنون؛ عن جانب هام من اللغة التي اختارها لتسجيل تصوراته عن أحداث الثورة الفرنسية ومن قام بها. ومن ثم؛ فهي تحمل فعلا تصوراته وتعكس مواقفه، حيث أوحت عبارات عديدة بأن الثوار استطاعوا أن يجعلوا فرنسا كلها ثائرة رافضة، فهي ثورة كل "الجنس الفرنسي" عامة.

وهنا؛ لا يحرج ولا يزعج التعميم، بل قد لا يتنبه له، مادامت هذه الثورة وقعت أحداثها خارج حدود "دار الإسلام". وعلى خلاف ذلك، تناول ابن سحنون وغيره من العلماء والمؤرخين المغاربة -خلال القرن التاسع عشر- الثورات المحلية على أنها ثورات قبائل وعوام ودراويش، ولم يسلموا بشرعيتها ولا بشموليتها، مهما اتسعت المناطق التي ظهرت بها، أو طالت المدة التي استغرقتها.

لقد توقف ابن سحنون وهو يؤرخ للمسيحية في أوربا عند الثورة الفرنسية الكبرى، ورأى أنها ثورة "الجنس المعلوم بالفرانسيس"وثورة "الناس" أو ثورة "الفرق" و"العوام"[2]، ولكنه لم ير في ذلك أي مجال للاعتبار والتذكر.

إن هذا النوع من الاعتبار في الواقع لم يكن واردا ولا يمكن أن ينسجم مع مستوى الوعي الحاصل، ولا مع المناخ السياسي

---

[1] ابن سحنون، المصدر السابق، ص ص 221-223.

[2] المصدر نفسه، ص ص 224-225 .

السائد آنذاك في الجزائر خلال القرن التاسع عشر. الزعيم كان لا يمكن قبوله إلا في صورة الفقيه المحدث أو الحاكم الفاتح، لا المتمرد الثائر. وما أكثر الثائرين وقتئذ في الجزائر وبلدان المغرب الأخرى! إن هذا الموضوع يطرح مسألة مهمة في النظام السياسي، وهي مسألة شرعية السلطة. وهذه المسألة كانت مغيبة تملما عند المؤرخين والفقهاء، وهي من المسائل المحرمة التي كان لا يجوز إثارتها ومناقشتها.

ابن سحنون وهو أحد المعاصرين لأحداث الثورة الفرنسية: تحدث عن حركة الثوار الفرنسيين منذ الاجتماع الأول لمجلس طبقات الأمة "جمعية العموم" في الخامس من ماي عام **7891**م، وما شهده هذا الحدث من تطورات تعتبر النواة الرئيسية للثورة الفرنسية الكبرى. وتطرق إلى الخلاف الذي حصل بين الملك وبين ممثلي الطبقات، والحوار الذي أفضى إلى إيجاد حل للأزمة والمحافظة على الملكية، حيث أقرت الجمعية الوطنية ضريبة تبلغ ربع جميع المداخيل التي تزيد على **004** ليرة « هلم نعمل أمرا فيه قضاء دينك والإبقاء على ملكك، وهو أن يحمل إليك كل واحد ربع ما بيده جل أو قل فتراضوا على ذلك ...»[1].

كما أشار ابن سحنون إلى قضية التصويت التي ظهرت منذ أواخر عام **7881**م، وإلى رفض الملك والنبلاء ورجال الدين لطريقة التصويت المشترك، أي الأخذ بالتصويت الفردي بدل التصويت على أساس الطبقة وفق النظام القديم. ونوه أيضا بالانتصار الذي

---

[1] المصدر نفسه، ص 224.

حققه ممثلو الطبقة الثالثة، عندما انضم إليهم في جوان 7891م بعض رجال الدين والنبلاء، وصار مجلس الطبقات يضم أكثرية نواب الأمة، وتقرر تسميته بـ "الجمعية الوطنية" والتي ستضع دستورا جديدا « ... اصطلحوا على أن يكتب كل من أراد شيئا مراده في رقعة، ثم يجمعون الرقاع ويحسبونها، فإن خرجت رقاع الرعية أكثر عمل بقولهم، ففعلوا ذلك، فإذا رقاع موافقي الرعية أكثر فاتصل الشنآن بينهم ... »[1].

من أحداث الثورة الأخرى التي وردت في بعض المصادر المغاربية خلال القرن التاسع عشر، أحداث صيف 7891م الأولى، ففي الرابع عشر من شهر جويلية كان الهجوم على سجن الباستيل (Bastille)[2]. وفي الرابع من شهر أوت قررت الجمعية الوطنية إلغاء الامتيازات الإقطاعية، فغادر الكثير من النبلاء والإكليروس إلى بلجيكا وإلى الراين في ماينز (Mainz) وكوبلنز (Coblentz) وإلى إمارة تريف (Trêves). وفي السادس والعشرين من أوت أعلنت هذه الجمعية وثيقة حقوق الإنسان التي ستصبح مقدمة لدستور 7911م، وجاء هذا وفق أفكار كبار الكتاب الفرنسيين مثل روسو ومونتسكيو وفولتير، وحافظ على النظام الملكي وجعله دستوريا.

أرخ ابن سحنون لهذه الأحداث، ودون أن يتحمس لها اعترف بقوة الثورة الفرنسية: « فحملوا يوما على برج لهم عظيم شديد

---

[1] المصدر نفسه، ص ص 224-225.

[2] هاجم المتظاهرون سجن الباستيل رمز الاستبداد الملكي، وكان به عدد قليل من السجناء، ولكنه كان الحدث الذي دفع إلى تطورات أخرى.

التحصين، بحيث لا يرام فهدموه في اقرب مدة...»، وبالتفاف غالبية أفراد المجتمع حولها: « واتفقوا على أن لا يسود أحد أحدا ... وأن الناس كلهم سواء ... ينادي بعضهم بعضا بأخي، ومتى ظلم أحد أحدا انتصروا له ... »، وهذا لما حملته هذه الثورة معها من مبادئ جديدة، ولما أحدثته بعد قيامها من تغييرات اجتماعية ودينية وسياسية: « وأبطلوا جميع المكوس والوظائف السلطانية، وأخذوا جميع ما بأيدي علمائهم ... وبقوا بلا دين ... وإذا ظفروا ببلد قالوا لأهلها: إنما قمنا لأن نخلصكم من الظلم ... وبعثوا إلى جميع النصارى ...»[1]. لقد أدرك المؤرخون والعلماء المغاربة، الأوائل منهم والمتأخرون خلال القرن التاسع عشر أن حركة الثوار الفرنسيين مثلما هي اضطرابات وعنف؛ هي أيضا ثورة اجتماعية انقلابية ضد الإقطاع والامتيازات والضرائب، وثورة فكرية تحررية علمانية ضد الدين الكنيسي، وتنشد الحرية والإخاء والمساواة، وعالمية تعني شعوبا أخرى.

ولكن صورة هذا الإدراك كانت بها ضبابية، وكانت تنافسها وتحجبها صورة النموذج التاريخي الإسلامي، وصورة المبادئ والهيئات الإسلامية المثالية. فكانت قناعتهم إجمالا هي أن ما في الإسلام يكفي، وما حدث بفرنسا فهو يخصها ويخص باقي الدول الأوربية[2].

إن النقطة التي أثارتها كذلك المصادر التاريخية المغاربية وهي تستعرض أحداث الثورة؛ هي تحالف الدول الأوربية (النمسا،

---

[1] ابن سحنون، المصدر السابق، ص225.

[2] انظر مثلا: بيرم الخامس، المرجع السابق ، ج1 ،ص ص 42-43.

بروسيا، هولندا، سردينيا، البرتغال، إسبانيا وإنكلترا) وعداؤها لهذه الثورة، وانتقالها من موقف اللامبالاة إلى موقف المترقب والمتدخل. فمنذ عام **7901**م وبعد انضمام مدينة افينيون (Avignon) إلى فرنسا، تخوف هذا التحالف وبدأ يتحرك بمساعدة الفرنسيين أنفسهم من الداخل، ومن الخارج من طرف المهاجرين أمثال دارتوا (Dartois) شقيق الملك، والجنرال ديموريي (De mouriez) الزعيم الجيروندي المنشق. فاجتمع أمبراطور النمسا وملك بروسيا في أوت سنة **7911**م بـ بلنيتز(Pillnitz) وأعلنا لبقية ملوك أوربا أنه لابد من التدخل لحماية العرش الفرنسي، وهذا ما يعنيه قول ابن سحنون: « وقد كان الملوك عزموا أن يقوموا عنهم جميعا ليردعوهم عن سلطانهم »[1]. وفي أفريل **7921**م أعلنت النمسا وبروسيا الحرب على فرنسا، وتقدمت جيوشهما حتى فالمي (Valmy)، وبها جرت المعركة الشهيرة التي أنقذت فرنسا في **02** سبتمبر **7921**م. فأعاد هذا الانتصار الثقة والاعتبار للثوار الفرنسيين، فاستولوا على بلجيكا في السادس من نوفمبر من نفس السنة.

هذا الانتصار، سجله ابن سحنون بقوله: « فلما رأوا فعلهم وتغلبهم على من حاربوه تقاعدوا عنهم وصار كل يطلب أن يكفوا عنه ...»[2]، فهو يصور الدول الأوربية خائفة متراجعة، لأنه أنهى كتابه "الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني" في شهر أفريل **7931**م، عندما كان الجيش الفرنسي قد أحرز النصر تلوى الآخر، فاستولى

[1] ابن سحنون، المصدر السابق، ص225.

[2] المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

على فرانكفورت ومايتز والسافوا ونيس وهولندا، وتقرر تقديم حدود فرنسا الطبيعية إلى نهر الراين .ولكن بعد هذا الانتصار انهزم الثوار الفرنسيون وانسحبوا من بلجيكا، وبعد ذلك من المناطق الأخرى التي احتلوها، بل منذ ربيع 7931م أصبحت فرنسا نفسها مهددة بالاحتلال من طرف الحلفاء، حتى سقطت مدينة طولون (Toulon) في أوت 7931م في يد الإنكليز ونادت بلويس السابع عشر ملكا. ولم تسترجع فرنسا قوتها وهيبتها إلا منذ خريف 7931م، بعد تحريرها للبلاد بكل قوة واستردادها بعد ذلك لمناطق النفوذ السابقة قبل نهاية 7941م ومع مطلع عام 7951م.

بناء على ذلك، وبمراعاة عامل الزمان بصفة عامة (نهاية القرن الثامن عشر) وعامل المكان (فرنسا، معسكر أو وهران)، يكون ابن سحنون قد تلقى معلوماته عن أحداث الثورة الفرنسية مرة واحدة خلال شهر فيفري أو شهر مارس من عام 7931م على الأرجح، لأن إعدام الملك الذي تحدث عنه كان في نهاية جانفي 7931م، وإتمامه لكتاب "الثغر الجماني ..." كان في أفريل من نفس السنة. أما أن يكون قد جمع معلوماته عن أحداث الثورة منذ بدايتها عام 7891م، وفي أوقات مختلفة، وكتبها متوقفا عند الأحداث الأولى لسنة 7931م، فهذا الاحتمال في نظرنا مستبعد، وعلى الأقل من خلال السياق.

أهكذا هي أخبار فرنسا والدول الأوربية من حولها! كم هي رغبتنا قوية في أن يستمر الصراع بين الأوربيين؛ لتأكل نيران الحرب هؤلاء الكفار! بهذا التعجب، وبهذا الرجاء ختم ابن سحنون حديثه

عن الثورة الفرنسية[1]، لماذا ؟ لأنه استشعر اختلال ميزان القوى الدولي بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، ومدى تفوق هذا الأخير. فراهن على عامل خارجي كالثورة الفرنسية وامتداداتها، وعلى التضرع إلى الله بالدعاء؛ لإحداث على الأقل توازن دولي بين العالمين المذكورين، واتقاء المسلمين شر الاستعمار. لقد كاد أن يعترف ابن سحنون بشرعية الثورة الفرنسية، عندما نطق بأسبابها في كتاباته وقدمها، ولكنه سرعان ما انقلب عندما استعرض بعض أحداثها وتعرف على تطوراتها. فهو إذا اعترف للمظلوم بحقه المغتصب أو المغيب، فإن ذلك لا يعني البتة موافقتة على الثورة والتمرد للحصول على هذا الحق. وإن الصورة الدموية لأحداث الثورة الفرنسية بين (7891-7991م) كانت هي الصورة الأكثر حضورا في نص ابن سحنون. ذلك لأن إزهاق نفس بشرية عند المسلمين عمل شنيع وانتهاك فظيع، وهو ما جعل معظم العلماء والفقهاء المسلمين عبر التاريخ يميلون إلى الحاكم ولو كان مستبدا، ولا يؤيدون الثائر ولو كان مظلوما.

وتتجلى نفس الصورة تقريبا عند بعض المؤرخين المشارقة المعاصرين منهم لأحداث الثورة الفرنسية، والذين كتبوا عنها بعد ذلك في القرن التاسع عشر، من أمثال المؤرخين اللبنانيين نقولا الترك والأمير حيدر الشهابي[2]، وأحمد فارس الشدياق وغيرهم. ولا مانع عند العلماء والمؤرخين المغاربة خلال القرن التاسع عشر، من قبول ما تطرحه

---

[1] المصدر نفسه، ص ص 225- 226 .

[2] نقولا بن يوسف الترك اللبناني، **تاريخ نابليون الأول، "حملة نابليون إلى الشرق"**، تحقيق أمل بشور، ط1، دار جروس برس، طرابلس لبنان، 1993، ص ص 66 – 70.

حيدر أحمد الشهابي، **لبنان في عهد الأمراء الشهابيين، وهو الجزء الثاني والثالث من كتاب الغرر الحسان في أخبار أبناء الزمان**، تحقيق أسد رستم وفؤاد أفرام البستاني، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، 1969، ص ص 213 – 219.

الثورة الفرنسية من أفكار وتنظيمات، مادام هذا لا يتعارض مع ما يرشد إليه الإسلام، بل عند بعضهم، ذلك ذاته هو من الإسلام، فذهبوا إلى تأصيله في القرآن الكريم والسنة النبوية، وسيرة السلف الصالح، بالإستشهادات الدالة على ذلك[1].

النص الكامل لابن سحنون عن الثورة الفرنسية

« ولقد قام في هذه السنة منهم الجنس المعلوم بالفرانسيس وهو الفرنج على جميع علمائهم، فنفوهم من البلاد إلى بلاد الإصبنيول وغيرها، وقتلوا ملكهم، وتركوا الناس فوضى لا ملك لهم ولا عالم، فهم يتصرفون كيف شاءوا في أمور الدين وأمور الدنيا.

والسبب في ذلك أن ملكهم كثر مصروفه حتى ضاق عنه ما في بيت ماله، وخاف من الفضيحة بين الملوك فاستشار وزراءه، فأشاروا باتخاذ رقاع مطبوعة لا يسوغ بيع ولا شراء ولا نكاح ولا شيء من المعاملات إلا بها، وعين لها ثمنا قليلا، لكن يجتمع منه مال كثير، ففعل ذلك.

فلما وقف الناس عليه أنكروه وأعلنوا بعدم قبوله، فلما بلغ الملك ذلك بعث لهم، فتقدم عليه من كل بلد أربعة، فخرج عليهم وكلمهم في ذلك، فقالوا هذا لا نقبله ولكن هلم نعمل أمرا فيه

---

[1] لمزيد من الاطلاع عن هذا الموضوع، انظر كتاب:

ودان بوغفالة، **الثورة الفرنسية في الاسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من كتابات القرن 13هـ/19م**، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، سيدي بلعباس، 2004، 262 ص.

قضاء دينك والإبقاء على ملكك، وهو أن يحمل إليك كل واحد ربع ما بيده جل أو قل، فتراضوا على ذلك وكانوا على ثلاث فرق:فرقة رعية، وفرقة علماء، وفرقة الأكابر الذين لا ينالهم مغرم ولا غيره.

فلما وقع ذلك الاتفاق انخزل عنه العلماء والأكابر، فوقع شنآن آل إلى أن اصطلحوا على أن يكتب كل من أراد شيئا مراده في رقعة ثم يجمعون الرقاع ويحسبونها، فإن خرجت رقاع الرعية أكثر عمل بقولهم، ففعلوا ذلك فإذا رقاع موافقي الرعية أكثر، فاتصل الشنآن بينهم وخرج الأمر عن الضبط وتغلب العوام.

فحملوا يوما على برج لهم عظيم شديد التحصين، بحيث لا يرام فهدموه في أقرب مدة، وتغلبوا على ملكهم فبقي تحت يد قهرهم، فأجروا عليه رزقا يكفيه مؤونته وفطموه عن الأمر والنهي. واتفقوا على أن يكون الأمر للديوان بأن يجتمع كل سنة اثنان من كل بلد، فيبرموا من الأمور ما شاءوا إبرامه ويفترقون.

وازداد التضييق على ملكهم فهرب منهم فظفروا به وقد كاد أن ينجو، ثم آل الأمر أن عزلوه عن الملك بالكلية وصيروه من جملة السوقة، لا يلقب بألقاب الملك ولا غيرها، ليكون لهم العذر إذا قتلوه بأنهم لم يقتلوا ملكا وإنما قتلوا شخصا من عوام الناس. واتفقوا على أن لا يسود أحد أحدا بعلم ولا غيره، وأن الناس كلهم سواء لا شريف ولا دنيء، ينادي بعضهم بعضا بأخي، ومتى ظلم أحد أحدا انتصروا له جميعا فأزالوا ظلامته وأخذوا الحق من الظالم، وأبطلوا جميع المكوس والوظائف السلطانية، وأخذوا جميع ما بأيدي علمائهم من الأحباس والأموال ونفوهم من البلاد، فتفرقوا في البلاد النصرانية، فقاموا بحقهم وبقواهم بلا

دين يفعل كل منهم ما أراد من جهة الدين ولا ينكر عليه، ثم قتلوا ملكهم.

وقاموا قومة واحدة على من يعاديهم فأخذوا أكثر ما يجاورهم من بلاد الانبلاذور، وإذا ظفروا ببلد قالوا لأهلها: إنما قمنا لأن نخلصكم من الظلم فكونوا على مثل رأينا، فتسارع الرعايا إلى موافقتهم، وبعثوا إلى جميع أجناس النصارى يأذنونهم بالعداوة وقد كان الملوك عزموا أن يقوموا عنهم جميعا ليردعوهم عن سلطانهم، فلما رأوا فعلهم وتغلبهم على من حاربوه تقاعدوا عنهم وصار كل يطلب أن يكفوا عنه.

وهم إلى الآن على ذلك، يبلغنا العجب من أخبارهم. والله المسؤول أن يبقى بينهم كيدهم ويشغلهم بأنفسهم آمين.»

أحمد بن محمد علي بن سحنون، **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1973، ص ص 224-226.

"نبأ الإيوان" لأبي راس الناصري المعسكري الجزائري مصدر جديد حول القيروان

محمد علي الحبيب[1]

صدر مؤخرا عن منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان كتاب جديد خرج من فضاء المخطوط إلى حيز المنشور لينضاف لقائمة طويلة من النفائس التي تتاح لجموع الباحثين ليشتغلوا عليها في ميادين دراساتهم المختلفة[2]. عنوان الكتاب "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" وهو لأبي راس الناصري المعسكري، أحد أهم الإخباريين الجزائريين بين أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين. وقد أنجز هذا التحقيق باحثان من مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان هما محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، واعتمدا على نسخة وحيدة وجداها في أحد المكتبات الخاصة بتونس العاصمة. ولئن ينتسب المؤلف إلى مدينة معسكر -التي تحتفي بهذا الإصدار الجماعي- فإن محتوى الكتاب يحيل على مساهمة علماء هذه المدينة في تدوين تاريخ وتراجم أعلام إحدى مدن بلاد الغرب الإسلامي، مدينة القيروان عاصمة الإسلام الأولى بهذه الربوع. و"نبأ الإيوان" هو ثمرة

---

[1] أستاذ مساعد بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان وعضو بمخبر الآثار والعمارة المغاربية بكلية الآداب والانسانيات بمنوبة – الجمهورية التونسية.

[2] أبو راس (محمد بن أحمد الناصري المعسكري الجزائري)، ت 1238هـ/1823م، **نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان**، تقديم وتعليق محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب، منشورات مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، تونس، 2012.

إقامة قصيرة لأبي راس الناصري المعسكري أثناء إحدى رحلاته إلى بلاد المشرق، فكان مروره على القيروان فرصة لتدوين مشاهداته، وبهذا يكون كتابه –على صغر حجمه- شهادة مباشرة على هذه المدينة ومعالم صلحائها في بداية القرن الثالث عشر الهجري/التاسع عشر الميلادي.

ولئن يحيل عنوان هذا المقال على موضوع كتاب نبأ الإيوان، وهو موضوع صلحاء القيروان الذي سيكون مشغلنا الرئيسي في الجزء الثالث من هذه المقال[1]، فإن حداثة الإصدار من جهة، وعدم معرفة جموع المختصين بنسبة المصدر لأبي راس الناصري المعسكري، من جهة ثانية، تدعونا إلى التوقف في بداية هذه الورقة

[1] يندرج هذا المقال في سياق بحوث شرعنا فيها منذ سنوات تتعلق بالقيروان وجهتها، وتشتغل –بالنظر إلى اختصاصنا في التاريخ والآثار الإسلامية للبلاد التونسية- على المدونة القيروانية المكتوبة والشواهد الأثرية لمجال هذه العاصمة التاريخية. نحيل في هذا الصدد على مقالاتنا التالية :

2008 : "حول مورد الظمآن للجودي القيرواني"، في الباهي (أحمد) [جمع وتقديم]، **القيروان وجهتها اكتشافات جديدة، مقاربات جديدة**، أعمال الندوة الدولية الثانية لقسم علم الآثار بكلية الآداب والعلوم الانسانية بالقيروان (مارس 2005)، ص 233-241.

2012 : Notre préface de l'ouvrage du *Nab' al-Îwân bi-jam^{c} al-dîwân fî dhikr sulahâ' al-Qayrawân*, p. 3-15.

2013 : "A propos d'un système de captage d'eau dans les environs de Kairouan : la *Foggara* de Sidi Nasrallah", Actes du troisième colloque international du département d'archéologie de la Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kairouan : *Kairouan et sa région : nouvelles découvertes et nouvelles approches* , mars 2009 .

2013 : " Le *rîf* kairouanais : bilan et perspectives d'un objet de recherche", intervention dans le cadre de la journée d'étude *Kairouan : mémoire et territoire*, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines de Kairouan et Centre d'Etudes Islamique, 29-30 avril.

عند التقديم التقني للكتاب من جهة، وكيفية العثور عليه وتفاصيل الاشتغال على النسخة الوحيدة للمخطوط من جهة ثانية، محاولين قدر الإمكان تجاوز كلاسيكية التقديم بالخوض في مسألة علاقة المؤلف بآستغرافيا البلاد التونسية. وهو إشكال أتينا على البعض من تفاصيله في تصديرنا الفرنسي للكتاب ونعود إليه بتفصيل أكثر خلال هذا المقال، بعد أن توفرت لنا الفرصة مؤخرا للاطلاع على البعض الآخر من كتب الشيخ بوراس غير تلك التي اعتمدنا عليها سابقا[1].

أولا : عن المخطوط والنص المحقق

لقد أتاحت لنا فرصة تقديم المخطوط باللغة الفرنسية للتعرف على مراحل العثور عن النسخة الوحيدة والاشتغال عليها من طرف باحثي مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب. وقد أكد لنا أعضاء مخبر الدراسات الاجتماعية والتاريخية بجامعة معسكر أن التراث المخطوط للشيخ أبي راس مازال في أغلبه غير محقق وأنه لا توجد إلى يومنا هذا نسخة ثانية من نبأ الإيوان. وهذا الأمر يزيد من أهمية العمل الذي تم إنجازه من طرف الباحثين المذكورين على أن ننتظر طبعة ثانية

---

[1] نشكر في هذا الصدد أعضاء مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة معسكر الذين استقبلوني في الفترة الممتدة بين 4 و9جانفي 2014 ووفر لنا أساتذته بعض من كتب الشيخ بوراس. بالنسبة للتصحيحات والإضافات التي نوردها في هذه المساهمة التي تحتفي بمدينة معسكر التي ينسب إليها الشيخ أبو راس هي مدينة للأساتذة ودان بوغفالة وعبيد بوداود وعمر بلبشير. فلهم منا مجددا كل الشكر والعرفان.

تتجاوز هنات الأولى عن طريق إيجاد مخطوطة ثانية ربما مازالت محفوظة في رفوف بعض المكتبات الجزائرية أو في خزائن بعض المكتبات الخاصة.

وقع التفطن لـ"نبأ" أبي راس المعسكري أثناء عمل تحقيقي آخر، مازال إلى اليوم في طور الإنجاز، لمصدر قيرواني متأخر وهو كتاب "مورد الظمآن في أخبار المتأخرين من فضلاء القيروان" من تأليف الشيخ والمفتي محمد الجودي التميمي الذي عاش بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين الميلاديين. إذ تفطنا عند تقديمنا هذا المصدر ضمن فعاليات ندوة دولية من تنظيم قسم علم الآثار بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان سنة **2006**، أن الجودي القيرواني، وهو يستعرض في بداية كتابه جملة من مصادره، يذكر: «تقييدا بالإشهاد مؤرخ بعام نيف وأربعين ومائتين وألف (**1824-1825**م) بشهادة العلامة القاضي الشيخ محمد بوراس والعلامة الشيخ باش مفتي محمد صدام حين كانا يشهدان على وقف للمدرسة الحسينية»[1]. وهو ما يعني أن أبا راس القيرواني كان أحد عدول القيروان في النصف الأول من القرن التاسع عشر للميلاد ولم تذكر له تآليف على شاكلة كتب أو رسائل.

قاد البحث عن ترجمة القاضي القيرواني أبي راس إلى محاولة تتبع سير كل الأشخاص الحاملين لنفس الآسم والكنية، فكان العثور على مخطوطة كاتبنا أبي راس المعسكري في خزائن إحدى

[1] المقتطف مأخوذ من مخطوطة مورد الضمآن للجودي القيرواني. انظر أيضا مقالنا حول هذا المخطوط في الهامش 3.

المكتبات الخاصة بتونس العاصمة وهي مكتبة دار البناني للتراث بباب المنارة بتونس العاصمة. والنسخة التي حققها محمد الحبيب العلاني وسهيل الحبيب هي مصورة عن مخطوطة أصلية هي على ملك باحث شاب هو ياسين بن رمضان من جامعة الزيتونة[1]. وكان في آعتقاد المحققين أن "نبأ صلحاء القيروان" هو من تأليف أبي راس القيرواني المشار إليه في "مورد الظمآن" غير أن مجموع المخطوط هو الذي رجح نسبة النص إلى أبي راس الناصري المعسكري وليس للقاضي القيرواني المشار إليه. فالنسخة المشتغل عليها تتكون من ثلاث رسائل –إن استعملنا نفس مصطلح ديباجة المخطوط- وعدد ورقاتها أربعة وتسعون، ومسطرتها 23. ونجد من جملة رسائل المجموع المخطوط نص تجمع كل البحوث على نسبته لأبي راس المعسكري، وهو الموسوم بـ "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة"[2]، في حين لم يعرف من قبل سنة **2012** لأبي راس تأليفه للرسالتين الباقيتين، الأولى هي "نبأ الإيوان"، موضوع بحث هذه المقالة، والثانية تحمل عنوان "نثر الدرر والجمان في براءة أمير المؤمنين عثمان".

إن تقاطع المعطيات الواردة في الترجمة الذاتية التي كتبها المؤلف لنفسه في كتابه " فتح الإله ومنه في التحدث بفضل ربي

[1] انظر في هذا الصدد المقال التقديمي لأحد محققي الكتاب : الحبيب العلاني، "المخطوط ومؤلفه وسياقه التاريخي"، ص 10.

[2] صدرت هاته الرسالة مؤخرا عن تحقيق لأحمد الطويلي : المعسكري (أبو راس)، **الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة**، تحقيق أحمد الطويلي، تونس، المطبعة العصرية، 2010.

ونعمته" مع معطيات نص "الإصابة فيمن غزا المغرب من الصحابة" المشار إليه آنفا والموجود في نفس المجموع لنبأ الإيوان في النسخة المخطوطة، وكذلك معلومات كتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، الذي سنأتي على ذكره لاحقا، يرجح انتساب كتاب صلحاء القيروان للناصري المعسكري الذي عاش بين أواخر القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر ميلاديين. كما نستعين في هذا المقال بمعطيات بعض الدراسات، التونسية والجزائرية، التي تعرضت لحياة أبي راس والتي اشتملت هي أيضا على معلومات هامة أفادتنا في التعرف على الشخصية وبعض تفاصيل حياتها.

ولئن تغني السيرة الذاتية الموسومة بـ"فتح الإله ومنته" الدارس عناء البحث عن تفاصيل عديدة في حياة أبي راس المعسكري فإنها في المقابل، وفي علاقة بـ"نبأ الإيوان" تحديدا، تثير إشكالات عديدة، منها عدم إشارته في الفصل الأخير من 'فتح الإله'، والذي استعرض فيه تآليفه، إلى كتاب "صلحاء القيروان". فكيف لنا إذن أن نواصل في ما ذهبنا إليه في تصديرنا للنسخة المحققة والذي رجحنا فيه أن أبا راس "النبأ" هو نفسه مؤلف المصدر المعروف في صفوف الباحثين التونسيين والموسوم بـ "مؤنس الأحبة في أخبار جربة" والذي نسبه محقق الكتاب محمد المرزوقي إلى سكان جزيرة جربة؟ هذا الجدل ستحسمه معطيات مصدر ثان لأبي راس المعسكري وهو "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار" الذي حققه مؤخرا الباحث الجزائري محمد غالم[1] وكذلك بعض الملاحظات التي

[1] أبو راس الناصر، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، تقديم وتحقيق محمد غالم، منشورات المركز الوطني للبحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، الجزء الأول (2005) والجزء الثاني (2008).

استنتجناها من خلال مقارنة ما ورد في "مؤنس أخبار جربة" مع بقية مؤلفات الناصري المعسكري.

ثانيا : في نسبة "نبأ الإيوان" و"مؤنس الأحبة في أخبار جربة" لأبي راس المعسكري

من بين المسائل التي ذكرناها عرضا في تقديمنا الفرنسي للنص المحقق هي إشكالية علاقة أبي راس الناصري باستغرافيا البلاد التونسية. فتساءلنا عن حقيقة نسبة كتاب آخر وهو "مؤنس الأحبة في أخبار جربة" إلى الناصري المعسكري، والذي ظلت بعض الأعمال الأكاديمية التونسية تعتبره مصدرا محليا من مصادر جزيرة جربة التونسية. وفي الحقيقة فقد كانت إشارتنا هذه إعادة إحياء لملاحظات سبقنا إليها المؤرخ أحمد عبد السلام في أطروحته الجامعية "المؤرخون التونسيون في القرون في القرون 17و18 و19م" والتي توقف فيها -باختصار شديد بالمقارنة مع باقي الإخباريين[1]- عند حياة ومآثر أبي راس المنسوب إليه كتاب "مؤنس الأحبة في أخبار جربة" الذي تم تحقيقه منذ ستينات القرن العشرين من طرف محمد المرزوقي اعتمادا على نسختين واحدة وجدها بالمكتبة الأحمدية بجامع الزيتونة (رقم 6568) وهي الرئيسية، والثانية بالمكتبة

---

[1] لم يفرد أحمد عبد السلام لأبي راس ترجمة مستفيضة مثل باقي الإخباريين، ونشير إلى أن أصل هذا الكتاب باللغة الفرنسية صدر عن منشورات جامعة تونس اللأولى سنة 1973، ونعتمد في هذا المقال عن النسخة المعربة من طرف الكاتب نفسه : **المؤرخون التونسيون في القرون في القرون 17 و18 و19م رسالة في تاريخ الثقافة**، نقلها من الفرنسية إلى العربية د. أحمد عبد السلام وأ. عبد الرزاق الحليوي، نشر المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1993.

الخلدونية (قسم التاريخ رقم 953)[1]. ومرد هذا الاختصار في ترجمة أبي راس من طرف أحمد عبد السلام هو غياب تام للمعلومات التي تخص سيرة هذه الشخصية، حتى أنه لم يذكر له تاريخا لوفاته، مكتفيا بإبراز أهمية ما نشر من نص "المؤنس" من تدقيقات مفيدة حول أسماء المواقع وبعض الأحداث الخاصة بالجزيرة، مما جعله يرجح إمكانية انتساب أبي راس إلى جربة[2]، وهذا ما ذهب إليه أيضا حسن حسني عبد الوهاب مقدم تحقيق "المؤنس" الذي اعتبر الكتاب من جملة المصادر المحلية لبعض المدن التونسية مثل مصنفات القيروانيين حول مدينتهم كأبي العرب[3] والخشني[4] وأبي بكر المالكي[5] وابن ناجي[6]، ومؤلفي مدينة تونس مثل ابن أبي دينار[1]،

---

[1] محمد أبو راس الجربي، **مؤنس الأحبة في أخبار جربة**، تحقيق محمد المرزوقي، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، المطبعة الرسمية، تونس، 1960.

[2] يذكر أحمد عبد السلام أن صاحب مؤنس الأحبة "ولد بجزيرة جربة حيث قضى حياته على ما يبدو، وحيث شاهد عن كثب الأحداث التي جرت في أواخر القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر للهجرة ... والتي رواها في كتابه،ولا نعلم تاريخ وفاته"، كما يشير إلى أن النص المنشور من "المؤنس" لم يشتمل على المقدمة الطويلة و "العديمة الفائدة" من النص المخطوط : **المؤرخون التونسيون**، ص322 -323.

[3] أبو العرب (محمد بن أحمد بن تميم القيرواني)، ت 333 هـ/944 م، **طبقات علماء إفريقية وتونس**، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن اليافي، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985.

[4] الخشني (أبو عبد الله محمد بن الحارث)، ت361 هـ/981 م، **طبقات علماء إفريقية**،تحقيق محمد بن شنب، بيروت، دار الكتاب اللبناني، د.ت.

[5] المالكي (أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبد الله القرشي)، ت بعد 464 هـ/1072 م، **رياض النفوس** (3 أجزاء)، تحقيق البشير البكوش،بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1981-1983.

[6] ابن ناجي (أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى التنوخي)،ت 839 هـ/1435 م، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان** (4 أجزاء)،حقق الجزء الأول إبراهيم شبوح،حقق

والمهدية التي أفرد لها ابن بشرون تأليفا خاصا بها[2]، وصفاقس التي خصص لها محمود مقديش فصلا كاملا ضمن تاريخه العام[3]، فجاء تحقيق "مؤنس الأحبة" على حد تعبيره سدا لثغرة في التاريخ المحلي لجزيرة جربة[4]. والملاحظة التي نخرج بها، ونحن نقرأ تقديم محمد المرزوقي لنصه، أن المحقق همش بعض المعلومات الخاصة بمؤلف "مؤنس جربة"، من ذلك عدم ذكره لكامل اسم الكاتب، الذي ورد بديباجة النسخة الخلدونية، على غلاف كتابه وهو محمد أبو راس أحمد الناصر وتعويضه بكنية الجربي دونما تبريرات أو مستندات، مكتفيا بالقول أن مقدمتي كلتا النسختين غير ذي أهمية، لذلك أسقطهما من نصه المنشور[5].

لئن أشار أحمد عبد السلام عرضا إلى إمكانية انتساب "مؤنس أخبار جربة" إلى أبي راس المعسكري، فإن الدراسات الأكاديمية التي اشتغلت على تاريخ وعمارة جربة منذ سبعينات القرن العشرين،

الجزء الثاني محمد الأحمدي أبو النور ومحمد ماضور، حقق الجزء الثالث محمد ماضور وحقق الجزء الرابع محمد المجدوب وعبدالعزيز المجدوب، تونس، المكتبة العتيقة، 1993.

[1] ابن أبي دينار (أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني)، تبعد 1110 هـ/1690 م، **المؤنس في أخبار إفريقية وتونس**،تحقيق محمد شمام، تونس، المكتبة العتيقة، 1967.

[2] هو على الأرجح الأديب عثمان بن عبد الرحيم بن عبد الرزاق بن جعفر بن بشرون الأزدي المهدوي الصقلي.لا نعرف سنة ميلاده ووفاته التي يؤرخها المؤرخون ببعد سنة 561هـ/1166م. له كتاب **المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر**.ولا ندري ماهو الكتاب الذي يقصده حسن حسني عبد الوهاب في تقديمه لـ "مؤنس الأحبة".

[3] مقديش (محمود بن سعيد)، ت 1228 هـ/1813 م، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تحقيق علي الزواري ومحمد محفوظ، بيروت،دارالغرب الإسلامي، 1988. (جزآن)

[4] انظر تقديم حسن حسني عبد الوهاب لتحقيق محمد المرزوقي، **مؤنس الأحبة**، ص 9-12.

[5] محمد المرزوقي، **مؤنس الأحبة**، ص 18-22.

وعلى تعددها، لم تفرد للملاحظة أي قدر من الاهتمام، بل ذهب العديد من الباحثين إلى اعتبار دقة وصف أبي راس لبعض المواقع والمعالم دليلا على انتساب المؤلف إلى جزيرة جربة[1]. إن القراءة المتأنية لمجمل كتابات أبي راس، مع التقاطعات بين مختلف الملاحظات المشار إليها سابقا يمكن أن تحسم العديد من الإشكاليات المتصلة بالمسألة. وهذا الأمر سنعود إليه بتفصيل في سياق لاحق.

سوف نعتمد في هذا الجدل على مدونة المؤلف نفسه. وهي تآليف عديدة لم يتم إحصاء جميعها إلى اليوم[2] ، منها ما نشر ومنها ما يزال قيد النشر أو في عداد المخطوط. كما سنعتمد على معطيات من مجموع المخطوطة التونسية التي وجد بها كتاب "صلحاء

---

[1] يمكن في هذا الإطار الإشارة إلى الأبحاث التالية :

محمد المريمي، **إباضية جزيرة جربة خلال العصر الحديث**، تقديم عبد الحميد هنية، تونس: كلية الآداب والفنون التونسية والإنسانيات بمنوبة، دار الجنوب للنشر، 2005 ؛ رياض المرابط، **جوامع ومساجد جربة في العصرين الحفصي والمرادي : دراسة أثرية تاريخية**، دكتوراه في التاريخ الوسيط، 1996، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية (جامعة تونس الأولى)، 3 مجلدات (مرقونة) ؛ رياض المرابط، **مدونة مساجد وجوامع جربة**، تقديم الأستاذة منيرة الرمادي-شابوطو، تونس، 2002 ؛ محمد علي الحبيب، **التحصينات الساحلية بجزيرة جربة : دراسة تاريخية أثرية**، شهادة الدراسات المعمقة، تونس (مرقونة).

HBAIEB, Mohamed Ali, « Les fortifications de Djerba : enjeux doctrinaux et stratégies méditerranéennes », dans *Fortificações e Território na Península Ibérica e no Magreb (Séculos VI a XVI)* – II Simpósio Internacional sobre Castelos (novembre 2010), Lisboa, Edições Colibri, p. 200-212.

[2] نرجو أن يكون هذا المقال نقطة انطلاق لاحصاء كامل لمدونة أبي راس المعسكري، ونرجو أن يساهم مشروع إحصاء المخطوطات الجزائرية الذي يقوده صديقنا ودان بوغفالة، من جامعة معسكر، فرصة لإنجاز هذا العمل.

القيروان" لنرجح أن أبا راس "النبأ" هو نفسه مؤلف "مؤنس الأحبة في أخبار جربة". يجب الإشارة أولا أن السيرة الذاتية التي تركها لنا الناصري المعسكري بعنوان "فتح الإله ومنته"، والتي اقتفى فيها الكاتب –على حد تعبيره- منهج السابقين من كبار المؤلفين، عرضت لنا في بابها الخامس الموسوم بـ" العسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز" جملة من كتابات أبي راس[1]. ولئن لم يقع ذكر كلا من "نبأ الإيوان" و"مؤنس الأحبة" ضمن قائمته، فإننا يمكن أن نسوق الملاحظات التالية :

أولا : يقر أبو راس أن الأغراض التي كتب فيها عديدة وقدوته في هذا المجال عبد الرحمان السيوطي. حتى أنه يذكر أنه «لا يعلم أحدا أكثر تأليفا منه (أي السيوطي) غيري (أي أبا راس) : والكمال لله ». ويبدو لنا أن أبا راس يمكن أن يمثل استثناء في عصره (أواخر القرن 18م والنصف الأول من القرن 19م) إن قارناه بأغلبية إخباريي الفترة. إذ عدد في الفصل الأخير من "فتح الإله" ستة وستون تأليفا في أغراض القرآن والحديث والفقه والنحو والتوحيد والتصوف واللغة والبيان والمنطق والأصول والعروض والتاريخ والأدب وشرح القصائد[2]. ويؤكد في العديد من المواقع في نصه أنه يستعرض ما

---

[1] أبو راس، **فتح الإله**، ص 179-184

[2] إضافة إلى هذه القائمة المتكاملة يستعرض المؤلف بعضا من العناوين التي شرع في تأليفها عند كتابته لـ "فتح الأله". وسأكتفي، بالنظر إلى اختصاصنا في التاريخ والآثار الإسلامية، بعرض المؤلفات المتصلة بهذا الميدان من البحوث. من مؤلفاته في التاريخ : **زهرة الشماريخ في علم التاريخ** و **در الشقاوة في حروب درقاوة** و**الحلل السندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية** و **ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس**،

اشتهر من تآليفه فقط، ويرجو، في غير ذي موضع من استعراضه، أن يمد الله في أنفاسه لاستكمال بقية كتاباته[1].

ثانيا : ملاحظة أخرى، وفي نفس سياق الأولى، وهي على شكل تساؤل. هل كتب ابو راس "النبأ" بعد "فتح الإله" أم تعمد عدم ذكره خاصة أنه يشير في العديد من المواقع في كتبه أنه لا يشير إلا ما اعتبره هو هاما من تصانيفه؟ بمعنى آخر، هل اعتبر المعسكري كلا من "نبأ الايوان" و"مؤنس الأحبة" في قائمة التآليف الثانوية بالمقارنة مع ما استعرضه في "فتح الإله"؟ في هذه المرحلة من البحث نرجح أن كتابة "النبأ" كانت إثر تأليفه لسيرته الذاتية التي اكتفى فيها أبا راس باستعراض تآليفه المتعلقة ببلده الجزائر. فيقول في الفصل الأخير من كتابه الموسوم بـ" العسجد والابريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز" :« [و مما ألفت في] التاريخ– منه[2]، "**زهرة الشماريخ في علم التاريخ**"، تكلمت فيه مع ابن خلدون وغيره. و"**المنى والسول، من أول الخليقة إلى بعثة الرسول**". مع "**أخبار الجان، كتحف درر ومرجان**". و" **در السحابة، فيمن دخل المغرب من الصحابة**". و"**در الشقاوة في حروب درقاوة**"، أولها آخر صفر من سنة عشرين ومائتين وألف أجارنا الله من الفتن، ما ظهر

وفي الفقه : **الأحكام الجوازل، في نبذ من النوازل** والمدارك في ترتيب فقه الإمام **مالك**، وفي التصوف : **الكشف إلى مذهب التصوف** ...

[1] يقول الناصري عند استعراضه لمؤلفاته في التوحيد والتصوف :« الزهر الأكم في شرح الحكم أو فتح الإله في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله والله يعيننا على إكماله بحق محمد وآله»، وهو ما يعني أنه واصل التأليف حتى بعد كتابته لسيرته الذاتية. راجع : **فتح الإله**، ص 180.

[2] أي أن أبا راس لا يذكر هنا كل تآليفه وهو ما يدعم اعتقادنا بأن للمؤلف كتبا أخرى استثنى ذكرها في هذا الفصل.

منها وما بطن. و"**المعالم الدالة على الفرق الضالة**". و"**الوسائل إلى معرفة القبائل**". و"**النظم**" المسمى بـ"**الحلل السندسية، فيما جرى بالعدوة الأندلسية**". وشرحها الأول "**القصص المعرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب**". والثاني "**غريب الأخبار، عما كان بوهران والأندلس مع الكفار**". و"**روضة السلوان المؤلفة بمرسى تيطوان**". و"**نباهة الغمر من أبناء العمر بأبناء ملوك ورؤساء ومن أحسن منهم ومن أساء**" و"**ذيل القرطاس في ملوك بني وطاس**". و"**الزهرة الوردية في الملوك السعدية**"، من سنة ثماني عشرة من القرن العاشر إلى سنة تسع وخمسين من القرن الحادي عشر. وكتاب "**مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب**". و"**الخبر المعلوم في كل من اخترع نوعا من أنواع العلوم**"»[1]. لم يذكر أبو راس إلا أربعة عشر تأليفا له في غرض التاريخ[2]. لكننا نعرف اليوم دون شك، وبعد التحقيقات الأخيرة لبعض مصادره الغير معروفة، أن للمؤلف كتبا أخرى في ميداني التاريخ والرحلة. وهو أمر سنقف عنده في الملاحظة الرابعة[3].

ثالثا : من أين لنا أن ننسب "النبأ" لأبي راس المعسكري الناصري وليس لشخصية أخرى؟ الجواب نجده ضمن ديباجة المخطوط الذي

[1] أبو راس، **فتح الإله**، ص 181.

[2] لم نحص هنا كل من "**القصص المعرب عن الخبر المغرب عما وقع بالأندلس وثغور المغرب**" و "**غريب الأخبار، عما كان بوهران والأندلس مع الكفار**" لأن الكاتب اعتبرهما جزأين من "الحلل السندسية".

[3] عدم ذكر أبي راس لكل تآليفه في "فتح الإله" أكدته عديد الدراسات الجزائرية التي اشتغلت على سيرة ومؤلفات الكاتب. انظر في هذا السياق: عبد الحق زريوخ، "أبو راس الناصري الجزائري ومؤلفاته"، في **التراث العربي**، عدد98، 2005، ص 230-238.

اشتغل عليه الباحثان الحبيب العلاني وسهيل الحبيب في نشرهما لنص "نبأ الإيوان". إذ يذكر الناسخ علي بن محمد بن عمر المعاوي أن المجموع، المتكون من 94 ورقة، يشتمل على ثلاث رسائل منها "أسماء من دخل افريقية من الصحابة". وسبق وأن أشرنا أن المؤلف ذكر في فتح الإله رسالته الموسومة بـ " در السحابة، فيمن دخل المغرب من الصحابة". فأن ننسب له "صلحاء القيروان" أيضا فالأمر، على ما بينا، له مبررات مقنعة نسبيا.

رابعا : وهنا سوف نحاول أن نجد تقاطعات بين إحدى التآليف الخاصة بأبي راس ومعطيات في بعض الدراسات التي تعرضت لسيرة كاتبنا. سبق وأشرنا أن تآليف الناصري المعسكري مازالت لم تحص كلها والبعض منها مازال في عداد المخطوط. وما يدفعنا إلى هذا الاعتقاد هي الترجمات التي أفردها المستشرق الفرنسي أرنو في الربع الأخير من القرن التاسع عشر لكتاب "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، وهو تأليف ذكره أبو راس في "فتح الإله" تحت عنوان "**غريب الأخبار، عما كان بوهران والأندلس مع الكفار**". نشر أرنو نصوص "العجائب" على مراحل في المجلة الإفريقية بين ستينات وثمانينات القرن التاسع عشر ميلادي، ثم جمعها في كتاب سنة 1885[1]. وقد نشر الباحث الجزائري محمد غالم مؤخرا هذا الكتاب باللغة العربية في جزأين وقد اعتمد فيها على مخطوطات قريبة من زمن تأليف أبي راس وذلك ضمن منشورات المركز الوطني للبحث في

[1] انظر:

Mohammad Abou Ras al Nasr. *Voyages extraordinaires et nouvelles agréables : récits historiques sur l'Afrique septentrionale* / par Mohammed Abou ben Ahmed Ras ben Abd el-Kader en-Nasri ; traduit par M. A. Arnaud,.... 1885.

الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية بوهران. في هذا الكتاب يروي أبو راس مسار زيارته لبعض المناطق بالبلاد التونسية ويتوقف عند جربة بتفصيل أكثر من مدن سوسة والمنستير وسوسة. حتى أنه يذكر أنه أتيحت له بجربة فرصة الحديث مع بعض من أهاليها العارفين بتاريخها ومواقعها، وفي موضع ثان يذكر شيخا يدعى ابراهيم كان أحد مصادره في زيارته لها[1] (انظر الوثيقة1 ضمن ملاحق هذا المقال). لقد افترضنا في تقديمنا لنسخة التحقيق أن يكون أبا راس كان يدون مشاهداته أثناء ترحاله في "دفتر رحلات" ثم يعود إلى تلك الملاحظات عند دخوله لمعسكر ويفصل فيها القول، وهو أمر مازلنا نرجحه. والذي نضيفه لتدعيم رأينا هو ما أشار إليه محمد غالم في تقديمه لأثر "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار". فهو يشدد في عديد المواضع من تقديمه على تميز أبي راس بقوة ذاكرته وهو ما جعل من معاصريه يلقبونه بـ"الحافظ" ، وهذا الخاصية أطرها الباحث الجزائري ضمن خصائص الكتابة التاريخية لعصر أبي راس[2].

خامسا : ملاحظة أخرى، وفي نفس سياق نسبة مؤنس الأحبة في أخبار جربة لنفس كاتبنا، وهي علاقة أبي راس بجزيرة جربة. لئن لم يعد لدينا شك اليوم أن صاحب نبأ الإيوان مر على جزيرة جربة في بعض أسفاره، فإن عدم معرفة الكاتب بمذهب الإباضية يجعلنا نشكك في نسبته إلى جزيرة جربة ويثير فينا الكثير من التساؤلات. فرغم أن الجزيرة أصبحت زمن المؤلف في حضيرة المالكية، بعد قرون عديدة تحت

---

[1] أبو راس الناصري، **عجائب الأسفار**، ج2، ص 107-109.

[2] محمد غالم، **عجائب الأسفار**، ج 1، ص 16-18.

التأثير المذهبي الإباضي، فإن الترجمات المختصرة جدا لمشائخ الإباضية لا يدلل على انتماء أبي راس لجربة. فالخبر عن أبي مسور اليهراسني وابنه فصيل على سبيل المثال لا يتعدى الخمسة عشر سطرا[1]. ولئن انتصر كل من محمد المرزوقي ومن بعده أحمد عبد السلام للرأي القائل بأن أبا راس جربي نظرا لدقة المعلومات حول طوبونيميا الجزيرة فإن الأمر ليس بالعجيب. فالدقة في الوصف قد تكون نتيجة للزيارة وليس بالغريب على مؤلفي العصر أن ينقلوا المعلومات من مصادر أخرى دون ذكرها. ثم إن دقة وصف المعسكري لمدافن القيروان وهو الذي زارها لبضعة أيام فقط يؤكد قدرته على وصف جزيرة جربة أيضا. فالأقرب للواقع أن الناصري المعسكري دون ملاحظاته في "دفتر سفره" اعتمادا على معلومات من أحد سكان الجزيرة ثم صاغها عند رجوعه إلى مسقط رأسه، ونرجح أن الأمر تم بعد تأليفه سيرته الذاتية "فتح الإله"، المشار إليها آنفا. وأن يعتمد الرحالة على " أدلاء" في زياراتهم فالأمر غير مستبعد. فبالقيروان، على سبيل المثال، أشخاص قاموا بهذه الوظيفة منذ العهد الوسيط، ولنا في إشارة ابن ناجي لشخصية "ساسي الزوار" الذي كان يرافق كل الزائرين الغرباء عن المدينة ما يدعم رأينا[2].

---

[1] الباب الثاني من الكتاب قصير جدا ولا يشجع على الانتصار لفكرة انتساب أبي راس للجزيرة : **مؤنس الأحبة**، 89-96. يبدو أيضا من خلال فتح الإله أن أبا راس كثير الترحال عن طريق البحر وهو ما يدعم فكرة مروره بجزيرة جربة أثناء رحلتيه للحج : **فتح الإله**، ص 164.

[2] انظر ترجمة أبي اسحاق إبراهيم السبائي (ت 356هـ/967م) : ابن ناجي، **معالم الإيمان**، 3، ص 71. انظر أيضا في هذا الصدد مقال سهيل الحبيب الذي قدم به أثر **نبأ الإيوان**، ص 55.

سادسا : الملاحظة الأخيرة التي ننهي بها مناقشة مدى نسبة مؤلفات "نبأ الإيوان" و"مؤنس الأحبة في أخبار جربة" لنفس المؤلف هي أسلوب وشكل النصين كما وردا في الكتابين المحققين. على مستوى الشكل، لا نجد في الحقيقة فرقا جوهريا بين التأليفين. فعدد الصفحات متقارب وهو ما يمكن أن يدعم الرأي الذي ذهبنا إليه في الملاحظة الرابعة من أن أبا راس سعى في نهاية حياته إلى تأليف "رسائل" دون فيها ما احتفظت به ذاكرته وما نقله من بعض الكتب التي اصطحبها معه من رحلاته. فنص "مؤنس الأحبة" كما حققه محمد المرزوقي لا يمتد إلا على ستين صفحة فقط من جملة مائة وخمسين صفحة هي العدد الجملي للكتاب المحقق[1]. ونفس الملاحظة تنطبق على كتاب "نبأ الإيوان" بما أن عدد الصفحات في النص المحقق لا يتجاوز 65 صفحة. أما بالنسبة للأسلوب فيغلب على النصين التعبير البسيط الذي لا يرقى إلى مستوى النصوص الأدبية المتقنة، وهو ما يتلاءم مع نصوص "الرسائل"، التي أراد من خلالها المعسكري تكثيف مؤلفاته اقتداء بمثله السيوطي.

نخلص إذن إلى أن كاتبنا هو على الأرجح نفسه مؤلف "نبأ الإيوان" و"مؤنس الأحبة في أخبار جربة". وهو، على ما ذكرت بعض الدراسات، محمد أبوراس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم الراشدي قبيلة والمعسكري إقامة ومدفنا والجزائري نسبة لبلده. لم يذكر المؤلف في "فتح الإله" تاريخا لمولده، لكن تسعفنا البعض من الدراسات بتاريخ 8 صفر 1165هـ الموافق لـ 27 ديسمبر 1751م، أما وفاته فتؤرخ بـ 15

[1] بقية الصفحات هي مقدمات وملاحق. انظر الكتاب المحقق.

شعبان 1238 الموافق ليوم 27 أفريل 1823م[1]. يذكر أبوراس في "ابتداء أمره"[2]، أنه عرف حياة غير مستقرة انتقل فيها من ناحية جبل كرسوط التي ولد فيها إلى عديد المدن الأخرى مثل متيجة وحوز مجاجة نتيجة وفاة والدته وكثرة ترحال أبيه[3]. ويبدو أن كثرة تنقلاته في طفولته هي التي جعلت من الرحلة جزءا من شخصيته. فهي على حد تعبيره «شأن أهل السفر للعلم»[4] . إذ تذكر له بعض المصادر والدراسات رحلتي حج مر خلالهما على كل من القيروان وجربة والعاصمة تونس التي زارها على زمن حكم الباي حمودة باشا الحسيني والتقى فيها بكل من عالم الإفتاء المالكي محمد بن المحجوب (ت 1243هـ) والأديب ابراهيم الرياحي (ت 1266هـ)[5].

لا نريد لهذا المقال أن يكون حسما نهائيا لمشروعية نسبة جملة النصوص المشار إليها آنفا لكاتبنا أبي راس الناصري المعسكري. بل إننا نقدم كل الملاحظات السابقة بكثير من الحذر ونرجو أن يكون هذا المقال منطلقا لنقاش يثريه جموع الباحثين المهتمين بمصادر الفترة، ونخص بالإشارة الأساتذة المشتغلين على تاريخ وعمارة جزيرة جربة الذين لا نشك في إسهامهم في هذا الجدل حول مؤلف "مؤنس الأحبة في أخبار جربة".

---

[1] هناك ذكر للعديد من التواريخ الخاصة بسنتي ميلاد ووفاة أبي راس، لكن اعتمدنا هنا على ما ذكره عبد الحق زريوخ من جامعة تلمسان : مرجع سابق، 2005، ص 230.

[2] وهو الفصل الأول من سيرته الذاتية.

[3] **فتح الإله**، ص 18-19.

[4] نفس المصدر، ص 20.

[5] نفس المصدر، ص 108-115. يتوقف أبي راس بتفصيل على مروره بإيالة تونس، وهي شهادة هامة على نظرة الآخر على أوضاع البلاد آنذاك.

ثالثا في موضوع الكتاب : جغرافية صلحاء القيروان

يعتبر نبأ الإيوان شهادة تاريخية مباشرة عن القيروان بين أواخر القرن الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين. ورغم ما يمكن أن يحيله عنوانه إلى انتماء إلى مصنفات التراجم، فهو من كتب الرحلات. فقد ذكر المؤلف في سياق نصه أن زيارته لهذه المدينة كانت في إحدى رحلات حجه والتي توقف فيها عند رابعة المدن المقدسة في الإسلام. وكان دخوله إليها في شعبان سنة **1214**ه/جانفي**1800**م[1]، أي زمن حكم حمودة باشا الحسيني الذي تذكر مصادر أخرى لنفس المؤلف أنه استقبل أبا راس في بلاطه وعرفه على بعض من رجال دولته[2]. لكن على انتماء الأثر إلى كتب الرحلة فإننا نعتقد لن مضمونه يتجاوز نطاق مصنفات هذا الأدب الجغرافي، لنجد فيه معطيات تتصل بأغراض أخرى لعل أهمها بالنسبة لـ "نبأ الإيوان" ما يتصل بالتوزع المجالي لمشاهد وقبور "صلحاء القيروان"[3].

---

[1] وجب هنا تصحيح خطأ المحققين اللذان وافقا شهر شعبان من سنة 1214ه بالسنة الميلادية 1799.

[2] انظر في هذا الصدد الإشارات الواردة بالمؤنس و فتح الإله حول علاقته ببلاط حمودة باشا الحسيني : **مؤنس الأحبة**، ص 122 / **فتح الإله**،

[3] لقد أثبتت الدراسات الجادة أن تصنيف المؤلفات التقليدية ضمن سلم تفاضلي على حسب اقترابها من "الخبر الصحيح" ليس ذي جدوى، بل المطلوب هو الانفتاح على أكثر ما يمكن من الوثائق وقراءة معلوماتها بتقنيات منهجية المقاربة المطبقة على كل نوع من الدراسات. يمكن أن نحيل القارئ إلى المدخل المنهجي للباحث التونسي لطفي عيسى والكتاب الأخير للباحث الفرنسي نيكولا أوفنستاد :

والقيروان، وبالرغم من فقدانها لمكانتها كعاصمة سياسية لإفريقية منذ العهد الوسيط، فإنها حافظت على مركزيتها الدينية والثقافية بالنسبة لعموم المسلمين. إذ ظل طريق الحج، وإن تراجع إشعاعه في فترات ما بعد التغريبة الهلالية في القرن 5هـ/11م، مارا من هذه المدينة وكان جامعها الأعظم ومكتبته وكبار فقهاء المذهب المالكي محط توقف الرحالة والعلماء بين مشرق البلاد الإسلامية ومغربها. وحتى أن زائري العاصمة تونس كانوا يحاولون المرور عليها لأنها كما يذكر المعسكري في كتابه "فتح باب المغرب الأدنى والأوسط والأقصى ... حتى أنه إذا أطلق اسم إفريقية لا ينصرف إلا لها" وهي أيضا "متبوأ الصحابة ومأمنهم وأمانهم"[1]. والصحابة والصالحون هم مقصد أبي راس في تصنيفه لـ"نبأ الإيوان". فرمزية القيروان تحولت، مع أحداث منتصف القرن 5هـ/11م، من مركز ديني ذا ثقل وتأثير إلى مركز سياسي من درجة ثانية فقد أهميته نتيجة عوامل عديدة توقفت عليها دراسات بحثت في هذا التحول من مقاربات مختلفة[2].

دون المعسكري مشاهداته أثناء مروره بالمدينة واستقراره بها لمدة لا تتجاوز الخمسة أيام، صحبه فيها –ولئن لم يشر إلى ذلك

عيسى (لطفي)، **مدخل لدراسة مميزات الذهنية المغاربية خلال القرن السابع عشر**، دار سراس للنشر، تونس، 1994، ص 17-25.

Nicolas Offenstadt, *L'historiographie,* Collection Que sais-je ? 3933, Paris, PUF, 2011.

[1] **نبأ الإيوان**، ص 82.

[2] يعتبر محمد حسن أن تراجع قيروان ما بعد التغريبة الهلالية مرده ظهور عواصم جديدة في الغرب الإسلامي شكلت مراكز جديدة للتعلم والتفقه، كما يرجع الباحث سهيل الحبيب الظاهرة إلى تحول المدينة من قطب للتعلم إلى مركز للتبرك.

صراحة- أحد العارفين بالمدينة من أبنائها. لقد أشار في كتابه "عجائب الأسفار" أثناء حديثه عن تاريخ جربة و باقي مدائن إيالة تونس إلى "الشيخ ابراهيم" كأحد مصادره التونسية[1]. فربما نسحب الأمر نفسه على زيارة القيروان خاصة وأنه ذكر في ثنايا عرضه لقبور مقبرة قريش أن أحد مصادره هو من الثقات الذين رووا له بعضا من أخبار الصالحين[2]. وزيارته هذه هي في الحقيقة في تواصل مع زيارات لعلماء من المغرب الأوسط توافدت على القيروان منذ الفترة الوسيطة مثل أبو عبد الرحمان بكر بن حماد الزناتي التاهرتي الذي زار المدينة أواخر القرن الثالث للهجرة والقاضي التاهرتي الحسن بن محمد التميمي الذي أخذ العلم عن النحوي محمد بن جعفر القزاز في السنوات الأولى من القرن الرابع للهجرة[3]. لكن مرور أبي راس على القيروان لم يكن للتفقه على علماء القيروان، بل كان مروره للتبرك بصلحاء المدينة وأوليائها، فكان "نبا الإيوان" شهادة عن عدد هؤلاء وأماكن دفنهم التي لم تكن على ذلك الزمن فضاءات للتبرك فقط بل كان العديد منها عبارة عن مؤسسات اجتماعية ساهمت في

---

[1] **عجائب الأسفار**، ج2، ص 111.

[2] تتواتر في نص النبأ عبارت مثل "قال لي من أثق به" كما يستعمل في معرض حديثه عن مشاهداته صيغتي المفرد والجمع وهي دلائل على أنه كان مرافقا في البعض من زياراته بـ"بعض الثقات" وفي الأخرى كان بغير رفقة "ودخلت بجامعها الأعظم وأنا ظمآن وتعبان ..."

[3] نحيل هنا على : محمد حسن، **القيروان في عيون الرحالة**، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون "بيت الحكمة"، تونس، 2009، ص 108-109.

الحياة الاقتصادية للمدينة وأريافها، ولعل الزاوية الصحابية هي أبرز الأمثلة عن الوظائف العديدة التي قامت بها هذه المقامات[1].

إن المتأمل في قائمة صلحاء أبي راس يلاحظ كثرة عدد شيوخ وأولياء القيروان، حتى أنه يذكر عند حديثه عن صلحاء مقبرة باب أبي الربيع أن "بها من الأولياء ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى، بل وكذلك في كل نواحي القيروان. لما روي أن رجلا من الفضلاء أتى القيروان، فلما كان على أميال منها قال: يا رب أين أبول؟ لما يعلم أن أرضه ملآنة بالأولياء"[2]. فالقائمة الاسمية ضمت مائة وواحد وثلاثون شخصا يضاف إليهم خمسة وستون آخرين هم صلحاء "رجال الدمنة" بمسجد السبت و"أربعون صبيا ومؤدبتهن" بمقبرة سلم و"أبناء مدفونين بجوار آبائهم الصلحاء" (كأبناء الإمام سحنون الموجودين بجوار مشهد أبيهم) و"صلحاء مقبرة باب أبي الربيع " التي نعرف من خلال "النبأ" أنها اندثرت على عهد أبي راس واختزنت الذاكرة الشفهية لأهل المدينة أنها كانت فضاء آوى قبورا لصلحاء القيروان (انظر قسم الملاحق أدناه). فيكون العدد متجاوزا للمائتين في مجال يمتد تقريبا على **6** كم². وتعتبر مقبرة باب سلم، المعروفة

---

[1] حول الوظائف المتعددة للزاوية نحيل القارئ للمراجع التالية :

Sami Bargaoui, « L'évolution d'un espace de médiation sociale : La zâwiya Sahâbiyya de Kairouan à l'époque moderne », dans *Studia Islamica,* 1997, p. 103-132.

نيللي سلامة العامري، **الولاية والمجتمع مساهمة في التاريخ الاجتماعي والديني لإفريقية الحفصية**،دار الفارابي ومنشورات كلية الآداب والفنون والانسانيات بمنوبة ودار المعرفة للنشر، الطبعة الثانية، بيروت-تونس، 2006.

[2] **نبأ الإيوان**، ص 114-115.

أيضا بمقبرة قريش والجناح الأخضر، من أكبر فضاءات الدفن بالمدينة، لذا اشتملت على أكبر عدد من صلحاء "النبأ"، وبها إلى اليوم بعض المشاهد والقباب التي تذكرها مصنفات التراجم والطبقات وكتب الأخبار (انظر صور قسم الملاحق). ولا تكمن أهمية "إحصاء" أبي راس في كثافة المادة المقدمة فقط، بل أيضا في التدقيقات التي تخص توزع القبور داخل نفس المشهد أو القبة وحتى الغرفة، وهو ما يساعد الباحث الأثري –على سبيل المثال- على التحديد الدقيق للقبر متى غابت الشواهد النقائشية. ففي معرض حديثه عن توزع القبور بمقبرة باب نافع يقول المعسكري :« وبجنب قبر الإمام سحنون من الجوف قبر الشيخ عون بن يوسف الخزاعي والقاضي حماس بن مروان ... وفي خارج مشهد الإمام سحنون بقرب منه تلميذه أبن عبدوس ... وبإزاء مشهده أيضا القاضي عبد الله بن غانم...»[1] .

والصالح عند أبي راس ليس الولي صاحب الكرامات فقط، بل الصلحاء هم مجموعة أكبر من أن تختزل في شخصية "الورع" و"التقي" وبقية المرادفات التي تحيل على المرجعية الصوفية الأولى. صلحاء النبأ هم الأولياء (من الأبدال والأقطاب) وكذلك فئة العلماء من "الفقهاء" و"الأئمة" و"الشيوخ"، وهم كذلك بعض تلاميذهم وفئة "التابعين". صلحاء القيروان هم أيضا من قاموا بوظائف اجتماعية كأبي الحسن بن الساحلي المعروف بغاسل الموتى. وفضلاء النبأ هن من الصالحات كالشيخة "أم سحنون" وعائشة المنوبية التي حفظت لها الذاكرة القيروانية مشهدا للتبرك ... وهذا التصنيف –

[1] نفس المصدر، ص 114-117.

وإن لا ندعي إلماما بهذا المبحث- ليس بجديد لا على إفريقية الوسيطة ولا على إيالة تونس الحديثة، ولا يبدو إدراج هذه الفئات من مميزات الفترة التي كتب فيها المعسكري[1]. بل ما يجلب الانتباه في قائمة "النبأ" هو اعتبار قبور أفراد عائلات العلماء (من آباء وأبناء وأحفاد) من مجالات التبرك والزيارة في القيروان. فالقارئ لقبور "مشهد الإمام سحنون" –على سبيل المثال- يلحظ إدراج أب وأبناء الإمام ضمن قائمة من وقف على قبورهم ويعتبر زيارتهم مصدرا للتبرك[2]. هنا يصبح التساؤل التالي مشروعا : هل في تصنيف أبي راس ما يحيل على مفاهيم جديدة للصلاح والولاية؟ وبالتالي ما يحيل على أبعاد جديدة لذهنية الفترة؟ نترك الأمر لغيرنا من المختصين الضالعين في مثل هذه الأمور وسنكتفي فقط بالإشارة إلى أن الكاتب ولئن عرف بانتقاده ومجادلته للطرق الصوفية في عصره فقد كان يكن، على ما بين محمد غالم في تقديمه لأثر "عجائب الأسفار ولطائف الأخبار"، احتراما للعلماء والأولياء الصالحين ويعترف لهم بالكرامات[3]. إن قراءة مادة نبأ الإيوان لا يجب أن تعزل عن باقي مؤلفات أبي راس ولا عن سياق رحلاته التي قادته إلى مجالات عديدة من العالم الإسلامي. فلئن عبر صراحة في كتابه فتح الإله عن رغبته في الاقتداء بالمتقدمين عليه في كثرة التأليف فإن

---

[1] حول هذا التصنيف راجع : نيللي سلامة العامري، المرجع السابق ، ص 498-508.

[2] **نبأ الإيوان**، ص 115-118.

[3] **عجائب الأسفار**، ص 18-19. يمكن أن نحيل هنا على بعض من مصادر أبي راس مثل "**فتح الإله**" (سبق ذكره) و"**الحاوي لنبذ من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي**" و" **التشوف إلى مذهب التصوف**" وهما مازالا، على ما أخبرنا زملاؤنا في جامعة معسكر، في عداد المخطوطات.

تأكيد معاصريه على قوة ذاكرته يمكن أن يفسر كتابته في العديد من الأغراض ودقة أوصافه للمجالات التي مر عليها. ويبدو أن التدقيقات التي تميز تآليف أبي راس هي التي شجعت المستشرقين على نقلها للغات أجنبية. فقد ترجم له أرنو كتابه "عجائب الأسفار" والجنرال بيقي كتابه "الحلل السندسية" واهتم شارل منشيكورت وغيره بمعلوماته الخاصة بجربة[1].

ما ننهي به هذا المقال هي جملة من الاستنتاجات التي نرى أهمية في التذكير بها لجدواها على مسار بحوث قادمة ستعيد قراءة مآثر أبي راس على ضوء النتائج التي توصلنا إليها. أول الاستنتاجات، وعلى بداهته، هو أهمية حركة التحقيق بالنسبة للدراسات الجديدة. فإخراج نص من عالم المخطوط إلى المنشور لا يؤدي فقط إلى تعميمه على جمهور القراء بل إلى إخضاعه إلى التجريح وهو منتهى الدراسات الأكاديمية الجادة. فنص النبأ، ولئن انضم إلى جملة المصادر الخاصة بالقيروان، فإنه ساهم في تأكيد افتراضات، سبقنا إليها المؤرخ أحمد عبد السلام، وهي إمكانية عدم انتساب أبي راس صاحب كتاب مؤنس الأحبة في أخبار جربة إلى هذه الجزيرة. ثاني الاستنتاجات هو الجدوى من تجديد مقارباتنا في قراءة المادة المصدرية المتوفرة للباحثين. فعلى صغر مادة "نبأ الإيوان بجمع الديوان في ذكر صلحاء مدينة القيروان" فإن إخضاعه للقراءة، في مرحلة أولى، وللدراسة، في مرحلة ثانية، قد يجدد من معارفنا متى سلك الباحث الطريق الصحيح المتلائمة مع الإشكالية التي يطرحها. ويبدو أن الإرث المخطوط لأبي راس قادر على تجديد مقاربات

[1] انظر في هذا الصدد تقديم محمد بن عبد الكريم الجزائري : **فتح الإله**، ص 6.

الدراسة بالنسبة لمعسكر ومجالها من جهة، وبالنسبة لمجالات أخرى من بلاد المغارب من جهة ثانية.

الملاحق

الوثيقة الأولى : مقتطف لأبي راس المعسكري حول زيارته لجزيرة جربة واتصاله بأهلها من خلال كتاب **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**، الجزء الثاني، ص 107-109.

« وأما جربة فهي جزيرة قد أحاط بها البحر من كل جهة ولا يخلصون إلى البر إلا في المراكب **وحدثني أهلها** أنهم كانوا عملوا طريقا في البحر الحائط بها من جهة القبلة، فلما صار الأسد والذئب واللص يدخلون منها هدموها إلى الآن. طول هذه الجزيرة من الغرب إلى الشرق ستون ميلا وعرضها من المغرب عشرون ميلا ومن المشرق خمسة عشر شجرها التين والزيتون والعنب واختصت بالتفاح وعمل الصوف يتخذون منها الأكسية تنقل إلى الأقطار فيتنافسها الناس للباسهم وأهلها من البربر وأكثرهم من لماية الذين ملكوا عبد الرحمن بن رستم بن دانستان بتاهرت وبعضهم من كتامة ومن سدويكش ونفزة وهوارة وكانوا قديما على دين الخوارج وبقي الآن بها فرقتان الوهابية على رأي عبد الله بن وهب الراسبي الذي قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من نهروان وهم بالناحية الغربية والنكارية وهم بالناحية الشرقية والرياسة في الوهابية وفتحت أول الإسلام على يد رويفع بن ثابت الأنصاري من بني النجار ولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين فغزا إفريقية وفتح جربة سنة سبع بعدها ... وقال الشيخ إبراهيم أن جربة من الخوارج أي على رأيهم لا

أنهم من ذريتهم لأن أصل قبائلهم قديم بالمغرب ولهم مجولات في قواعد ديانتهم وأصول عقائدهم وفروع مذاهبهم ».

الوثيقة الثانية : من ديباجة "**مؤنس الأحبة**" التي لا يذكر فيها أبو راس انتماؤه لجزيرة جربة بل يشدد على نقله من ثقات وما شهده ، ص 73.

« ... وفحصت عن تاريخ مستقل في أخبار جزيرة جربة فلم أجده إلا بعض أخبار ذكرت استطرادا فاستخرت إلا الله تعالى في جمع ما ذكروه **وما نقلناه من الثقات وشهدناه عيانا** والله الموفق للصواب. وسميته (مؤنس الأحبة في أخبار جربة) وقسمته على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة »

الوثيقة الثالثة : جداول لصلحاء القيروان الواردين في نص "نبأ الإيوان"[1]

الجدول 1: صلحاء القيروان المدفونين بجوار الجامع الأعظم و حول السور

معلومات عن قبره	تاريخ وفاته ه/م	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
قبره معروف اليوم بحومة الجامع الكبير	1038/430	الشيخ موسى المكنى بأبي عمران الفاسي	1
-	1360/761	أبو يحي الفاسي	2
دفن بداره قبلة الجامع الكبير	1785/1199	الشيخ أبو دبوس	3

[1] الترتيب الوارد في الجداول لا يتوافق مع نص المعسكري.

بجانب المدرسة العوانية	-	الشيخ ابن عبد الرحمن الجربي	4
قبره غير معروف	-	سيدي أبو عبد الله محمد بن حسين	5
تربة بجوار سيدي الدهماني	-	سيدي أحمد أبو حقونة	6
دفن بداره قرب البطحاء المعروفة بالفرينة	1782/1196م	الشيخ محمد الشريف العواني	7
دفن بالمسجد المعروف باسمه قرب حومة الخضراوين	-	الشيخ علي الأنصاري	8
دفن بداره قرب الجامع الأعظم	1348/749	الشيخ الرماح القيسي	9
-	994/384	ابن حمديس القطان	10
قبته مازالت قائمة قبلة الجامع الأعظم	1067/460	الشيخ السيوري	11
إزاء قبر الشيخ السيوري	-	سيدي عبد الواحد بن مفرج التلالسي	12
دفن بداره قرب مسجد يحي بن عمر	-	الشيخ الرقيق	13
قبره داخل ربض قصراوة	آخر ق16/10	والشيخ علي بن عبد الكريم الرعيني	14
زاويته في وسط زقاق قرب باب الخوخة	1300/699	والشيخ سالم القديدي	15
بزاوية سالم القديدي	آخر ق13/7	الشيخ غانم والشيخ سلامة أخوين لسالم القديدي	16

دفن بداره داخل سور القيروان	منتصف 13/7	ابن الشيخ ابن عبد الجليل الأزدي	17
قبره بجانب باب الخوخة	-	الشيخ عطاء الله بن القلاق	18
في حومة الخضراوين	-	الشيخ محمد البهلول	19
قبره مازال في داره قرب الجامع الكبير	1302/702	الشيخ محمد بن فندار وهو شيخ ابن ناجي صاحب المعالم	20
في حومة الجامع	بداية ق16/10	الشيخ عبد الجليل بن عظوم	21
قرب سويقة القدة	-	عبد الله بن خود	22
قرب سويقة القدة	-	أحمد الزقيم	23
دفن بدار ابن رحمون	1288/687	الشيخ أبو الحسن البلاغ الأندلسي	24
	996/386	شيخ المالكية أبو محمد سيدي عبد الله بن أبي زيد النفزاوي	25
بدار أبي زيد	1380/782	أبو محمد عبد الله الشبيبي	26
بدار أبي زيد	-	أولاد أربعة لأبي محمد عبد الله الشبيبي	27
بدار أبي زيد	1482/887	الشيخ أحمد بن مخلوف السافي	28
قرب دار ابن أبي زيد	1375/777	محمد بن أبي يحي أبي بكر الفاسي	29
دفن بالزاوية الوحيشية	1690/1101	سعيد الوحيشي	30
دفن بالزاوية الوحيشية	1665/1076	علي الوحيشي	31
زاويته قبلة الزاوية	-	الشيخ غلاب المسراتي	32

الوحيشية			
قبة بلصق الجامع الأعظم	-	السيدة ريحانة	33
،دفن بداره بجانب الجامع الكبير	-	الشيخ إبراهيم الخطيب	34

الجدول 2 : أولياء مدفونين داخل السور

معلومات عن قبره	تاريخ وفاته هـ/م	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
-	1356/758	سيدي علي العواني	35
قبره في زاويته بقرب سوق الخضر	-	سيدي طراد القمودي	36
مدفون في مصلى في طرف حومة الباي	-	سيدي محمد الداروني	37
زاويته معروفة إلى اليوم بحومة الأشراف	أواسط القرن 15/9	عطاء الله السلمي	38
جوار أبيه	-	علي بن عطاء الله السلمي	39
حذو جامع الأنصار	-	أبو محمد عبد العالي السليماني	40
حذو جامع الأنصار	-	أبو العباس أحمد الرنان	41
حذو جامع الأنصار	-	الشيخ سليمان البربري	42

الجدول 3 : صلحاء المقبرة البلوية

معلومات عن قبره	تاريخ وفاته هـ/م	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
قبره بزاويته	النصف	أبو زمعة البلوي	43

المعروفة بالزاوية الصحابية	الأول من القرن 1هـ		
تذكر له المصادر أنه بنى دارا قرب باب الريح	719/100	التابعي الجليل حنش بن عبد الله الصنعاني	44
على قبره قبة على قدر قامة	-	الشيخ علي الخياط	45
زاويته قبلية المفتح بطرف البلوية	1627/1036	الشيخ علي العيوني	46
-	-	محمد بن يحي بن سلام التميمي	47
-	النصف الثاني من القرن 8هـ/14م	الشيخ أبي علي المسراتي	48
-	1435/839	الشيخ ابن ناجي	49
-	ق9/15	أبي زيد بن يوسف المليلي	50
رجال مدفونون بسجد السبت	-	رجال الدمنة بمسجد السبت وعددهم 15 منهم محمد الأنصاري وأبو إسحاق إبراهيم الضرير والشيخ أحمد بن معتب	51

الجدول 4 : صلحاء مقبرة باب تونس

معلومات عن قبره	تاريخ وفاته هـ/م	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
مدفون قرب	-	الشيخ خليفة عم ابن ناجي	52

			الفسقية الكبرى
53	الشيخ علي العبيدلي مقرئ الجن	حوالي 1347/748	-
54	عبد الناظر بن سليم الماطوسي	-1364/766 1365	-
55	الشيخ الدرواز	-	-
56	الشيخ أبو داود الرهداني	1250/648	يعد قبره مزارا منذ زمن ابن ناجي
57	أبي سعيد البراذعي	-1046/348 1047	يذكر ابن ناجي أن على قبره لوح مكتوب
58	عبد السلام بن عبد الغالب المسراتي	-1248/646 1249	-
59	الشيخ إبراهيم بن عبد السلام المسراتي	1305/704	-
60	أبو بكر بن عبد الرحمن الخولاني	-1003/394 1004	موضع قبره كان مشهورا زمن ابن ناجي
61	والد أبي بكر بن عبد الرحمن الخولاني	-	-
62	الشيخ غيث بن قاسم الحكيمي	-684 -1285/685 1286	-
63	الشيخ خليفة اللواتي تلميذ العبيدلي	ق14/8	قبره على شفير أحد فسقيات القيروان
64	القطب عبد الحميد	-	قبره كان مزارا في

القرن 15/9		الشنيشي	
تعلو قبره قبة بالموضع المعروف بالحطبية	1731/1144-1732	سعيد الحرباوي	65
دفن في دار بناها قرب "درب الأزهر"	718/100-719	التابعي الجليل المشهور أبو عبد الله الحبلي	66
-	-	إبراهيم بن أحمد الربعي	67
-	-	محمد بن إبراهيم الربعي	68
-	-	ولد محمد بن إبراهيم الربعي	69
-	1044/435	الشيخ أبو طاعة ابن طولون	70
حسب ابن ناجي قبره "قرب حوطة الشيخ القابسي" وعليه نقيشة	1047/438	أبو بكر ابن الشيخ أبو طاعة ابن طولون	71
-	1316/716	الشيخ أبو محمد الهسكوري	72
هل يتعلق الأمر بمشهد بناه أهل القيروان للتبرك بالمالكي؟	منتصف القرن 11/5	الشيخ المؤرخ أبو بكر المالكي	73
-	النصف الثاني من القرن 14/8	الشيخ محمد القلال	74
قبره معروف إلى اليوم	1012/403	أبو الحسن علي القابسي	75
توفي قبل والده وقبره بجانب حوطة أبيه	999/390	أبن أبي الحسن القابسي	76

قبره معروف بجانب فسقية القيروان	1224/621	الشيخ أبو يوسف الدهماني	77
دفن على الأرجح قرب ضريح أستاذه الدهماني	-	سرور تلميذ الدهماني	78
مدفون بمقبرة تونس بربوة معروفة بربوة آل الدباغ	1300/699	أبو زيد عبد الرحمن الدباغ	79
مدفون بمقبرة تونس بربوة معروفة بربوة آل الدباغ	-	محمد والد عبد الرحمان الدباغ	80
مدفونون بمقبرة تونس بربوة معروفة بربوة آل الدباغ	-	ستة أقرباء لأبي زيد الدباغ	81
حسب معالم الإيمان قبره قرب القابسي	أواخر القرن14/8	سيدي أبو عمران موسى المناري	82
قرب قبر أبيهم	القرن15/9؟	خمسة أبناء لموسى المناري "ولهم مناقب وكرامات"	83

الجدول 5 : صلحاء مقبرة سلم المسماة أيضا مقبرة قريش أو الجناح الأخضر عند أهل القيروان وأولياء مقبرة سيدي عرفة المعروفة أيضا بالرمادية وهما مقبرتان متجاورتان

	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	تاريخ وفاته هـ/م	معلومات عن قبره
84	الشيخ محمد بن نصر المتعبد المعروف بالغنمي	928/316	-
85	البهلول بن راشد تلميذ الإمام مالك	799/183	حسب الدباغ قبره كان مشهورا
86	جبلة بن حمود الصدفي تلميذ سحنون	-911/299 912	قرب قبر البهلول
87	الشيخ يوسف بن حسون المقري	قبل 1184/580	دفن إزاء قبر البهلول
88	الشيخ الأجزي	-	-
89	أبو زكرياء الحفري	851/237	قرب قبر البهلول على شفير بير أم عياض
90	الشيخ محمد بن الجزار	-	-
91	القاضي أبو الربيع سليمان بن عمران	879/270	حسب ابن ناجي قبره من المزارات المشهورة بالقيروان
92	الشيخ أبو داود العطار	859/244	-
93	الشيخ أبو الحسن بن الساحلي المعروف بغاسل الموتى	1006/397	-

94	الشيخ أبو بكر السوسي	-	-
95	الشيخ إبراهيم بن عوانه	-	قبره قرب مسجد التوفيق
96	عبد الملك بن عوانة جد الشيخ ابراهيم	-	قبره قرب مسجد التوفيق
97	عائشة المنوبية	1266/665	-
98	الشيخ فرج أبو الشمال	-	حسب الكناني "على ضريحه قبة شرقية المفتح بلصق مسجد التوفيق"
99	الزريبي الشريف	-	بربض القرقابية
100	الشيخ منصور العريان	-	-
101	الشيخ عبد الكريم بن خليفة	-	-
102	الشيخ محمد بن قوتة	-	بطرف ربض الظهرة
103	الشيخة أم سحنون	-	قبتها بين ربض البراشنة وربض الحديد
104	أبو القاسم المعرف بابن الكاتب	1017/408	دفن بدار بناها قرب مقبرة باب سلم
105	الإمام أبي إسحاق التونسي	1051/443	-
106	عبد الله بن التبان	981/371	ذكر ابن ناجي أن قبره في عصره كان "غير ظاهر"

107	عمرون بن خيرون	956/347	-
108	أحمد بن مخلوف الشابي الشيخ عرفة	-	هو على حد التقاء مقبرتي الجناح الأخضر والرمادية
109	أخوين للشيخ عرفة	-	بقرب أخيهما المشار إليه
110	محمد بن قليل الهم	1433/837	-
111	أربعون صبيا ومؤدبتهن	-	-
112	الشيخ الصوفي عبد الوارث بن معتب	-371-981/372-983	-
113	أبو موسى بن مناس	-390-1000/391-1001	-
114	أبو بكر الخزاعي	أواخر ق10/4؟	-
115	أبو بكر ابن اللباد	944/333	قبره على شفير "حفير كبير"
117	الشيخ ثابت الدهماني	-	-
118	سيدي أبو القاسم عبد الخالق بن خلف بن شبلون المتعبد	1000/390	يذكر في معالم الإيمان أنه دفن بداره ثم نقل إلى باب سلم؟
119	الشيخ أبو محمد عبد الله بن خليل التونسي	889/276	-
120	عبد الله بن مسعود	-	هي زاوية الرنان

المنياوي اليوم		المنياوي	
-	-	الشيخ أبو يوسف يعقوب الزعبي	121
-	-	الشيخ عامر أبن أخ الزعبي	122
-	1049/441	الشيخ أبو عم بعثمان بن رشيق الفقيه	123
-	1012/403	علي بن حمديس القطان	124
-	-	الشيخ ابن قضيب الذهب	125
-	-891/278 892	محمد بن زرقون المعروف بالطيارة	127
-	-	الطاهر المناوي	128
-	1183/579	سيدي يحي بن أبي عوانة الشريف الحسيني	129
-	أواسط ق16/10	الشيخ عبد الجليل بن عظوم	130
-	-	محمد عظوم أب الشيخ عبد الجليل	131
-	999/390	الشيخ ابن شبلون	132
-	-	حفيد الشيخ ابن شبلون	133
-	-	أبو القاسم صولات المزاتي	134
-	1045/437	الشيخ أبو علي الحسن بن محمد بن الجدود اللواتي	135
-	-	أبو القاسم الطرزي	136
-	912/300	محمد بن خيرون المعافري الأندلسي	137
-	-	والد ابن خيرون	138
-	ق10/4	الشيخ أبو محمد عبد الله	139

	بن محمد اللمائي		
140	أبو العباس البلوي	1437/841	-
141	الشيخ الفقيه الحاج محمد بن أبي عبد الله محمد الغمادي	-	قبره يشرف على أرض تعرف ببير السلطان
142	أبو علي حسن بن خلدون البلوي 1016/407	-	-
143	علي وفاطمة من ذرية زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب	-	-
144	الشيخ شقران بن علي الهمذاني	802/186	-
145	قبور 70 وليا	-	إزاء قبر شقران (هكذا) انظر التفصيل بين الصفحات 136-129
146	تميم بن المعز بن باديس	1111/505	-
147	الشيخ أبو حفص عبد الجبار بن خالد بن عمران السرتي	894/281	-
148	فاطمة بنت علي بن الأمير تميم	-	-
149	أبو علي حسين بن الأمير تميم	-	-
150	الشيخ أبو عمرو هاشم بن مسرور التميمي	919/307	-

151	القاضي عبد التميمي	ق10/4	-
152	أبو جعفر القصري	-	-
153	أبو القاسم بن حمديس القطان	1090/483	-
154	عبد الله بن يزيد الحبلي	أواخر ق1هـ	-
155	جعفر بن نصيف	971/361	-
156	الشيخ أبو الفضل العراقي	1008/399	-
157	السيخ أبو حفص عمر بن العطار	-	-
158	جماعة الكفالة	-	إزاء قبر أبو حفص العطار
159	الشيخ رباح بن يزيد اللخمي	788/172	-
160	الشيخ محمد الرباوي المعروف بطي الأرض	1299/699	-
161	عيسى بن يعيش	-	-
162	الشيخ أبي الحسن بن نصر الزعفراني	972/362	-

الجدول 6: بعض صلحاء الأرباض

	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	تاريخ وفاته هـ/م	معلومات عن قبره
163	الشيخ علي النجار	-	ربض زواغة
164	الشيخ مسعود بحر	-	ربض زواغة
165	أحد شيوخ ابن ناجي	-	رباط (هكذا) الجبلية
166	علي المصادم (مزدام)	-	وسط الرحيبة

-	-	سيدي سليم	167
-	-	قاسم البردوي	168
-	ق12هـ	الشيخ قعيب الجعفري	169
-	-	الشيخ سليمان البكوش	170
قبره قرب باب تونس	1763/1177-1764	أبو العباس أحمد السقني	171
ربض الحطبية	1776/1190	الشيخ أبو العباس أحمد القلال	172
بربض الصفيحة	-	سيدي علي بن دخيل	173
بزقاق قرب جامع الزيتونة بربض الصفيحة	-	سيدي منصور الفيض	174
قبته بوسط طريق بربض الصفيحة	-	سيدي محمد العجمي	175
ربض الصفيحة	-	سيدي أحمد بوتليس	176
ربض الصفيحة	-	سالم بن نشاب التميمي	177

الجدول 7 : مقبرة باب أبي الربيع

معلومات عن المقبرة	العصر	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
لا يذكر المعسكري أصحاب قبورها وهو دليل على اندثارها خلال زيارته للمدينة في أواخر القرن 18 وبداية القرن 19 ميلاديين. يقول :"بها من الأولياء ما لا يعلم عدده إلا الله تعالى، بل وكذلك في كل نواحي القيروان. لما روي أن رجلا من الفضلاء أتى القيروان، فلما كان على أميال منها قال: يا رب أين أبول؟ لما يعلم أن أرضه ملآنة بالأولياء."			178

يبدو أن اندثار المقبرة مرتبط بعوامل طبيعية لمرور أودية حول المدينة المسورة أدى فيضانها في فترات عديدة إلى تغيرات في المشهد العمراني للقيروان	

الجدول 8 : مقبرة باب نافع

معلومات عن قبره	تاريخ وفاته هـ/م	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	
	854/240	الإمام سحنون	179
-	-	أب وأبناء الإمام سحنون مدفونون بجانب مشهد الإمام	180
-	854/239	الشيخ عون بن يوسف الخزاعي	181
-	-916/304 917	القاضي حماس بن مروان	182
-	-873/260 874	ابن عبدوس تلميذ الإمام سحنون	183
-	-879/266 880	إسحاق أخ ابن عبدوس	184
-	ق9/3	شجرة تلميذ الإمام سحنون	185
-	811/196	القاضي عبد الله بن غانم	186
-	-	أربعة أولاد للقاضي عبد الله بن غانم	187
-	-	إسحاق الشيرازي	188
-	-	أبو الرجال السباغ	189

190	أبو مالك الدباغ	972/361	-
191	أبو بكر بن أنجب	-	-
192	الشيخ ابن ثوبان	-	-
193	عروس المؤذن	929/317	-
194	الشيخ سليمان الشهيد	-	-
195	مونسة المسترضية	-	-

الجدول 9 : قبور لم يذكر المعسكري موضعها

	الاسم والصفة كما وردتا في نص أبي راس	تاريخ وفاته هـ/م	معلومات عن قبره
196	الشيخ عاشور الغناي	-	-
197	الشيخ سلامة الهرقلي	-	-
198	الشيخ أحمد بن بريك	-	-
199	عبد الله بن فروخ الفارسي	792/176	-

الوثيقة الرابعة : خريطة مقابر القيروان



الوثيقة الخامسة: صور قديمة وحالية لبعض مشاهد القيروان



Une tombe riche à Kairouan.

Marabout de Sidi Zeribi.



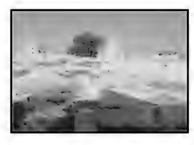
قبة أبي يزيد بن رباح اللخمي بمقبرة باب سلم
المعروفة اليوم مقبرة قريش



قبر زينب بنت عمر بن الخطاب بمقبرة باب سلم وعليها لوحة رخامية جديدة



ضريح الإمام سحنون بالمكان القديم لمقبرة باب نافع



منظر عام للقباب المنتشرة بمقبرة قريش

الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز
تأليف الشيخ العربي بن عبد الله المعسكري
عرض وتقديم

د.حبيب بوزوادة، جامعة معسكر

أدب الرحلة:

يعتبر فن الرحلة واحدا من أخصب فنون الكتابة الأدبية، ففي هذا الجنس الأدبي يمكن أن تتعانق القيم الفنية والجمالية مع الحمولة الفكرية المعرفية. فالكتابة الرحلية تضيف إلى القارئ من الإمتاع واللذة بنفس القدر الذي تضيفه إليه من الأخبار والطرائف والأحداث... إنها نوع من الكتابة يقوم على الحركة ضمن مختلف الأصعدة، على "صعيد المكان" تصويرا وتقريبا وتحويرا، وعلى "صعيد الزمان" تكثيفا وتمديدا، وعلى "صعيد اللغة" تطويعا، لتناسب طبيعة السرد وشعرية الروح. قد تكون الكتابة الرحلية من الكتابات المشوقة، لحركتها الثلاثية التي ذكرنا، ولكن أيضا لحمولتها الفكرية، وثراء التجربة فيها، لأن الرحلة في المقام الأول تجربة، أو تجارب متعددة في مسار زمني معين، وضمن حراك مكاني محدد.

فالإنسان كان وسيظل تواقا لاستطلاع الكون، شغوفا بمعرفة تجارب الآخرين، آملا في أن يطوف العالم، يقول شوقي ضيف: "الإنسان ولد راحلا، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مبثوثا في الأساطير الأولى، كما نجده ماثلا في الحروب والفتوح القديمة" (ضيف، ش. 1988: 7). وحينئذ تصبح قراءة الرحلات ومطالعتها طريقا من طرق الارتحال

والتطواف في البلدان، من دون مبارحة المكان. وبالرجوع إلى تراثنا العربي سنجد عددا كبيرا لا يكاد يحصى من الرحلات المكتوبة شعرا أو نثرا، تنقل أصحابها في أرجاء الكون الأربع، لمختلف الدواعي والأسباب، فمنها الاستكشافية والتجارية والجغرافية لوضع الخرائط وتحديد الأقاليم والبلدان، والدينية للحج ونحوه، والعلمية طلبا للإجازات ولزيارة المعاهد المنتشرة في الأرجاء، ومنها التي لأجل السفارة السياسية والدبلوماسية. كل ذلك يعكس أمرين أساسيين:

أولا: حضور النزعة التوثيقية التسجيلية في شخصية الرحالين العرب، فهم لا يكتفون بأداء المهام التي رحلوا من أجلها، وإنما يفضلون تسجيل انطباعاتهم، وتصوير مشاهداتهم، لنقل الفائدة إلى الآخرين.

ثانيا: تجاوز الرؤية الضيقة التي تقدس البيت والقبيلة والموطن الأول، والنظر بموضوعية وإنصاف إلى العالم، الذي فيه من الحقائق والمستجدات ما يغري بالارتحال إليها، والاطلاع عليها عن قرب، ليكون هذا النوع من الأدب تعبيرا عن رؤيا مغايرة للأشياء، لا تقوم على تمجيد مسقط الرأس والذود عنه، وعدم مبارحته، وإنما على التطلع إلى البلدان البعيدة، إيمانا بأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق بها. فالرحالة يعتقد جازما بأن ليس للحكمة وطنا خاصا، وليست حكرا على قومه وبني جنسه.

الرحلات الحجازية:

وتعتبر الرحلات الحجازية من أكثر أنواع الرحلات شيوعا في الأدب المغاربي عموما، وفي الأدب الجزائري على وجه الخصوص،

بسبب ارتباط المسلمين الوثيق بمهوى أفئدتهم، ومسرى رسولهم، ولأن الرحلة نفسها تأتي استجابة لدعوة نبوية كريمة، نص عليها الحديث المشهور: " **لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول، والمسجد الأقصى**"، وبناء على هذا النص النبوي "قصد جمهور من الأدباء والعلماء الأندلسيين والمغاربة البقاع المقدسة، وبرعوا في وصف رحيلهم وإقامتهم، حتى أصبحت كتبهم دليلا لمن ينوي السفر، ومرشدا لمن يحذر الخطر" (بلحميسي، م. 1981: 12)، وفي هذا السياق تأتي رحلة الشيخ العربي بن عبد الله التي نشرف بتقديمها. وبالإضافة إلى الترغيب النبوي -المتقدم- في زيارة الديار الحجازية، تأتي أسباب أخرى من بينها:

أ.المبادرة إلى أداء فريضة الحج قبل الفوت، ومشاهدة معاهد الإسلام الأولى في مكة والمدينة.

ب.طلب العلم، والرغبة في لقاء أهله، وقد كانت بلاد الحجاز تاريخيا مستقر العلماء، وموئل الفضلاء، ومجمع النبلاء، فلا جرم أن يتعلق القلب بالرحلة نحوها والظعن إليها (رستم، م. 1997: 82).

رحلة المؤلف:

تعتبر رحلة "***الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز***" حلقة في سلسلة من الرحلات التي قام فيها مؤلفوها بتسجيل مشاهداتهم وخواطرهم وآرائهم الفقهية وإبداعاتهم الأدبية ومواقفهم من المجتمعات التي زاروها... هذه الرحلات التي طبع بعضها، وما يزال بعضها الآخر مخطوطا أسير المكتبات، أو ضاع فيما ضاع من تراثنا

الجزائري، وقد تمكنت من الوصول إلى ما طبع من هذه الرحلات واطعت عليها فآثرت أن أشير إليها هنا، كما أشير إلى رحلتين مخطوطتين دلت المصادر على مؤلفيهما ومكان وجودهما، وهي هذه:

1.رحلة أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني (781هـ)، تحدث عنها ضمن كتابه "المناقب المرزوقية"، بتحقيق الأستاذة سلوى الزاهري، المطبوع سنة 2008م بالمغرب.

2. رحلة المقري (1041هـ) حققها محمد بن معمر، وطبعها سنة 2004 بدار الرشاد.

3.رحلة عبد الرحمن المجاجي (تاريخ الرحلة 1063هـ)، وهي منظومة شعرية في الرحلة إلى الحجاز، بتحقيق حبيب بوزوادة يسر الله طبعها

4.رحلة عبد القادر المشرفي (1192هـ)، وهي مخطوطة بزاوية الهامل بالجنوب الجزائري (الركيبي، ع. 1981: 49).

5.رحلة الورثيلاني (1193هـ) المسماة: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، حققها الدكتور محمد بن أبي شنب، وطبعت أول مرة سنة 1908م.

6.رحلة ابن حمادوش (1197هـ) المسماة: " لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال". بتحقيق الدكتور أبي القاسم سعد الله، وطبعت سنة 1983م.

7.رحلة ابن عمار (1205هـ) المسماة: "نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب" ، وقد حقق الدكتور ابن أبي شنب نبذة منها ونشرها سنة 1902م.

8"الرحلة القمرية في السيرة المحمدية"، تأليف مصطفى بن عبد الله الدحاوي (**1215**هـ)، مخطوط رقم **3322**، المكتبة الوطنية، الجزائر (غالم، م. **2008** : **184**).

9. ."رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي الجزائري" ، تأليف أحمد بن هطال التلمساني (**1219**هـ)، حققها لدكتور محمد بن عبد الكريم، وقد طبعت أكثر من مرة.

10.رحلة أبي راس الناصري (**1238**هـ) المسماة: "رحلتي للمشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"، وهي الفصل الثالث من سيرته الذاتية المسماة فتح الإله ومنته، تحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم، وطبعت سنة **1990**م. أما رحلة الحقيقة والمجاز التي أقدمها فإنها فريدة في بابها، غريبة في شكلها، غنية في مضمونها، حافلة بالفوائد والفرائد في اللغة، والشعر، والألغاز، والتفسير، والفقه، وعلم الكلام، والأنساب، والتراجم، والتاريخ، ووصف البلدان، والتصوف، والزهد، والثقافة العامة. وبالجملة فإن رحلة العربي بن عبد الله فضلا عن موضوعها الأساس وهو تقديم نص تسجيلي لما شاهده في رحلته إلى الحجاز ومنه، تقوم على تقديم كمٍّ من المعارف والمعلومات التي يفرضها المنهج الاستطرادي الذي تقوم عليه الكتابة يومئذ.

وتنبني رحلة الشيخ العربي في هيكلها العام على مسارين استطاع الرحالة أن يؤلف بينهما باقتدار، "**المسار الأول**" وهو الرحلة الحسية في جانبها المادي، التي قام بها الشيخ انطلاقا من بيته قاصدا بيت الله الحرام، بغرض أداء فريضة الحج، مع ما مر به من المدائن والبلدان، وما لقيه من العامة أو المشايخ والأعيان، وما

حصل له في الطريق من الأهوال والصعاب... أما "**المسار الثاني**" فهو الرحلة الروحية الموازية للرحلة البدنية والمرافقة لها، والتي هي في حقيقة الأمر الثمرة والغاية، لذلك فإن جميع ما يواجهه الشيخ في طريقه يفسره تفسيرا عرفانيا، قائما على نظرية صوفية لا تحفل كثيرا بالماديات بقدر اهتمامها بما هو روحي باطني. وهذا هو السبب الذي دفعه لأن يسمى رحلته بـ: "الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز"، لأن الرحلة التي قام بها المؤلف رحلتان لا رحلة واحدة، رحلة في عالم الأشباح، وأخرى في عالم الأرواح. وانطلاقا من هذه الوجهة نجد المؤلف يعطي تفسيرات غيبية عرفانية للكثير مما واجهه في طريقه، من المدن والأشخاص والأحوال المختلفة، فخلال حديثه مثلا عن محطة "**تيزي**" القريبة من معسكر، يعقب تعقيبا غيبيا مجازيا يقول فيه:" **إن لفظة تيزي هو كلام أعجمي بربري، ولكن يطلق الإشارة إن (تي) اسم إشارة، أي هاته (زي)، من الأزياء العظام. وإن التاء الموقوف عليها هاء في آخر مكة والكعبة كانت أول كلمة تيزي، ولذلك إن هاته التاء إن جر كسرها لا تدخل إلا على اسم الله الأعظم عند القسم، وهي إشارة إلى أن الوجود كله تاء التعينات والتعددات والتجليات تأنيسا للمحب المريد الصفية والزكية**" (بن عبد الله، ع. مخطوط:66). فهذا النمط من التفسير كثير وشائع في هذه الرحلة، في سعي من المؤلف أن يعبر عن الرحلة المزدوجة التي مر بها في مسيره إلى الحجاز ومنه، فهو يريد أن يشرك القارئ في رحلته الروحية الصوفية بنفس قدر اشتراكه في رحلته المادية البدنية.

وقفات مع نص الحقيقة والمجاز:

إن القراءة الواعية لنص الرحلة تستوقف المتلقي في عدة محطات تخص شكلها ومضمونها معا، تلمس جوانبها المختلفة سلبية كانت أو إيجابية، وقد تمثلتها كالآتي:

الوقفة الأولى:

كثرة الأخطاء اللغوية، فلا تكاد صفحة من الصفحات تخلو من خطأ نحوي أو صرفي أو إملائي أو عروضي، مما يعكس المستوى اللغوي الضعيف للناسخ، ولم ننسبها للمؤلف بسبب سذاجة تلكم الأخطاء، مثال ذلك معاملة الاسم المنقوص معاملة الصحيح، ككلمة (وادي) التي غالبا ما وردت هكذا (واد) بلا ياء، رفعا ونصبا وجرا، بالحركات الظاهرة حتى في حال الإضافة، نحو قوله (واد الحمام)، و(واد ماوسة)، و(واد فرقوف)، والصواب أن يقول: (وادي الحمام)، و(وادي ماوسة)، و(وادي فرقوف). وهناك أخطاء نحوية تتعلق بضبط الكلمات، كرفع المنصوب، أو جر المرفوع، أو تنوين غير المنون وغيرها، ومن ذلك في الرحلة: (فأينما تولي ترى وجه الله)، والصواب (فأينما تولوا تر وجه الله) ، لأن (أينما) تجزم فعلين، وهما فعل الشرط وجوابه. كما وردت أخطاء تتعلق بالرسم والإملاء، مما يدل على أن الناسخ كان يكتب الكلمات كما يسمعها، أو كما تعود كتابتها، كعدم تفريقه بين الضاد والظاء، أو إثبات الألف في المحل الذي تنطق فيه ولا تكتب، ومثاله: المعناوية، والتيقض، ويحضى، وملاقات، وأرقا، وهاذه، وخِلى، وصوابها: المعنوية، والتيقظ، ويحظى، وملاقاة، وأرقى، وهذه، وخِلال. وقد صوبتها من دون الإشارة

إليها في الهامش، لاعتقادي أن ذلك لا يبعث على الالتباس، ولا يخل بالمنهج العلمي المتبع في التحقيق. أما في العروض فإن الشعر الذي نظمه المؤلف، أو بعض ما أنشده لغيره، لا يصح أن يسمى شعرا إلا تجاوزا، لبعده عن إيقاع العرب وموسيقاها وبحورها، كقوله(بن عبد الله، ع. مخطوط: 22):

عقد القلب السفـــــــر ... كـــ نون قد سفو

وعـــــ نب القلب السهو ... وطـــــ رم نار الفكو

وجــــــ خ العقل الجمو ... ح بعـــــ بما قد مر

إلى فـــــ رووس البسيطة ... بـــــ دوا أو حضـــر

يا قـــــــ لب ويحك إن ها ... نا سيدي الشيخ الأو

فهذا نظم لا يستسيغه من له أدنى معرفة بالشعر العربي. أما النصوص التي أنشدها المؤلف لكبار الأدباء ومبدعي الشعر فإنها كانت موزونة صحيحة، إلا ما كان من بعض الهفوات التي يمكن تصحيحها بمراجعة الدواوين الأصلية.

الوقفة الثانية: عدم الاتفاق على ضبطٍ واحدٍ لأسماء الأعلام، فتجد الاسم الواحد يأتي في عدة صور من الضبط، مثل: (المعلى ومعلاة والمعلاة)، أو (تاسلة وتاسالة)، أو (ينبع وينبوع)..

الوقفة الثالثة: تردد المؤلف في بعض أحكامه بين التسليم والانتقاد، فهو يدعو إلى التمسك بالكتاب والسنة واعتبارهما الفيصل بين الولي والدعي، ثم تجده يميل إلى مذهب التسليم وعدم الإنكار، مثال الأولى قوله: " **فإن كل حقيقةٍ لا يشهد عليها الكتاب والسنة فهي إلحاد وزندقة**" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 238)، وهذا

مبدأ أساسي من مبادئ الفقهاء وأهل الظاهر، ومثال الطريقة الثانية قوله: " **إن الاعتراض على المشايخ والفقراء سبب للهلاك، وعنوان على الشقاوة، قال السنوسي في كتابه نصرة الفقير: إياك ثم إياك والنكر على الفقراء، وإن كانوا جهلا بالآي والأحاديث، فإنهم موصوفون بالإيمان من حيث الذكر، وأنت موصوف بالنفاق من حيث النكر**" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 89). فالمؤلف - رحمه الله- لم يحدد موقفه بشكل حاسم من مسألة الإنكار على المشايخ، فهو من جهة يتبنى الرأي القائل بضرورة الاحتكام إلى الكتاب والسنة للتمييز بين الأولياء والأدعياء والزنادقة، ومن جهة أخرى نجده يركن إلى الرأي القائل بالتسليم وإحسان الظن بالفقراء والمتصوفة، وإن كان حظهم من معرفة الكتاب والسنة نزرا قليلا.

الوقفة الرابعة: حديث المؤلف عن تخلف العرب والمسلمين، وتحليله بشكل علمي، بعيد عن التفسير الغيبي الذي غالبا ما يطبع نقاشات المتصوفة، وهو ما يعكس تحرر المؤلف وعدم سقوطه في فخ التفاسير العقيمة التي تروج لبعض المقولات التي ترفع المسؤولية عن الفرد، مرجعة كل المشاكل الكبرى التي تتعرض لها الأمة إلى القضاء والقدر فقط، مما يستوجب على المكلف الصبر والتسليم من دون تحمل أي تبعات، لذلك فإن قراءة الشيخ العربي بن عبد الله لواقع العرب والمسلمين، كشف عن شخصية قادرة على التحليل والتشخيص، ورد المسببات إلى أسبابها الموضوعية، فالشيخ يقول خلال حديثه عن عوامل التخلف العربي: " **والسبب الوحيد في ذلك والله أعلم عدم الاحتراف، فكسدت بذلك أسواق العلم**

والمـعارف، والغالب على أهل الطبع أنهم أشراف وأهل بيوت" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 225).

الوقفة الخامسة: تنويع الأسلوب بحسب المقامات المختلفة، فعند القيام بقراءة نقدية لطريقة الكتابة عند الرحالة ابن عبد الله، نجدها ترتكز على خاصية التنويع الأسلوبي، فالكتابة لا تسير في اتجاه خطي ثابت، ولكنها تتخذ أشكالا مختلفة ومستويات عدة: فقد يكون المستوى أدبيا راقيا، على طريقة الكتابة المقامية، كما في قوله يتشوق لزيارة بيت الله الحرام: "هنا وإني لماكي ملأمن، واشتد الحنين والقـ ـلب بمرارة كأس الصبر شارب، والأهواء مناهب ومشارب، وهو في سر الكتم من حر ه لا يطاق، وصار لا يفرق بين حمرة وذات النطاق، بل ار تدى بالأشواق، ومن الأطواق، وصاح وباح، بعدما كتم المباح.." (بن عبد الله، ع. مخطوط: 20).أو يكون الأسلوب علميا قائما على الدقة في التعبير، والبعد عن التصنع، والتخلي عن المجاز إلا عند الضرورة القاهرة، مع توظيف الألفاظ الاصطلاحية التي لها شأن علمي وخلفية معرفية، كل ذلك بأسلوب مقالي (نسبة إلى المقالة) موجز، يهدف إلى الإقناع بأيسر سبيل، من دون إطالة أو غوص في المسائل التفصيلية، لئلا تضيع الأفكار سدى، ويرجع القارئ بعد عناء بلا طائل، مثال ذلك هذه الفقرة الوعظية"ولو كان المسلمون يتدبرون القرآن ويتفكرون في آثار معجزاته، وأنوار هدايته، وعظم آياته، وكمال فصاحته، وجمال بلاغته، وجزالة ألفاظه، ورزانة معانيه، ومتانة مبانيه، وفي أسراره وحقائقه، ودقة إشارته ولطائفه، وأنواع معالجته لأمراض القلوب، لوجدوا فيه لكل داء دواء، ولكل مرض شفاء، قال الله

تعالى: ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ (الأنعام:38)" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 238). ونحو قوله متحدثا عن تاريخ العرب العلمي: "**والعرب من قوة الحافظة وحدة الفكر ما لا يسع أحدا إنكاره وإن العلوم الرياضية قد صادق فيها العرب المرمى، وقد شرح العرب كتاب إقليدس، وهذبوا تاريخ بطليموس، وحرروا تعريج منطقة البروج، كما حرروا الفرق بين أوقات الاعتدال، والفرق بين السنين الشمسية والزمانية، فوجدوا بين السنة الشمسية والزمانية عدة دقائق**" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 223)، وغير ذلك من النماذج على الكتابة العلمية في هذه الرحلة.

بيئة المؤلف:

ينحدر الشيخ العربي بن عبد الله من مدينة معسكر، وهي إحدى قلاع العلم والجهاد في القطر الجزائري، وقاعدة الوطن الراشدي، الذي يمتد من جبل مناور شرقا، إلى جبل كرسوط غربا، ومن القلعة شمالا، إلى وادي البنيان جنوبا. ويرجع تاريخ بنائها إلى القرن السابع الهجري، في عهد الزيانيين أمراء تلمسان، فقد اتخذها يغمراسن قاعدة عسكرية لمقاتلة أعدائه بني توجين في تيهرت، مستعينا بقبائل الحشم الموالين له، ولذلك سميت "**معسكر**". ويقال إن تأسيسها يرجع إلى راشد بن مرشد القرشي في القرن الثاني الهجري، الذي استضاف بها إدريس الأكبر ابن عبد الله الكامل وأخاه سليمان، ومكثا عنده في معسكر ستة أشهر، ومنها انتقل إدريس وراشد إلى المغرب الأقصى (بلبكار، ب.1961 :33-34). وسكان معسكر يتألفون من أصل تركي وعربي وبربري، ونرى بين هؤلاء كثيرا من الكراغلة (خوجة، ح. 1972: 74) ، واستوطنها الأشراف الفاطميون

في أوقات مختلفة، أولهم سليمان بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن فاطمة الزهراء، وكان للأشراف عناية بالغة بالعلم وأهله، فأسسوا الزوايا، وأوقفوا عليها الأموال، ووظفوا بها أجلة المدرسين، مما جعل المدينة مقصد العلماء وموئل الطلاب (الغريسي، م.1961 :373).

ولقد ساعد تحول المدينة -خلال العهد العثماني- إلى عاصمة لبايلك الغرب على تألقها وازدهارها علميا وثقافيا، وخصوصا في الفترة التي تولى فيها الباي محمد بن عثمان الكبير شؤون الإيالة الغربية، فقد قرب العلماء وأدناهم منه، وأجزل لهم العطايا، وأكرم الشعراء. وانتشرت بمدينة معسكر الزوايا العلمية، والمعاهد الشرعية، حتى بلغت العشرات، تعتني بالقرآن وبمختلف العلوم اللغوية والدينية، وبالفلسفة والمنطق والحساب والفلك والتاريخ وغيرها، مما أهلها لأن تقود القاطرة العلمية في الجهة الغربية للجزائر، خلال القرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر الهجرية (الغريسي، م. 1961 :373)، بما جعلها في منافسة حادة مع مدينة تلمسان (العابدين، ب. 2004 :26). فمنها انطلق الجيش الذي حرر وهران من الإسبان بعد نحو ثلاثة قرون من الاحتلال، وقد كان ضمن المجاهدين أكثر من خمسمائة طالب علم معسكري، ويكفي أن معسكر أنجبت من العلماء البارزين العدد الكثير، ممن لهم إسهامات خالدة في التأليف والتعليم، وفي التربية والتنشئة الطيبة، ومنهم على سبيل المثال:

* العلامة عبد القادر المشرفي (1192هـ)، صاحب كتاب "بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كبني عامر".

* العلامة أبو راس الناصري (1238هـ) صاحب "شرح الحلل السندسية"، و"شرح العقيقة"، و"عجائب السفار ولطائف الأخبار" وغيرها.

* الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري (1300هـ)، العالم المجاهد، مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، وكفاه فخرا.

* أبو حامد العربي المشرفي (1313هـ)، الأديب المؤرخ، صاحب " ذخيرة الأواخر والأول، فيما يتضمن من أخبار الدول".

ففي هذه المدينة العلمية، وضمن هذا المناخ الثقافي ولد وتربى ونشأ الشيخ العربي بن عبد الله صاحب الرحلة، فضلا على كونه سليل عائلة علمية عريقة، ووريث زاوية عامرة بمعسكر.

عائلة المؤلف:

ينتمي الشيخ العربي بن عبد الله إلى واحدة من العائلات العلمية العريقة في مدينة معسكر، أهمها والده الشيخ ابن عبد الله، وشقيقه عبد القادر.

1.التعريف بوالد المؤلف:

هو الشيخ ابن عبد الله بن عبد القادر، الحسيني نسبا الأشعري عقيدة المالكي مذهبا الدرقاوي طريقة من نسل الولي سيدي أحمد بن علي، دفين أرض غريس، ولد ببلدة ماوسة شرقي مدينة معسكر سنة (1243هـ) تقريبا، كان أبوه عبد القادر من الصوفية المجاذيب، لكن الابن "**كان سالكا لا يفوته شيء من أنواع الشريعة**" (بن عبد الله، ع. مخطوط : 85)، حفظ القرآن الكريم وأجاده على الشيخ ابن البكاي ببلدة سيف، وتلقى علوم اللغة والشريعة بزوايا معسكر، لينتقل إلى المعاهد الدينية المنتشرة في الجهة الغربية للجزائر،

خصوصا وهران، ووادي الشلف، عند شيخه سيدي عدة بن غلام الله، الذي أذن له بتلقين أوراد الطريقة الصوفية الدرقاوية، ولما حصل الشيخ ابن عبد الله ما شاء الله من العلوم، وبعد أن أجازه مشايخه، وآنس من نفسه القدرة على الاستقلال العلمي والتربوي، أسس سنة (1305هـ) زاويته الخاصة بوسط مدينة معسكر في حي (بابا علي)، لتدريس الطلاب، وللإرشاد والتربية الصوفية، وقد جاوز إذ ذاك الستين من العمر، وكانت وفاته في شهر ربيع الأول سنة (1313هـ)، بعد استقلاله بزاويته بثمانية أعوام، وله من العمر سبعون سنة، مخلفا العديد من المؤلفات، ذكرها ولده في رحلته فانظرها (بن عبد الله، ع. مخطوط 93).

2.التعريف بأخي المؤلف:

هو الشيخ عبد القادر بن عبد الله، المولود بمدينة معسكر سنة (1270هـ) تقريبا، وصفه شقيقه العربي فقال: " **هو أحد من أوتي الولاية صبيا وحلي من رياسة العلم والفهم مكانا عليا**" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 26)، وقال تلميذه بلهاشمي بلبكار مفتي معسكر (1889-1970): " **وكان الشيخ سيدي عبد القادر هنا مرشدا بحاله وقاله، وما بأقواله وأفعاله، وزاد انتشار سر الزاوية في وقته**" (بلبكار، ب. 1961: 161)، وهذا ما يؤكد قيمته العلمية والتربوية في مدينته، فقد أثنى عليه شقيقه العربي وحلاه بأوصاف لم يحلها والده الشيخ ابن عبد الله. ويؤكد البرنامج الذي كان الشيخ عبد القادر يتولى تقديمه منزلته العلمية، كما يعطي نظرة على المستوى التعليمي للزاوية، فقد كان في أول شأنه يدرس المتون والمنظومات في الفقه والنحو والبيان والمعاني والبديع، لينتقل في مرحلة تالية إلى الأصول كتفسير ا لقرآن الكريم، خصوصا تفسير

روح البيان لإسماعيل حقي، وصحيح البخاري بشرح القسطلاني، وصحيح مسلم بشرح النووي، والموطأ بشرح الزرقاني، وإحياء الغزالي وغيرها.

وقد شهدت الزاوية نشاطا كبيرا خلال مشيخته، التي دامت زهاء ثمانية وعشرين عاما، وتخرج منها أعلام مدينة معسكر وعلماؤها، وكانت وفاته سنة (1341هـ).

3.التعريف بالمؤلف:

هو الشيخ العربي شنتوف بن عبد الله الغريسي المعسكري، ثالث مشايخ الزاوية الدرقاوية بمعسكر، لا نعرف الكثير عن تفاصيل حياته سوى أنه تتلمذ على أبيه الشيخ ابن عبد الله، فقرأ عليه كتاب الصلاة من مختصر خليل، وشرح ألفية ابن مالك في النحو للمكودي، والصغرى للسنوسي في التوحيد، وشرح البخاري في الحديث.كما تتلمذ على أخيه عبد القادر، فدرس عليه الفقه، والنحو، والبلاغة، والتفسير، والصحيحين، وشرح الموطأ، وإحياء الغزالي، والمنن والمواهب، وغيرها.

وأخذ الطريقة الشاذلية والطريقة الدرقاوية عن أبيه الشيخ ابن عبد الله، ثم عن أخيه الشيخ عبد القادر، مما أهله لأن يستكمل الشروط التي تؤهله للقيام بشؤون الزاوية، فأشرف عليها بعد وفاة أخيه مدة عشرة أعوام، إلى أن توفي رحمه الله يوم السبت التاسع والعشرين من شعبان سنة (1351هـ). وقد خلف الشيخ العربي ا لعديد من القصائد والمنظومات، أثبت بعضا منها في رحلته، غير أن مؤلفه

"الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز" يعتبر أهم أثر خلفه، فقد كان من المصادر المهمة التي استفاد منها الشيخ بلهاشمي بلبكار في كتابه مجموع الحسب والنسب، وهو الوحيد الذي استطعنا أن نتوصل إليه الآن. واللافت في شخصية الشيخ العربي هو علاقته المميزة بأخيه عبد القادر، فإنه لا يكف عن وصفه بشيخي، وأبي الروحي، وسندي، وأستاذي وغيرها من المخاطبات الدالة على احترامه له، ومحبته إياه، ويعتبره **"السيد الكبير والنهب الإبريز، والعلم الذي نصفه التمييز"** (بن عبد الله، ع. مخطوط: 28). ولم يكن يقطع أمرا ذا بال من دون مشورته وإذنه، فلم يسافر إلى الحج -وهو واجب شرعي- إلا بعدما ترجاه، وألح في رجائه، فلما أذن له فرح واستبشر، وكتب إليه بقصيدة يمدحه فيها، ويشكره ويثني عليه، وهي قصيدة فيها ا لكثير من التودد والتحبب، ويبرر الشيخ العربي هذا التصاغر تجاه أخيه بقوله: **"لكن شيخي وسندي، الذي هو بمنزلة روحي من جسدي"** (بن عبد الله، ع. مخطوط: 26).

بل إن الشيخ العربي لم يأذن بكتابة رحلته " **حلة تأليف عن العشرين سنة**" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 11) تأدبا مع أخيه، حتى أذن له هو بذلك.

وصف المخطوط:

يعود الفضل في حصولي على النص المخطوط لهذه الرحلة، إلى أحد الأصدقاء، الذي أعارني صورة له، لأستخرج منه شجرة قبيلة المشارف التي ينتمي إليها، فلما اطلعت عليه سرني مضمونه، وتحمست لتحقيقه ونشره، وسعيت سعيا من أجل الوصول إلى نسخ أخرى فلم أفلح. وكيف أفلح في بيئة ضن بالمخطوط ضن مادر؟! مما يفوت على

الأمة فرصة الاطلاع على تراثها، ويحرم الباحثين من تحقيقه ونشره، وقد عانى من هذا الوضع الشيخ العابدين فقال:" **أما إن سألت عن المخطوطات التي بيد الأفراد، أو في المساجد والزوايا، فحدث ولا حرج! فإن كثيرا من مالكيها لا يرون لها نفعا إلا أن تظل حبيسة أيديهم، وتحت أنظارهم، يتبركون بها كما يظنون، وهي تتلف رويدا رويدا، ومن المؤكد أن بعضهم يعتقد أن بركتها تزول متى امتدت إليها يد التحقيق والطبع والنشر**" (العابدين، ب.2004 :7) ، فلا غرابة إذن أن لا أتوصل لغير هذه النسخة.ويقع هذا المخطوط في (247) صفحة من القطع المتوسط، مقياس كل صفحة (24سمx15سم)، وهو مكتوب بخط مغربي جيد، مقروء على العموم، في كل صفحة (17) سطرا. الصفحة الثانية منه تبدأ هكذا: "**بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول رب العالمين، تأليف تاج العارفين**..".

ولا وجود لصفحة العنوان، فالقارئ لا يتمكن من التعرف على عنوان الكتاب لولا أن المؤلف ذكره في ثناياه، وربما تكون هذه الصفحة ضائعة، بدليل أن ترقيم الصفحات يبدأ من الرقم(2). ويبدو أن ترقيم المخطوط أضيف بعد زمن النسخ بكثير، وهو بالقلم العادي (السيالة).

ببليوغرافيا الرحلة:

تقوم الرحلة على مصدر أساسي وهو التجربة الشخصية سواء كانت هذه التجربة حسية تعتمد على المشاهدة والمعاينة للأماكن والشخصيات والأحداث، أو كانت تجربة عرفانية قائمة الذوق الصوفي والتربية الروحية. أما المصادر الببليوغرافية التي استند عليها المؤلف فهي متنوعة؛ منها الفقهي والصوفي والتاريخي، وكتب الأنساب وغيرها، منها ما صرح بالأخذ منه، ومنها ما لم يصرح، ومن أهم الكتب التي صرح بالاعتماد عليها:

1- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل: تأليف الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي(768هـ -805هـ) في التصوف، وقد طبع مرارا.

2- التحقيق في النسب الوثيق: (مخطوط) تأليف الشيخ الهاشم بن محمد القرواني، وهو كتاب في الأنساب.

3- حاشية الرماصي على شرح التتائي: تأليف الشيخ مصطفى الرماصي (توفي 1136هـ) في هو في الفقه المالكي، ما يزال مخطوطا فيما أعلم.

4- الدر المهدي لغوثية أبي مهدي: (مخطوط) تأليف العلامة أبي راس الناصري المعسكري(توفي 1823م)، وهو شرح لغوثية أبي مهدي عيسى بن موسى التوجيني (توفي 962هـ).

5- روح البيان في تفسير القرآن: تأليف إسماعيل حقي أفندي، وهو في تفسير للقرآن الكريم ذو طابع صوفي، طبع عدة مرات.

6- عقد الجمان النفيس في أشراف أهل غريس: تأليف أبي زيد عبد الرحمن التوجيني (القرن 17م) وهو كتاب في ذكر الأعلام والأشراف بمنطقة غريس، قال مؤلفه: "سألني بعض الإخوان من أبناء الزمان أن أضع لهم تأليفا، أذكر فيه من توطن أرض غريس من الأشراف، وثبت أنه من ذريته صلى الله عليه وسلم بلا خلاف" (التوجيني، ع.2005: 8) وقد طبع سنة 2005م بدار الخليل القاسمي بمدينة بوسعادة.

7- القول الأعم في أصول الحشم: تأليف الطيب بن المختار الغريسي، وهو كتاب في قبائل الحشم من سكان أرض غريس، طبع

ضمن (مجموع الحسب والنسب، في أربعة كتب بإشراف الشيخ (بلبكار بلهاشمي) سنة 1961م.

8- مختصر خليل بن إسحاق المالكي في الفقه، المشهور بالمختصر، وهو عمدة متأخري فقهاء المالكية ببلاد المغرب، وقد طبع مرارا.

9- الموطأ: للإمام مالك بن أنس في الحديث النبوي، وهو مطبوع مرارا.

10- نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير: تأليف الشيخ أحمد زروق المتوفى سنة (899هـ) وهو في التصوف، اطلعت عليه مخطوطا ولا يزال كذلك فيما أعلم. ويمكن إرجاع ضعف البيبليوغرافيا إلى طابع الرحلة الذي يفرض على المؤلف الاعتماد على التجربة الشخصية بدلا عن المصادر المكتوبة، لأنه ليس بصدد تأليف علمي صرف، ولكنه يقوم برصد وقائع وتسجيلها وتوثيقها.

القيمة التاريخية للرحلة:

تمثل المادة التاريخية عنصرا مهما في بنية رحلة "الحقيقة والمجاز" ، فالمؤلف حاول جاهدا أن يعطي رحلته مرجعية تاريخية تتكئ عليها، حتى وإن نفى أن يكون مؤرخا بالمعنى الحرفي للكلمة، فقال معترفا: " إن التاريخ ليس من شيمتنا" (بن عبد الله، ع. مخطوط: 150) ، لكن اعتزازه بمدينته معسكر، وبالمنطقة التي نشأ فيها دفعه إلى أن يستعين بالذاكرة التاريخية في سبيل إظهار أصالة المنطقة، ورسوخ أهلها، فتحدث عن سبب تسميتها معسكر، وعن حدودها، وعن الوطن الراشدي، وأعلام المنطقة، كما تحدث عن

مدينة وهران، وعن أول من اختطها، والقبائل التي سكنتها، وأهم علمائها، وخص من بينهم بالترجمة "محمد بن عمر الهوراي" (توفي 843هـ) وتلميذه "إبراهيم التازي" (توفي 866هـ) ، ثم عرج على الاحتلال الإسباني للمدينة ودور أهل معسكر في تخليصها من الاحتلال. ورغم أن الاحتلال الفرنسي يعتبر أهم حدث في تاريخ الجزائر الحديث إلا أن المؤلف لم يتوقف عنده، وإنما أشار إليه عرضا في سياق الحديث عن الأمير عبد القادر الذي كان يلقبه "ابن عمنا"، فشخصية الأمير كانت مصدر إلهام ومبعث فخار للمؤلف ولكل سكان المنطقة، لذلك حرص على أن يقف عند بطولات الأمير وحنكته السياسية، وانتصاراته العسكرية، بالإضافة إلى الجوانب والروحية والفقهية في شخصية الأمير.

وإجمالا فإن حضور المادة التاريخية قد ساعد في وضع الرحلة في إطارها الخاص بها، بما يمكن القارئ من تكوين فكرة عن نقطة انطلاق الرحلة، وتشكيل صورة عن موطن المؤلف، والتعرف على مدى عمقها التاريخي والحضاري.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسول الله [illegible]

[illegible] الغوث الأواه مولانا
[illegible]
العارف بالله [illegible] ومولانا محمد بن عبد الله [illegible]
رضي الله [illegible]

[illegible]

الصفحة الأولى من المخطوط

الصفحة الثانية من

لمخطوط

الصفحة الأخيرة من المخطوط

قائمة المصادر والمراجع:

1-بلبكار بلهاشمي، (1961)، **مجموع الحسب والنسب في أربعة كتب**، ط1، تلمسان-الجزائر، المطبعة الخلدونية.

2-د.بلحميسي مولاي، (1981) **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني**، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

3-بن عبد الله العربي، **الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز** –نسخة مخطوطة خاصة.

4-التوجيني عبد الرحمن،(2005)، **عقد الجمان النفيس في أشراف أهل غريس**، ط1، بوسعادة-الجزائر، دار خليل القاسمي.

5-خوجة حمدان بن عثمان الجزائري، (1972)، **المرآة**، تعريب وتعليق محمد بن عبد الكريم، بيروت-لبنان، منشورات دار مكتبة الحياة.

6-رستم محمد، **أدب الشوق والحنين إلى طيبة والبلد الأمين في الرحلات المغربية والأندلسية**، 1997، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مج 4، ع.13

7-الركيبي عبد الله، (1981) **تطور النثر الجزائري الحديث**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب.

8-ضيف شوقي، **الرحلات**، ط4، القاهرة، دار المعارف.

9-العابدين بن حنفية، (2004)، **أبو راس الناصري حياته وتصوفه من كتابه الحاوي**، ط1، سيدي بلعباس-الجزائر، دار الرشاد.

10-غالم محمد، (2008)، **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار لمحمد بن أبي راس الناصر**، ط1، وهران-الجزائر، منشورات crasc.

11- الغريسي الطيب، (1961) **القول الأعم في بيان قبائل الحشم** (ضمن مجموع الحسب والنسب في أربعة كتب)، ط1، تلمسان-الجزائر، المطبعة الخلدوني

السردية عند أبي راس الناصري من خلال سيرته الذاتية "فتح الإله"

د. يوسف ولد النبية، أستاذ اللغويات، جامعة معسكر

تمهيد:

تعد السيرة الذاتية جنسا أدبيا رحبا، يتسع لجملة من خصائص الأجناس الأدبية الأخرى، كالتي نجدها في الرواية، والقصة، والرسالة، والخاطرة، والمذكرات. ويأتي السرد في مقدمة الخصائص التي تنبني عليها السيرة الذاتية؛ بما يضمه من أدوات فنية من شأنها أن تنحو بالسيرة الذاتية نحو الأدبية، وتبعدها قليلا أو كثيرا عن حرفية النقل. على الرغم مما يهيمن على السيرة الذاتية من أحداث واقعية عايشها السارد في مراحل مختلفة من حياته. وعلى ذلك، فإنه لا تعارض بين السيرة الذاتية، التي هي قصة حياة شخص يرويها بنفسه، والسرد الذي "هو الطريقة التي يختارها السارد (الراوي) ليقدم بها الحدث إلى المتلقي". (المرزوقي س وشاكر ج -ب ت-:77، 78) بل إن السيرة الذاتية تقوم على تناغم بديع بين واقعية الأحداث وأدبية السرد.

ويعتبر كتاب " فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته" للعلامة أبي راس الناصري المعسكري الجزائري (و1150هـ/1737م، ت1238هـ/1823م) من الكتب التراثية الهامة التي تندرج ضمن فن السيرة الذاتية. وقد كان قدوته في هذا التأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) في كتابه " نزول الرحمة في التحدث بالنعمة". هذا بالإضافة إلى أعلام آخرين جعلهم أبو راس أسلافا له في هذا التأليف، منهم تاج الدين عبد الوهاب صاحب (جمع الجوامع)،

والشيخ أحمد بابا في (كفاية المحتاج). (أبو راس ن 1990: 50) وقد قسم الشيخ أبو راس الناصري كتابه المذكور إلى خمسة أبواب فقال: "الباب الأول: في ابتداء أمري. الباب الثاني: في عدة أشياخي. الباب الثالث: في رحلتي للمشرق وغيره. الباب الرابع: في معارضة العلماء وأجوبة عن أشياء مختلفة. الباب الخامس: في تأليفي في كل فن ". (أبو راس ن 1990: 15) ومن نافلة القول، الإشارة إلى أن كتاب " فتح الإله" -بالإضافة إلى كونه سيرة ذاتية تتوافر فيها ملامح الأدبية- يعتبر مرجعا ثقافيا نفيسا، من شأنه أن يضيء للباحثين كثيرا من جوانب حياة المجتمع العربي الإسلامي في أواخر العهد العثماني، فضلا على احتوائه على الكثير من المسائل الشرعية واللغوية وآراء العلماء المختلفة فيها، كما أنه يضم تراجم -على إيجازها- للكثير من أعلام ذلك العهد. على أنه ما يعنينا في هذه الصفحات هو استبانه أدوات السرد التي اعتمدها أبو راس في سيرته هذه. وقد ارتأينا أن نصفها في ستة عناصر متمثلة في: الأحداث، والشخصيات، والحوار، والمكان، والزمان، واللغة والأسلوب. وتعد هذه العناصر أهم مقومات السرد، التي ينبغي أن تتوافر في أي عمل سردي.

1-الأحداث:

الأحداث هي الفضاء الذي تتحرك فيه الشخصيات داخل العمل السردي بعامة، وفي السيرة الذاتية بخاصة، تؤثر في الشخصيات حينا، وتتأثر بها حينا آخر. وقد تكون الأحداث عامة تشمل المجتمع برمته، وقد تكون خاصة لا تتعدى الشخصية ذاتها. وتتلخص الأحداث الخاصة التي عايشها أبو راس في ثلاث مراحل:

أ-مرحلة الطفولة: وتمتد من ولادته إلى سن الصوم، وفيها سافر والده إلى منطقة متيجة (قرب الجزائر العاصمة)، وفيها ماتت والدته ودفنت، وبعد ذلك اتجه والده إلى مجاجة (التابعة لولاية الشلف).. وبعد وفاة أبيه كفله أخوه الأكبر.. وفي هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم على يد والده، وأخذ الفقه عن بعض شيوخ معسكر، كمحمد بن مولاي علي بن سحنون قاضي معسكر..

ب-مرحلة الشباب: وتبدأ من سن الصوم إلى أن صار مدرسا بمعسكر، وفيها سافر إلى مازونة (دائرة بولاية غليزان) وحفظ فيها مختصر خليل في الفقه المالكي، ثم رجع إلى معسكر ليلازم الشيخ الفقيه عبد القادر المشرفي بعواجة (منطقة تقع بين بلديتي فروحة وتيزي بولاية معسكر)، ثم تولى القضاء في بعض مناطق غريس، ليستقر أمره بالزواج فيها..

ج-مرحلة العطاء العلمي: وتبدأ من انتقاله من البادية -حينما رأى أنها آفة العلم- إلى معسكر للتدريس فيها زهاء ست وثلاثين سنة. ويذكر السارد أن عدد طلبته قد بلغ في بعض الأوقات ثمانين وسبعمائة طالبا. ولما وصلت شهرته إلى البايات عملوا له كرسيا للتدريس، وبنوا له مكتبة المدرسة المحمدية أو مكتبة المذاهب الأربعة. وتميزت هذه المرحلة بكثرة رحلاته الداخلية والخارجية -التي سنشير إليها في عنصر المكان-، بالإضافة إلى كثرة تآليفه التي ربت على الثلاثين بعد المائة. أما الأحداث العامة التي عاصرها السارد في حياته فمنها حملة نابليون على مصر عام **1213**هـ/**1798**م، وفتح وهران عام **1206**هـ، وحروب درقاوة عام **1220**هـ. فأما حملة نابليون على مصر فقد أشار إليها السارد في حديثه عن شيخه عبد الله

الشرقاوي شيخ الجامع الأزهر، وذلك حينما قال: "ولما دخل الكفرة مصر وألزموا المسلمين المحبوب (نوع من الدنانير) وبطاقة، كان يدافع عنهم على قدر الجهد والطاقة". (أبو راس ن **1990**: **61**) وأما فتح وهران فتحدث عنه في معرض حديثه عن شيخه السنوسي بن السنوسي قائلا عنه: " إنه قتل مجاهدا في معركة عظيمة بين المسلمين ونصارى وهران، فكان بينهما حرب لم تنسج الأزمان على منوالها، ولا أتت الأيام الحبالى بمثل أجنة أهوالها". (أبو راس ن **1990**: **73**) وأما حروب درقاوة، التي كان بعض مناطق غريس وفرطاسة بولاية معسكر مسرحا لها، فقد كانت بين الدرقاويين (أتباع الطريقة الدرقاوية) والأتراك بالجزائر، حينما فترت العلاقة بينهما. وقد تحدث عنها السارد ذاكرا بعضا من مخلفاتها: " ثم عمتنا فتنة درقاوة، وأنا لم أكن فيها... مع ما دهمنا من الطاعون، الذي تهرب منه الواعون". (أبو راس ن **1990**: **24**) ويضاف إلى ذلك أن السارد خصص لهذه الحروب كتابا مستقلا سماه "درء الشقاوة عن حروب درقاوة".

2-الشخصيات:

السارد في السيرة الذاتية هو الشخصية الرئيسة التي تدور حولها الأحداث، يحرك الأحداث حينا، وتحركه أحيانا أخرى. والسارد في السيرة الذاتية -أيضا- هو نفسه الفاعل أو البطل، خلافا للقصة، وما شاكلها، في غالب أمرها، التي يكون فيها الفاعل متخيلا أو شخصا آخر له وجود في الواقع. وعادة ما يختار السارد أو صاحب السيرة الضمير الذي يراه ملائما لحالته النفسية أو لغاية جمالية يرومها، كيفما كان ذلك الضمير؛ متكلما كان (أنا) أو غائبا (هو).

ولقد اختار أبو راس في سرديته ضمير المتكلم، مثل "عزمت على تأليف، قلت، طار صيتي، كان يوصيني".. واستعمال ضمير المتكلم يكاد يطرد عند كتاب السير الذاتية في العصر الحديث، كما هو الحال عند أحمد أمين في (حياتي)، والعقاد في (أنا). بينما نجد طه حسين في (الأيام) قد استعمل لفظة (الفتى) ليدل بها على نفسه. وقد أفضى ضمير المتكلم (أنا) بشيخنا -أبي راس- إلى الاعتداد بنفسه والافتخار بها في غير موقف، لاسيما في المواقف التي كان يحقق فيها انتصارات على أقرانه العلماء، كالانتصار الذي حققه على بعض علماء مصر في مسألة نحوية، من خلال حوار جرى بينه وبينهم بالجامع الأعظم، قال: " فألقوا السلم، واعترفوا لي بالفضل والنبل... وعلموا أن العلم بين سحري ونحري". (أبو راس ن 1990: 117) ولاشك في أن ضمير ياء المتكلم في هذه الألفاظ (لي، سحري، نحري) يحمل دلالة الثقة في النفس أثناء مواجهة الغير. على أن السارد كان في بعض الأحيان يشرك المتلقي في العملية السردية، فينتقل -على سبيل الالتفات- من ضمير المتكلم إلى ضمير المخاطب، حينما يستدعي المقام ذلك، كقوله: "ألا ترى، تأمل ما أخبر به القرآن". (أبو راس ن 1990: 92) وبطريقة الالتفات هذه، لم يخرج أبو راس عما درج عليه كتابنا العرب القدماء في كتاباتهم الاسترسالية، التي نجد فيها شيئا من الحوارية؛ إذ كانوا يفترضون وجود متلق ابتداء، وكأنهم بذلك يجعلون المتلقي شريكا في عملية الكتابة، كقولهم: "اعلم، ألا ترى، تأمل". ومع أن السارد هو الشخصية المحورية في هذه السيرة، وفي كل السير الذاتية عادة، فقد أفسح المجال لشخصيات أخرى، تصول وتجول على مسرح أحداث هذه

السيرة ، بل إن أبا راس قدم لنا نماذج بشرية مختلفة المشارب والروافد، الأمر الذي جعلنا نصنفها في عدة أقسام:

أ-القسم الأول: يختص بالشخصيات المعاصرة للسارد، كشيوخه وزملائه وطلبته، وقد عرض السارد هذه الشخصيات من خلال أبعادها الثلاثة: الجسدية والنفسية والاجتماعية.

ب-القسم الثاني: يتعلق بالشخصيات التاريخية، التي ساقها الكاتب عرضا، كالملك الاسكندر، ومعز الدولة بن بويه، ومحمد بن تومرت..

ج-القسم الثالث: يتمثل في الشخصيات العلمية، كالفقهاء (مالك، الشافعي) ، والمفسرين (الطبري، البيضاوي)، والقراء (قالون، ورش)، والنحاة (ابن مالك، المكودي). وغالبا ما كان السارد يرفق الشخصيات العلمية بمؤلفاتها، أو ينسب إلى تلك الشخصيات أقوالها، تحقيقا للأمانة العلمية التي هي دأب المحققين من أهل العلم.

د-القسم الرابع: يتشكل من شخصيات رآها السارد في المنام، من ذلك قوله: "وإني ليلة جمعة نائم وكأني في سوق، فلقيني رجل أزرق في عباءة وبرنوص". (أبو راس ن **1990**: **21**) وبهذه الشخصية وأمثالها يكون السارد قد أفسح للخيال مجالا معتبرا في سرديته، ليخرج من قيد الواقع إلى فسحة الخيال. وفي تنوع الشخصيات التي ساقها السارد في سيرته دلالة على تنوع ثقافته؛ فهو فقيه ومفسر وأديب وشاعر ومؤرخ.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن حضور

تلك الشخصيات داخل النص وتنوعها يجعلان سيرة السارد تدب بالحركة والحياة، بعيدة عن الرتابة والسكون.

3-الحوار:

يعد الحوار -أحيانا- ضروريا عند سرد الأحداث، فهو يشهد الحدث المنقضي، ويحيي الشخصيات الميتة، فيجعلها حية متحركة، كأنها ماثلة للعيان، فضلا عن كونه كاشفا عما تجنه النفوس، وتخفيه العقول. من أجل ذلك،لم يغفل السارد عنصر الحوار؛ إذ كان من الحين إلى الآخر ينقل لنا الحوارات والمناظرات؛ سواء التي جرت بينه وبين زملائه الطلبة في صباه، أم التي حدثت بينه وبين أقرانه العلماء الذين التقى بهم في المشرق والمغرب، من ذلك قوله: "اجتمعت مع علماء بالجامع الأعظم، وتناظرنا وتذاكرنا في مسائل جمة، قالوا لي: من لقب بالحافظ، لابد أن يختص بشيء دون غيره، وأنت ما تحفظ؟ فقلت: أحفظ كذا وكذا متنا من سائر العلوم". (أبو راس ن 1990: 116) فالسارد -على هذا النحو- كان ينتقل بالقارئ، بين الفينة والأخرى، من رتابة السرد إلى حيوية الحوار، حتى يجعل القارئ يعيش -هو أيضا- جو الأحداث التي عايشها السارد من قبل.

4-المكان

المكان وعاء الأحداث، ومسرح الشخصيات.. وعلى ذلك، فقد شكل المكان المادة الأساس التي ارتكز عليها أبوراس في سرديته. وقد كان المكان في هذه السيرة يتنوع بتنوع أطوار حياة السارد؛ بدءا من

مسقط رأسه، وصولا إلى مختلف الأماكن التي زارها أو استقر فيها كثيرا أو قليلا. ويمكن تقسيمه إلى ما يلي:

أ-مكان مسقط الرأس: كان مولد أبي راس بين جبل (كرسوط) و(هونت) اللذين يخترقهما وادي التاغية؛ وهي منطقة تابعة لولاية معسكر.

ب-مكان النشأة: وتمثله منطقة (متيجة) الواقعة قرب الجزائر العاصمة، ومنطقة (مجاجة) التابعة لولاية الشلف.

ج-مكان طلب العلم: وهو قسمان: قسم تمثل في المناطق الداخلية: مثل: (أم عسكر)، (القيطنة)، (عواجة)، (مازونة). وقسم تمثل في المناطق الخارجية؛ وهي الأقطار العربية التي سنشير إليها في مكان الرحلات الخارجية.

د-مكان الرحلات: كانت لأبي راس رحلات داخلية، مثل: (وهران)، و(الجزائر العاصمة) و(قسنطينة)، وأخرى خارجية، مثل: (فاس)، و(تونس)، و(مصر)، و(أم القرى)، و(طيبة)، و(الشام). هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد تنوعت طبيعة المكان الذي زاره الكاتب أو سمع عنه من سياق إلى آخر، كالجبال (جبل ترارة) والأضرحة (ضريح الشيخ محمد بن لبنة) والجزر (جزيرة أورين). وما من شك في أن التنوع المكاني الذي تحرك في أرجائه أبو راس قد أثرى شخصيته الدينية والعلمية، وجعلها تتحرر من قيود البيئة المحلية لتنفتح على الآراء والثقافات الأخرى. ففي مجال الإفتاء -مثلا- كان الشيخ ميالا إلى التحرر المذهبي؛ إذ كان يفتي بالمذاهب

الأربعة، علما أن بيئته (معسكر بخاصة، والجزائر بعلمة) كانت - ومازالت- تعتمد المذهب المالكي مرجعية فقهية لها.

5-الزمان:

لقد كان السارد يتعامل مع الزمن السردي بشكل خطي في الغالب؛ بمعنى أنه كان يورد الأحداث التي عايشها وفق تسلسلها التاريخي، بداية من ذكر مسقط رأسه، مرورا بتتلمذه على شيوخه، وانتهاء بذكر أسفاره. وهذه الطريقة تتناسب مع كتابة التراجم والسير؛ لأن السيرة الذاتية كما يعرفها فيليب لوجون: "حكي استعادي نثري..". (شاكر ع **2002**: **14**)

بيد أن السارد كان من الحين إلى الآخر، يتعامل مع الزمن السردي بشكل ارتدادي؛ أي: عندما يبلغ السرد نقطة معينة، يرجع بنا السارد إلى الماضي ليذكر أحداثا جرت له مناسبة لتلك النقطة، ويسمى هذا في نظرية القصة اللاحقة الزمنية. وكان في أحيان أخرى يعتمد على السابقة الزمنية؛ وهي أن يذكر السارد مرحلة زمنية سابقة لأوانها، لم يبلغها السرد بعد. أما اللاحقة الزمنية (الارتداد الزمني) فتتبين من الحوار الذي جرى بين أبي راس والفقيه القاضي محمد بن جعدون في الجزائر العاصمة، أين رجع المتحاوران إلى الماضي، قال السارد: " فلقيت بها الفقيه المسمى الشيخ القاضي المفتي السيد محمد بن جعدون، فقال لي: من هو شيخك؟ قلت المشرفي، قال: كان في زمن ماض قدم عندنا هو وشيخه محمد المنور". (أبو راس ن **1990**: **91**) وأما السابقة الزمنية (المرحلة الزمنية السابقة لأوانها) فوردت أكثر من مرة، منها إخبار الشيخ علي بن

موسى اللبوخي أبوي أبي راس بأن ابنهما سيكون له شأن عظيم في المستقبل، قال ولما ولدت بالموضع المار حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح الولي... فبارك علي وأخبر بغيب خوارق وعادات تكون لي مودات: من علم، وعمل صلاح، وغنى، وحفظ، وإصلاح". (أبو راس ن 1990: 19)

6- اللغة والأسلوب:

الأسلوب مرآة تعكس شخصية صاحبه، فـ"كل أسلوب صورة خاصة بصاحبه تبين طريقة تفكيره، وكيفية نظرته إلى الأشياء وتفسيره لها وطبيعة انفعالاته، فالذاتية هي أساس تكوين الأسلوب، والمقلد يفنى في غيره..". (الشايب أ 1966: 134) وقديما قال "بوفون Buffon" قولته الشهيرة "الأسلوب هو الرجل" أو " Le style, c'est l'homme". وعلى ذلك، فقد عكس أسلوب أبي راس جوانب مختلفة من شخصيته؛ لاسيما الدينية والعلمية والأدبية. ومن جهة أخرى، فإن أسلوبه ينبض بطريقة القدامى في تطويع اللغة، والتفنن في عرض الأحداث والأشياء. ولا مشاحة -عندئذ- أن ترقى لغته أو تكاد إلى مصاف كبار الكتاب العرب. وقد ألفينا أسلوب السارد قد تميز بجملة من الخصائص أهمها: ثراء المعجم اللغوي، والصنعة اللفظية، والاستطراد، وسوق الشواهد الشعرية، والموضوعية.

أ- ثراء المعجم اللغوي:

لقد تميز المعجم اللغوي عند أبي راس بالتنوع المصطلحي والثراء الدلالي، ومرد ذلك إلى ثقافته الموسوعية، فقد أكثر "من

التآليف كثرة لا يضاهيه فيها من الجزائريين أحد حسب علمنا باستثناء أحمد البوني الذي تجاوزت تآليفه المائة". (سعد الله أ 1998: 376) هذا وإن كان بعض الباحثين قد أوصل تآليف أبي راس إلى سبعة وثلاثين ومائة كتاب، ما بين علوم شرعية ولغوية وعقلية وتاريخية، الأمر الذي يجعله يتصدر قائمة المكثرين في التأليف في الثقافة العربية الإسلامية. ومن المصطلحات التي ميزت لغة السارد في هذه السيرة ما يلي:

أ-المصطلحات الصوفية: وقد طغت على لغة السارد مثل: القطب، الغوث، رباني، شيخ الطريقة، الولاية، الكرامات، الخوارق، الحضرة، الصفات الرحمانية اللدنية..

ب-المصطلحات الشرعية: وهي مصطلحات لا تقل شأنا عن سابقتها في الكثرة والدقة مثل: الحافظ، الفتوى، علم الفرائض، رسم القرآن، الإمالة..

ج-المصطلحات المذهبية: منها المصطلحات التي تتعلق بالمذاهب الفقهية، كالمالكية والشافعية والظاهرية، ومنها المصطلحات التي تتعلق بالمذاهب العقدية، كالمعتزلة والأشاعرة والماتريدية..

د- المصطلحات المحلية: وهي المصطلحات التي تستخدم في منطقة معسكر وما جاورها من المناطق، مثل (أملك لهم ألواحهم) أي: أصححها، (الأصاص): وهي مقطوعات منظومة في أحكام الترتيل، (برنوص): بردة، (شاشية روم): قبعة جزائرية، (أفتي لهم)

أي: أملي عليهم. وانطلاقا من المصطلحات المختلفة والمتنوعة التي تشكل منها المعجم اللغوي في هذه السيرة، تتحدد ملامح شخصية أبي راس العلمية والدينية، التي جمعت بين الجانب العقلي والجانب الروحي، موصولة بين هذا وذاك بواقعها المحلي.

ب-الصنعة اللفظية:

على الرغم من تميز أسلوب أبي راس بالانسيابية والاسترسال، إلا أن أسلوبه لم يخل -أحيانا- من الصنعة اللفظية والتكلف الذي لا طائل منه. ومن مظاهر ذلك، أننا وجدنا السارد في مواطن غير قليلة مفرطا في استعمال البديع؛ من سجع وجناس وطباق ومقابلة، وذلك من بداية الكتاب إلى نهايته، حتى كادت سيرته الذاتية أن تتحول إلى فن المقامة الذي عهدناه عند الهمذاني والحريري. ومن أمثلة السجع عند أبي راس حديثه عن شيخه محمد الصادق: " الحافظ الزاهد، الورع الناهد، المتقي الناسك، الصوفي السالك، ذو الخبرة التامة بعلم الشريعة، فكل مسألة صعبت على غيره فهي له مطيعة". (أبو راس ن **1990**: **45**) وإن أقوال السارد التي نسوقها هنا وهناك لتشفع للحكم الذي ذهبنا إليه. ومن ألوان البديع أيضا -التي وشح بها السارد سيرته الذاتية- الاقتباس من القرآن العظيم، المعين الذي لا ينضب، والفيض الذي ما له من نفاد.. فالسارد كان إما يورد الآيات الكريمة على أصلها، مثل: "عليه توكلت، وإليه أنيب" (هود:88). وإما يقتبس من الآية لفظها أو معناها، كقوله: " فجسنا خلال الديار من أقطار سمائها". (أبو راس ن **1990**: **97**) فالعبارة مقتبسة من قوله تعالى: "فجاسوا خلال الديار" (الإسراء:5). وإذا التفتنا إلى البيان، وجدنا له نصيبا معتبرا، فقد كان

السارد مولعا بنسج التشبيهات، من باب تجلية المعنى وتوكيده، كقوله عن أمه: " وكان يضرب بها المثل في السخاء والصلاح: كرابعة العدوية". (أبو راس ن **1990**: **18**) ويدفعنا إفراط السارد في البديع والبيان إلى القول: إن الإغراق في تنميق المبنى قد يصرف صاحبه عن دقائق المعنى، ويفوت عليه ما هو أولى.

ج- الاستطراد:

الاستطراد خصيصة أسلوبية ميزت كتابة أبي راس، ونعزوها إلى غزارته العلمية؛ إذ كان كثيرا ما يستطرد من باب أن (الشيء بالشيء يذكر)، لكن سرعان ما كان صاحبنا يرجع إلى الموضوع، من ذلك وصفه لهيئة شيخه أبي عبد الله بن لبنة "وهو في عباءة وبرنوص فقط، وهو زي كثير من الأولياء. ألا ترى إلى بشر الحافي لا نعل له أبدا. وابن أدهم سيد الأولياء في جبة فقط ". (أبو راس ن **1990**: **20**) وتطرد هذه الخصيصة الأسلوبية فتشمل جميع سيرته، ولا غرابة في ذلك طالما أنه "كان يدعى في زمانه (الحافظ) لقوة حفظه وتمكنه متى شاء من استحضار مسائله، حتى كأن العلوم كتبت بين عينيه". (الحفناوي أ **1985**: **341**، **342**) ولم يكن أبو راس بأسلوبه الاستطرادي بدعا من الكتاب، بل إن هذا الأسلوب معروف عند كتابنا القدامى، ومن جملتهم الجاحظ الذي عد الاستطراد علامة مميزة لكتاباته.

د- سوق الشواهد الشعرية:

لقد وشح أبو راس سيرته بالشواهد الشعرية؛ قديمها وحديثها، ولا تعزب هذه الشواهد في كتابه عن ثلاثة أقسام:

أ-القسم الأول: خاص بأبيات بعض فحول الشعراء، منهم زهير بن أبي سلمى، والمعري، والمتنبي القائل:

وأخلاق كافور إذا شئت مدحه وإن لم أشأ تملى علي فأكتب (أبو راس ن 1990: 51)

ب-القسم الثاني: يتمثل في شعر أبي راس ذاته، من ذلك مرثيته لشيخه عبد القادر المشرفي الذي دفن بـ"الكرط" (هي بلدية تبعد عن ولاية معسكر بنحو أربعة كيلومترات، ومعظم سكانها من قبيلة المشارف التي ينتمي إليها المرثي، وصاحب هذه الدراسة ممن ينتمون إلى هذه القبيلة أيضا):

أيا قبر (الكرط) كيف واريت سيدا مآثره مثل البحار الزواخر

لقد حل فيك العلم والحلم و التقى فحسبك فخر من كريم العشائر (أبو راس ن 1990: 56)

ج-القسم الثالث: يتعلق ببعض من نال شرف مدح أبي راس من الشعراء المعاصرين له، منهم عبد القادر بن السنوسي بن عبد الله، الذي قام بتقريظ شرح أبي راس المسمى (الآيات البينات في شرح دليل الخيرات) وقد قال هذا الشاعر:

هنيئا لكم بشرحكم للدلائل فخرتم به على فحول الأوائل

أبا راس فافخر فالفخار متوج على رأسكم حزتم عميم الفضائل (أبو راس ن 1990: 68)

وبهذه الشواهد، وغيرها، لم يخرج أبو راس عن صنيع الكتاب العرب القدماء، الذين كانوا يوشحون كتاباتهم بالأشعار وطرائف

الأخبار، وهو ما نجده في الموسوعات الأدبية، كالبيان والتبيين للجاحظ، والعقد الفريد لابن عبد ربه.

هـ- الموضوعية

لقد ألفينا السارد يتحرى الموضوعية في نقل أطوار حياته إلى حد كبير، وعلى أكثر من صعيد؛ فعلى الصعيد الشخصي لم يكن السارد يخجل من ذكر بعض الأعمال التي كان يقوم بها في صباه، كسقيه الماء لبعض شيوخه، وغسله ثيابهم، بل إنه كان يفلي لأحدهم القمل كل يوم. (أبو راس ن **1990**: **21**، **42**) وعلى الصعيد العلمي لم يتحرج السارد من كشفه لنا عن اللحن الذي كان يقع فيه -في بداية عهده- حتى وهو على كرسي التدريس، قال: "وأنا -مع كل ذلك- ألحن، حتى قلت في درسي ما سولت لي نفسي". (أبو راس ن **1990**: **23**) غير أن هذا اللحن الذي كان يزعج بعض طلبته قد دفعه إلى حفظ الألفية، بل والتأليف في علم النحو، كحاشيته المسماة "النكت الوافية في شرح المكودي على الألفية". ولم تحرج الموضوعية السارد في انتقاد بعض شيوخه، كالشيخ محمد بو طالب الذي فارقه أبو راس بعد أن حضر حلقته ثلاثة أيام. (أبو راس ن **1990**: **46**) ولم تحرجه الموضوعية -أيضا- في انتقاده لكبار العلماء، سواء المعاصرين له أم القدماء. (أبو راس ن **1990**: **132**) على أن هذا الانتقاد لم يدفع بالسارد إلى مجانبة الإنصاف للمخالفين له في الرأي، كما صنع مع ابن تيمية وغيره. وفي سياق الحديث عن موضوعية السارد، فإننا قد نتفق مع من رأى " لأن أبا راس -رحمه الله- يبالغ في وصف منزلة شيوخه في العلم و الصلاح إلى حد يتجاوز الموضوعية، وقد يدفعه إليه سعيه في تنميق العبارة، وزخرفة

الكلام، والحرص على السجع المتكلف" (بن حنفية ع 2004: 34) ، إلا لأن هذا الرأي لم يتواتر على مدار الكتاب؛ ذلك لأننا وجدنا السارد - في غير موضع- ينزل بعض شيوخه منازلهم المعهودة والمحدودة، من غير مجاملة أو إطراء، كقوله عن بعض شيوخ (قرية الغيران بولاية غليزان): "والبعض مقصور على الفرائض، لا يتعداها، ولا يعرف سواها، إلا أن المقصور عليها هو حجة فيها، كما قال البغدادي... إن ابن عصفور لا يعرف إلا النحو، إلا أنه حجة فيه". (أبو راس ن 1990: 43، 47)

خاتمة:

لا تختلف أدوات السرد عند أبي راس الناصري كثيرا عما درج عليه كتاب السيرة الذاتية في العصر الحديث. كما أن أسلوبه ليس بدعا من أساليب الكتاب العرب في كتاباتهم السردية. على أنه لا مندوحة لنا عن القول: إن السردية عند أبي راس الناصري ظلت محكومة بثقافته الموسوعية، وعلمه الغزير؛ حيث كثرت في سيرته الأعلام والمصطلحات، وتنوعت الشواهد والاستطرادات.. والسارد بين ذلك كله، قد جمع بين شخصية الأديب المنمق والعالم المحقق، جاعلا سيرته طيعة لأمره، وصورة عاكسة لعصره.

المصادر والمراجع:

1-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، (1500-1830م)، دار الغرب، ط1، 1998، ج2

2-أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، ط2-1405هـ/ 1985م

3-أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة، القاهرة، ط6، 1966

4-تهاني عبد الفتاح شاكر: السيرة الذاتية في الأدب العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2002

5-سمير المرزوقي وجميل شاكر: مدخل إلى نظرية القصة، الدار التونسية للنشر، ط1(ب ت)

6-عابدين بن حنفية: أبو راس الناصري المعسكري، حياته وتصوفه من كتابه الحاوي، مكتبة الرشاد، الجزائر، 1425هـ/2004م

7-محمد أبو راس الجزائري: فتح الإله و منته في التحدث بفضل ربي و نعمته، تحقيق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990

أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب عقد ا لجمان المفيس.

أ. العـربي لخضـر. المركز الجامعي – البيض.

تمهيد:

في الحقيقة لفت انتباهي وأنا أتصفح ورقات كتاب :"عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس" لمؤلفه أبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني(تـ 11هـ/17م) جملة من التراجم لعلماء وأعيان وأشراف من المنطقة، تميزوا بالعلم، والإجادة، والزهد، والورع، زيادة عن تعلقهم بالنسب الشريف، وغيرها من الأوصاف التي ذكرها المؤلف، ولا شك أن كان لأصحاب هذه التراجم باع في بعث مظاهر الحياة الثقافية والتعليمية والاجتماعية في قرية غريس، وبمدينة معسكر وأحوازها، بل إن صيتهم بلغ المشرق والمغرب في بعض الأحيان، لذا سنحاول في هذه العجالة التعريف ببعض أشراف وأعيان بلاد غريس من خلال كتاب عقد الجمان المذكور.

منطقة غريس:

يعتبر سهل غريس من بين أهم وأوسع السهول الزراعية الخصبة في الجزائر وشمال إفريقيا، ويقع شمال جبال سعيدة (المدني، أ. 1948: 25)، وجنوب مدينة معسكر(أم عسكر أو الراشدية) ويرتفع عن مستوى سطح البحر بـ 500 متر(المدني، أ. 1948: 25)؛ وقد سمي بسيط غريس "غريسا لأنه كان مغروسا بأنواع الشجر

ذوات الأثمار وكان سكانه من بني زروال ومن ساكنهم من بني توجين ومغراوة، قاطنين في قرى مغارة تزيد على المائة ولما كان الفتح الإسلامي ودخل المسلمون إفريقية عمدت الكاهنة لإحراق الأشجار وهدم الديار ليقف تيار العرب عن التوغل في البلاد لما بها من الخراب والفساد، ووطئ العرب هام صياصيها وقبضوا على نواصيها، ...، وأصبح غريس وليس به من العمارة اسم، ولم يبق بيد أهله إلا الاسم."(الغريسي، ت. 1961: 371).

ورغم الغموض الذي يكتنف قضية تسمية سهل غريس إلا أن المصادر التاريخية المختلفة خاصة ما تعلق منها بالجغرافيا والرحلات تشيد بثراء المنطقة الفلاحي وشهرة منتوجاتها وكثرتها (الحموي، يـ 2007: 44؛ ابن سعيد، م. 1982: م 2، 145؛ الوزان، ح. 1983: ج2، 26؛ مارمول، ك. 1984: ج2، 324).

الأشراف ببلاد غريس:

أما عن أشراف غريس فيذكر صاحب القول الأعم :" ومن المعلوم أن أشراف غريس يدعون بني راشد بن إدريس – رضي الله عنه- وراشد هذا هو الأصل الذي يجتمع فيه أعيان أشراف غريس، كما في غرر التنوير في ذكر آل النبي البشير، ...، ما يرشد لهذا حيث يقول: وفي راشد جمع وهم بنو راشد. فقوله وفي راشد على حذف مضاف أي وفي وطن راشد – والله سبحانه أعلم –"(بلهاشمي، ب. 1961: 330) ، كما دعوا كذلك بالمرابطين، إما لأنهم ربطوا أنفسهم وحبسوها عن الشهوات، ومنعوها من ارتكاب لذاتها، أو بسبب محافظتهم على الصلوات والرباط على انتظارها (بلهاشمي، ب. 1961: 331).

ومن أعيان الأشراف ببسيط غريس حسب ما جاء في كتاب القول الأعم في بيان نسب الحشم على سبيل المثال نجد القبائل التالية:

- أولاد سيدي دحو أبي زرفة، وهي من أصح القبائل نسبا، وأوضحها حسبا، وأشدها بأسا، وأعظمها جاها وعلما.

- أولاد سيدي سيدي أعمر بن دوبه، وهي تتمتع بمثل قصب أولاد سيدي دحو في العلم والرياسة والاشتهار، وبينهما مخالطة وصهر قديم.

- أولاد سيدي أحمد بن علي، ويتصل نسبهم بمحمد الباقر بن علي بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب –رضي الله عنه- وأحمد بن علي هذا هو أول من استوطن أرض غريس، ومنهم الحاج مصطفى بن التهامي.

- أولاد سيدي بن يحي مقرئ الجان ويعرفون الآن بمغراوة، ولهذا القبيل نسب صحيح، وحسب صريح، وكلمتهم نافذة.

- ومنهم المشارف، ويتصل نسبهم بالمولى إدريس، ومنهم علماء مشاهير أمثال عبد القادر بن عبد الله المعروف بالشيخ المشرفي، صاحب الزاوية بالكرط.

فضلا عن هذا الكتاب يعج بالقبائل التي لا يمكن أن يستغرقها هذا البحث المتواضع، والتي بسط فيها القول الشيخ الطيب بن المختار الغريسي المختاري المتوفى في غريس نحو سنة 1320هـ(الغريسي، ت. 1961: 331، 332، 333، 334، 335).

وما من شك في أن طبقة الأشراف حظيت باهتمام بالغ في المجتمعات العربية والإسلامية بصفة عامة عبر مختلف الفترات التاريخية، حيث كانت تتمتع بمزايا اجتماعية وسياسية، فالاحترام والتعظيم والتنويه بقدرهم والتوقير العام، وعدم تكليفهم بالوظائف المخزنية، وسقوط المغارم عنهم (بلهاشمي، ب. 1961: 331)، ولا ينالهم ظلم واضطهاد من قبل السلطة وعمالها، بل يتقرب إليهم البايات والقياد بشتى أنواع القربات كالأعطيات والهدايا، لا سيما في المواسم والأعياد. (أبو راس الناصر، م. 2005: ج1، 22).

وحتى لا نطيل الحديث ولا نتجاوز كذلك المسار الذي رسمناه، فمسألة متشرفة بلاد غريس قد أثارت حفيظة أبي رأس الناصر، وجعلته ينتقد مزاعمهم، بل أبطلها بالحجج والبراهين، كما وجه انتقادات لاذعة لأبي زيد التوجيني صاحب عقد الجمان كعدم ضلوعه في علم النسب، وضعفه في تحقيق وتدقيق الأنساب، ورد عليه في كتاب سماه: "مروج الذهب في نبذة من النسب، ومن إلى الشرف انتمى وذهب" (أبو راس الناصر، م. 2005: ج1، 22؛ ابن سودة، ع. 1997: 70، 71).

وكان عاقبة موقف أبي رأس الناصر أن استحكم العداء بينه وبين أشراف غريس الذين هددوه وأوشكوا على الإيقاع بكتابه.(أبو راس الناصر، م. 1990: 123).

ترجمة المؤلف:

على الرغم من أن أبا زيد عبد الرحمن بن عبد الله التوجيني قد تردد ذكره في بعض مصنفات المناقب والتاريخ لبعض المتأخرين

عن عصره كالشيخ الطيب بن المختار الغريسي في كتابه القول الأعم، والشيخ بلهاشمي بن بكار في مجموعه، وأبي رأس الناصر في عجائب أسفاره، والحفناوي في كتابه تعريف الخلف، وابن سودة عبد القادر في دليله، وبالرغم من تآليفه العلمية وشروحاته التي أغنى بها التراث العربي الإسلامي أو المغربي بالدرجة الأولى، إلا أن الرجل لم يحض بقسط وافر من الترجمة له ولأعماله حتى من بعض الكتب – أحيانا- التي احتفظت لنا باسمه، أو بأسماء بعض من ترجم لهم. ولو لا بعض بصيص تضمنته خواتيم كتابه عقد الجمان ما كنا لنعلم عنه شيئا، ولأهمية هذه الإشارات القصيرة حاولنا أن نوردها كما جاءت في النص:" وأما المؤلف فهو عبد الرحمن، وكنيته أبو زيد، نشأ دينا صالحا، مشتغلا بما يعنيه، تفقه عن الشيخ عمر بن عطية، وعن السيد محمد السنوسي بن عمر، وعن السيد عبد الرحمن بن علي، المعروف بدحو بن زرفة، ...، وبه انتفع، وعظم أمره، ...، ...، شرح "الأجرومية" شرحين، أحدهما كبير سماه "فتح القيوم" في شرحه أبهر أجرومه، أدخل فيه كثيرا من التسهيل وشروحه، وشرح "الكافية"، و"حواشي المفصح" و"نكت السيوطي" بترغيب عجيب قل نظيره وصفيه، جمع فيه تقارير شيخه ابن عطية، قريب لفهم المبتدئ، ووضع طرارا على "توضيح خليل"، وربما تكلم فيها مع ابن الحاجب"(التوجيني، ع. **2005: 30**).

أما عن مكان ولادته فالظاهر أن بوطن غريس ودليل ذلك نص في مقدمة كتاب عقد الجمان يقول فيه: "قد سألني بعض الإخوان من أبناء الزمان ، أن أضع لهم تأليفا، أذكر فيه من توطن "أرض غريس" من الأشراف".(التوجيني، ع. **2005: 7، 8**)، إلى أن

يقول:" ولا نذكر إن شاء الله في هذا الديوان، إلا من ثبت شرفه عند أهل القرن الحادي عشر، من الشيوخ والكهول والشبان" (التوجيني، ع. 2005: 7، 8)؛ وأما تاريخ ميلاده ووفاته فلا نعلمهما على وجه التحقيق لكن أمكننا تحديد الفترة التي عاش فيها من خلال النص السابق وتتمثل في القرن الحادي عشر الهجري(17م).

وتصادف الفترة التي عاش فيها أبو زيد التوجيني مرحلة الازدهار الثقافي والعلمي، وهي تمتد على مدى القرن 18م، أي طيلة الفترة التي ظلت فيها مدينة معسكر عاصمة إقليمية لبايلك الغرب (1701م– 1792م)، والتي شهدت حركة عمرانية وحضارية هامة نهضت بالمدينة وأحوازها، من مجرد قرية صغيرة إلى حاضرة من الحواضر الكبرى للجزائر، فصارت منارة علم تشد إليها الرحال حتى وصفها أبو رأس الناصر بمصر الصغرى. وستتجلى مرحلة التراجع الثقافي والعلمي مع أواخر القرن 18م وبداية القرن 19م، والتي تزامنت هي الأخرى مع انتقال عاصمة البايلك إلى مدينة وهران سنة 1792م. (عليو، م. 2009: 148، 149).

كتاب عقد الجمان:

عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، لأبي زيد عبد الرحمن التوجيني، كتاب يقع في حوالي ثلاثين صفحة، نشرها لأول مرة في المجلة الإفريقية ل. قان (L. Guin)، في عدد سنة 1891م، تحت عنوان:

"LE COLLIER DE PERLES PRÉCIEUSES OU MONTION DES PRINCIPAUX PERSINNAGES D'ORIGINE NIBLE (DE LA CONTRÉE) DU R'ERIS", *Vol: 35, p.p 241-280.*

وقد أشرنا عند تعريفنا للمؤلف إلى سبب تأليفه "لعقد الجمان"، وبالرجوع إلى مقدمة الكتاب نجد دافع تصنيفه له، إذ يقول:" قد سألني بعض الإخوان من أبناء الزمان، أن أضع لهم تأليفا، أذكر فيه من توطن "أرض غريس" من الأشراف، وثبت له أنه من ذريته – صلى الله عليه وسلم – بلا اختلاف، لتحي به بعد الدثور الأنساب، ويزول على من يقع عليه الشك والارتياب، فأجبتهم بعد الاستخارة وتكرير الاستشارة".(التوجيني، ع. 2005: 7، 8).

كما أشار المؤلف في مقدمة "عقد الجمان" إلى أنه قسم كتابه إلى ثلاثة أقسام كما يفهم ذلك من كلامه: مقدمة، ومراد، وخاتمة، إذ يقول:" فأقول والله المستعان، لا بد من ذكر مقدمة أمام المراد، وخاتمة يكمل بها الاستعداد"(التوجيني، ع. 2005: 8).

- أما المقدمة: يقول:" ففي ذكر نسبه المختار(صلى الله عليه وسلم)، والتعريف بآله الأخيار، وما يحرم عليهم دون غيرهم، وما يجب لذريته عليهم، وما يثبت نسبهم المنيف، وما قيل في من أمه شريفة وأبوه ليس بشريف، وما يلزم من نسب إلى أحد ذريته قبيحا من الأقوال والأفعال مع العلم به أنه من الآل"(التوجيني، ع. 2005: 8).
- وأما المراد: فيعكسه دافع تأليف الكتاب إذ يقول:" قد سألني بعض الإخوان من أبناء الزمان، أن أضع لهم تأليفا، أذكر فيه من توطن "أرض غريس" من الأشراف"، إلى أن يقول:" ولا نذكر إن شاء الله في هذا الديوان، إلا من ثبت شرفه عند أهل القرن الحادي عشر، من الشيوخ والكهول والشبان"(التوجيني، ع. 2005: 7، 8، 11).

● والخاتمة: يقول:" ففي ذكر أولاده الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام، وفي أولاد بنته رقية وفاطمة، وما جرى للحسن والحسين، وكم ولد لكل واحد منهما من البنات والبنين، ومن ترك العقب منهم رضي الله عنهم"(التوجيني، ع. 2005: 8).

ويضم الكتاب بين دفتيه عشرة (10) تراجم، لأعيان من الأشراف الذين استوطنوا منطقة غريس، يتميز بعضهم بالشرف والولاية والعلم، ويتميز بعضهم الآخر بالشرف والولاية والجاه وغيرها؛ كما أنه لم يحترم سلم عناصر الترجمة الذي عهدناه مع جمهور المصنفين في التراجم والمناقب، كتاريخ الميلاد والوفاة، ومكانهما، والرحلة في طلب العلم، والكتب المؤلفة أحيانا، باعتبارها أسئلة أساسية يمكننا من خلالها تقديم الكثير من الإجابات؛ في حين نجده يثقل بعض التراجم بمسائل ثانوية كالكرامات مثلا؛ كما لم يوازن بين حجم التراجم فنجد بعضها يتجاوز الصفحتين، بينما البعض الآخر لا يصل حتى لخمسة أسطر؛ ولكن مع ذلك فالكتاب – في فنه - يحمل معلومات هامة.

وفيما يلي جدول يضم جملة التراجم الواردة في عقد الجمان النفيس وهي:

المصدر	مؤلفاته	شيوخه وتلامذته	ترجمته	العلم
- بلهاشمي، ب. 1961: 359،	/	- "...، أخذ العلم عن الإمام محمد بن	- يقول المؤلف:" فممن ثبت له في الأمر	- أبو محمد عبد الله

400. - التوجيني، ع. 2005: 12.		غازي، محشي المختصر، وغيره من العلماء الفاسيين، ..." - "...، وأخذ عنه العلم كثيرون، ...، ولهم منه إجازات"	نسبه، وصفا منه مشربه، السيد الفاضل أبو محمد عبد الله بن المولى الكامل عبد الرزاق، ...، ...، وكان ممن أتحفه الله بشرف العلم والنسب والدين المتين والحسب"	**بن عبد الرزاق الغريسي.**
- التوجيني، ع. 2005: 13.	/	/	- يقول:" ...، من أبناء عبد الجبار ابن عمر بن سالم بن عبد الجبار بن فرج بن محمد بن	**- أبو الحسن علي بن عبد الجبار**

			أحمد بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب، هكذا يوجد في بعض التقاييد هذا النسب".	**الفجيجي.**
- **التوجيني**، ع. 2005: 14، 15، 27، 28.	- حاشية أو شرح على العقيدة الصغرى للإمام السنوسي التلمساني.	- " وله تلاميذ، الكثير منهم ألف في علم التوحيد وغيره، ويعتمدون	- يقول:" ومنهم العالم الجليل، الرئيس النبيل، النحوي، اللغوي،	- **أبو محمد عبد القادر ابن أحمد بن محمد من أبناء عبد القوي.**

		على ما في حاشيته على صغرى الشيخ الكامل سيدي أبي عبد الله محمد بن عمرو السنوسي، ...، ويعبرون عنه بشيخنا، وتلامذتهم لشيخ شيوخنا أبي محمد عبد القادر بن خده الراشدي."	الحيسوبي الفرضي، الموحد المحدث، الإمام السيد أبو محمد عبد القادر ابن أحمد بن محمد من أبناء عبد القوي، ...، ...، وله عقب، وقبره معروف." - " وحاز رئاسة غريس بعد موت أصحابه، وشدت له الرحال من أقطار المغرب والمشرق، إذا سمعته يدرس علما	

			قلت أفنى عمره فيه لشدة إتقانه له".	
- التوجيني، ع. 2005: 15، 16، 17.	/	- "تفقه عن الشيخ عبد القادر بن خدة، وعن الشيخ أبي علي، وعن محمد بن علي أبهلول، وعنه أخذ الطريقة." - "وله رحمه الله تلاميذ منهم أخونا سيدي عبد الرحمن الدرعي، والسيد محمد بن حسناء،	- يقول:" ومنهم، شيخنا عبد الرحمن بن علي بن عثمان بن عيسى بن عثمان بن عيسى بن عقيل بن أحمد بن محمد بن أحمد، من أبناء ابن راشد بن يحي بن علي بن حمود بن ميمون بن علي بن عبد الله بن عمر بن إدريس بن	**- عبد الرحمن بن علي بن راشد.**

		وغيرهما."	إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن بن الحسن. ...، ...، وقبره برأس الماء معروف."	
- التوجيني، ع. 2005: 17، 18، 19.	/	- "تفقه عن الشيخ عبد القادر بن خدة، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغراوي". - ومن أصحابه الشيخ عبد الرحمن بن زرفة	- يقول:" ومنهم صدر الأصفياء وزبدة الأولياء، الطود الكبير، الولي الشهير، شيخنا سيدي أبو الحسن علي، المشهور بالشريف، سكن	- **علي أبو الحسن الشريف.**

		(تـ 1065 ه). - ومن تلاميذه التوجيني صاحب عقد الجمان النفيس.	قرية " أم عسكر"، وكان إماما بمسجدها المعروف الآن بمسجد سيدي علي الشريف، وله ذرية، ...، وقبره بناحية "وادي الحمام"(من أحواز معسكر)" .	
- التوجيني، ع. 2005: 19، 20.	/	- "تفقه فيما يكفيه عن الشيخ محمد بن علي	- يقول:" ومنهم الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي	- **يوسف**

		أبهلول، وعنه أخذ الطريقة بآدابها".	بن عامر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن يحي بن محمد بن القاسم بن حمود بن ميمون بن علي ابن عبد الله، ... ...، كان فاضلا عابدا ورعا زاهدا، كثير	**بن علي بن عامر**.

	الصوم، قليل النوم".			
- عثمان بن عمر الغريسي الشريف.	- يقول:" ومنهم السيد أبو عمرو عثمان بن عمر، المعروف في زماننا بشهرة الفلاحة، من أبناء مسعود بن عبد الله بن سعيد بن قاسم بن عبد الجبار بن عثمان بن عمر بن سالم بن عبد الجبار بن فرج، كان	/	/	- **بلهاشمي، ب.** 1961: 291. - **التوجيني، ع.** 2005: 20، 21، 22.

			في حياته مشهورا بالزهد والورع، ...، وهو من بدو غريس".	
- التوجيني، ع. 2005: 22، 23.	/	- وله أبناء مشهورون ،.ألف البعض منهم في النحو، والبعض في التوحيد، والبعض في الفقه.	- يقول:" ومنهم، أبو عمرو بن زيان، المشهور بالصنهاجي ، من الصدور، في الأكابر مذكور وبينهم مشهور".	**- عثمان بن زيان الصنهاجي.**
- التوجيني، ع. 2005: 23.	- له شرح على أرجوزة الرقص.	-"تفقه عن الشيخ سيدي محمد السنوسي وغيره	- يقول:" ومنهم السيد محمد بن محمد، من أولاد يعقوب	**- محمد بن محمد بن يعقوب.**

		من علماء تلمسان، وأخذ الطريقة عنه، وألبسه الخرقة".	بن محمد المغراوي، من أبناء سليمان بن عبد الله".	
- **التوجيني**، ع. 2005: 23.	/	/	- يقول:" ومنهم السيد أبو موسى، ...، طود عظيم في الزهد والورع".	**- أبو موسى الشريف.**

البيبليوغرافيا:

1- المصادر:

الوزان الفاسي، الحسن.(1983). **وصف إفريقيا**. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

التوجيني، عبد الرحمن.(2005). **عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس**. المسيلة-الجزائر: دار الخليل القاسمي.

بلهاشمي، بن بكار.(1961). **كتاب مجموع النسب والحسب والفضائل والتاريخ**. تلمسان-الجزائر: مطبعة بن خلدون.

الغريسي، الطيب بن المختاري.(1961). **القول الأعم في بيان نسب قبائل الحشم**. تلمسان: المطبعة الخلدونية.

ابن سعيد المغربي، أبو الحسن علي.(1982). **كتاب الجغرافيا**. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

مارمول، كرفجال. (1984). **إفريقيا**. الرباط-المغرب: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

الناصر، أبو راس محمد.(2005). **عجائب الأسفار ولطائف الأخبار**. ج1. الجزائر: منشورات CRASC.

الحفناوي، أبو القاسم محمد.(1906). **تعريف الخلف برجال السلف**. ج2. الجزائر: مطبعة فونتانة.

ياقوت الحموي، أبو عبد الله.(2007). **معجم البلدان**. مج2. بيروت: دار صادر.

2- المراجع:

أ- باللغة العربية:

عليو، محمد.(2008-2009). **الحياة الاقتصادية والاجتماعية في منطقة معسكر خلال القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين (1701- 1830م)**. الجزائر: ماجستير- جامعة معسكر.

المدني، أحمد توفيق.(1948). **جغرافية القطر الجزائري**. الجزائر: سانديكا دينيسيانيف.

ابن سودة، عبد السلام بن عبد القادر.(1997). **دليل مؤرخ المغرب الأقصى**. بيروت: دار الفكر.

ب- باللغة الفرنسية:

- Guin, L. (1891). *"LE COLLIER DE PERLES PRÉCIEUSES OU MONTION DES PRINCIPAUX PERSINNAGES D'ORIGINE NIBLE (DE LA CONTRÉE) DU R'ERIS". Revue Africaine, Vol: 35, p.p 241-280.*

الأنساب في منطقة غريس: عرض ببليوغرافي

الباحثة سمية مصدق

إن موضوع النسب الشريف من المواضيع الشائكة والحساسة، والمطروحة بقوة في منطقة معسكر، اهتم به العام والخاص، فلمقاربة تركيبة المجتمع علينا فهم النسب، فمجتمع منطقة غريس عموما كان خاضعا لتراتبية اجتماعية سيطر فيها الأشراف على السلطة والتعليم والقضاء، حيث كانوا يتمتعون برأس مال رمزي كبير ومقدس.

إن العمل الذي نقدمه هو عرض ببليوغرافي لمصادر النسب في منطقة غريس، هذا ليسهل البحث في علم النسب. مبينين الخلفية الثقافية لأصحاب هذه المصادر، على إعتبار أن هذه المصادر تعتبر ارثا حضاريا وإنسانيا لمعرفة تراجم شخصيات كانت صانعة لتاريخ المنطقة.فما محتوى هذه المصادر؟ دوافع تأليفها؟ومن هم مؤلفوها؟ وما هي مواقعهم الاجتماعية والثقافية؟

لقد كانت منطقة غريس[1] قبل تأسيس دولة الأدارسة منطقة استقطاب لآل البيت النبوي، تمثلت في قلعة راشد بن مرشد الذي

---

[1] وهي أحد مواطن المغرب الأوسط، وعرفت بأرض زناتة، وهي في غاية الخير، والأمن، والعافية، والقرى، والبساتين، المتصلة، وكثيرة العلماء، واستمرت هكذا إلى أن دخلها الحشم أواخر المائة التاسعة. ينظر:

أبو راس الناصري، شرح غوثية أبي المهدي عيسى بن موسى الدر المهدي لغوثية أبي المهدي، المكتبة الوطنية الجزائري، الجزائر، مخطوط: رقم 3326. ويقول أحمد بن الحاج موسى الجزائري:"وارض بني يفرن التي خلفهم فيها بنو راشد هي أرض غريس، ينظر:

علي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري، ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: 3251، ص128.

أسسها. فأصبحت بذلك مقصد الشرفاء من أحفاد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما عبرت عنه مصادر النسب[1].وفيما يلي نقدم المصادر:

1)عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس لأبي زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن محمد التوجيني:[2]

وقد خط في حجم صغير، وبخط مغربي واضح وبالألوان، يحوي ثمان صفحات. أما ناسخ المخطوط فهو البشير بن الحاج

وهي منطقة معسكر، حيث يقول بالهاشمي بن بكار:"أن معسكر هي قاعدة الوطن الراشدي ...يحدها شرقا جبل المناور وغربا جبل كرسوط وشمالا القلعة وجنوبا واد البنيان"ينظر:

بالهاشمي بن بكار ،حاشية رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1961، ص 34.

[1] عبد الرحمن بن محمد الفاسي، جوهرة العقول في ذكر آل النبي الرسول، مخطوط ملك خاص، ص ص 13،14.

[2] أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التوجيني: عرفه الطيب بن المختار الغريسي حيث يقول أن أبا زيد الذي ألف عقد الجمان، والده اسمه سيدي العيد ويعرفون ببني ماقضي وحفيد أبو زيد سيدي العيد ابن أبي زيد الذي كانت له حروب مع الأسبان في وهران، كما ويذكره صاحب العقد النضيد..." بقوله: «وبعضهم في غريس يقال لهم أولاد سيدي العيد» ينظر:

الطيب بن المختار الغريسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم،. ضمن كتاب، مجموع الحسب ولنسب...، المرجع السابق، ص337.

عبد الله البوزيدي، العقد النضيد في نسب البوازيد، مخطوط موجود بمدونة برج سيدي بن عزوز البرجي، ص 5.الموقع:albordj-blogspot.com ، التاريخ 2011/09/02/

قدور بن البشير بن قدور بن محمد المكي بن البشير بن الجيلاني بن أحمد بن دوبة.وتاريخ النسخ فهو يوم الأربعاء 29 رمضان 1380ه الموافق ليوم 15 مارس 1962م. ويقول البشير: « أنه مهاجر ببرج ولد المخفي في إقامة الثورة العربية بين المسلمين ودولة أفرانسا أخزاها الله آمين»[1].

يضع الناسخ بداية مقدمة صغيرة لمصنفه، ويلي ذلك ذكر التوجيني دواعي التأليف وهي،« أنه سأله بعض من أبناء زمانه، أن يكتب لهم مؤلف يذكر فيه من سكن أهل غريس من الأشراف، وثبت أنه من ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم، بدون شك أو خلاف أو ارتياب».ويذكر بعدها تسمية مصنفه:"بعقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس".[2]

وعندما تحدث التوجيني عن موضوع عواقب من وجه كلاماقبيحا إلى ذرية الرسول صلى الله عليه وسلم، في هذه النقطة يتحدث عن أشراف غريس فيقول:"لنمسك عنان القلم لأن الكلام الكثير يورث الملالة والساءمة ولنشغل بالمقصود...ولا نذكر إن شاء الله إلا من ثبت شرفه، عند أهل القرن الحادي عشر من الشيوخ والكهول والشبان"[3].

إن التوجيني يضع في هذا المصنف، من ثبت شرفه في منطقة غريس خلال القرن 17م، ويقوم بتعدادهم وهم:أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق، عبد الرحمان بن على بن عثمان بن عيسى، وأبو الحسن علي بن

---

[1]أبو زيد عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد بن محمد التوجيني، عقد الجمان النفيس في ذكر الأعيان من أشراف غريس، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم،3323، ص ص 1-8.

[2]التوجيني، المصدر السابق، ص 1.

[3] المصدر نفسه،ص 2.

عبد الجبار الفجيجي، وأبو محمد عبد القادر بن أحمد بن محمد من أولاد عبد القوي[1]، وأبو الحسن على الشريف، وأبو يعقوب بن يوسف بن على بن عامر بن إبراهيم، ومحمد بن يحي من أولاد يعقوب، وأبو موسى.[2]

لقد قام محمد الجوزي الراشدي بشرح عقد الجمان... وهذا بطلب من شيخه التوجيني، الذي أراد منه أن يبسطه ويبينه، حيث قام محمد الجوزي بشرحه شرحا طويلا تجاوز الألف ورقة سماه "فتح الرحمان في شرح عقد الجمان"، وهذا المخطوط موجود في زاوية طولقة، وقام أبوراس الناصري بوضع شرح لعقد الجمان...[3] سماه "إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس"[4] كما ترجم المخطوط إلى اللغة الفرنسية من طرف L .Guin.[5]

---

[1] عبد القوي صاحب تفرسفت، أنجب أربعة أولاد وهم أهل الريف، أنطر:

الإسكندري، المصدر السابق، ص 8.

ويذكر هذا أيضا العربي المشرفي في أولاد سيد عبد القادر بن المختار، حيث أنهم كانوا ملوكا في أرض جدهم عبد القوي، وهو الذي اختط مدينة ديراقزول أي تاقدمت، ولقد ماتت دولتهم ليقوم بعدها الأمير عبد القادر بإحيائها، ينظر:

أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن على مولى مجاجة، المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر، مخطوط رقم:3326، وذكره عبد الرحمان بن محمد الفاسي في قوله: من أخيار الأشراف القطب السني عبد القوي صاحب تافسرة وهو جد أشراف الريف"ينظر:

الفاسي، المصدر السابق ، ص15.

[2] التوجيني، المصدر السابق، ص ص 72.

[3] أبو قاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1998، ج7 ص 353.

[4] L .Guin, « de la suppression du manuscrit انوار البرجيس في شرح العقد النفيس les réflexions brillante de Jupettes ou commentaire du collier précieux » qu'avait rédigé Mohammed Bou Ras ben Nacer, Revue Aficaine, T31, 1887p72-80.

[5] L Guin, كتاب عقد الجمان النفيس في ذكر الاعيان من اشراف غريس, Le Collier de Péries précieuses ou mention des principaux personnages d'origine noble (de la contrée du Reris,Revue Aficaine T35, 1887, p241-280.

2)ربح التجارة ومغنم السعادة فيما يتعلق بأحكام الزيارة:لعلي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري [1]:

قد خط المصدر في حجم كبير يحوي على مائة وثلاث وتسعين صفحة، بخط مغربي واضح نوعا ما، وهو بالألوان، أما عن ناسخ المخطوط، فهو لحاج محمد بن عبد السلام بن الحاج العربي، وفرغ من نسخه يوم الأربعاء 4 صفر عام 1274هـ الموافق لـ23 سبتمبر 1857م [2].

حوى المخطوط على مقدمة، تطرق فيها إلى الأولياء وبركة محبتهم، والنقاط التي سيتحدث عليها في الكتاب، وختمه بخاتمة مطولة، نستطيع أن نقول هي لوحدها مؤلف آخر، تخص سيد أحمد بن يوسف الراشدي [3]،تضمنت أربعة أنواع:"النوع الأول": تطرق إلى نسب سيدي أحمد

---

[1] هو: أبو الحسن، علي، بن أحمد، بن الحاج موسى الجزائري، ولد بمدينة الجزائر سنة 1828م ، حفظ القرآن الكريم بمدينة الجزائر على يد الشيخ محمد بن تاتبيت، كما وأخذ العلم على طائفة من العلماء الجزائريين منهم: والده أحمد بن الحاج موسى الجزائري، ومصطفى بن الحاج أحمد الحرار الجزائري، توفي سنة 1909م ودفن بالحامة. ينظر:

بن نعيمة عبد المجيد وآخرون، موسوعة أعلام الجزائر 19541800، منشورات المركز الوطني، الجزائر، 2007، ص ص 226-230.

عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، ط3، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1980، ص ص 105-106.

[2] علي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري، المصدر السابق، ص 193.

[3] إن شخصية سيدي أحمد بن يوسف الراشدي، شخصية لها قيمة كبيرة في نفوس الجزائرين خاصة، والمغاربة عامة، في تلك الفترة، فلقد كثر التأليف التي تخصه بالذكر بصفة خاصة، مثل "بستان الأزهار في مناقب زمر الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار" لأبي محمد بن محمد بن علي الصباغ القلعي، الذي خصه بالتأليف في عدة فصول، في ثبوت ولايته، ومناقبه، وما جاء به وفتاواه .ينظر:

بن يوسف الراشدي ونشأته، و"النوع الثاني":تطرق إلى مشايخه وطريقته، و"النوع الثالث": في سعة علمه ومعرفته بربه، و"النوع الرابع": في كراماته، وثبوت ولايته، وبركته، زيارته.[1]

إن المخطوط الذي بين أيدينا يعطينا عرضا دقيقا لنسب سيدي أحمد بن يوسف الراشدي وهو:« الإمام النسر الضرغام، الوالي المجزوب، الكامل الكبير،والقطب الغوث، الواهل الشهير، العارف بالله الرباني، والمجزوب الروحاني، أبو العباس الهواري وطنا الراشدي منشأ الشريف الحسني، بن عمر بن أحمد بن عبد الله بن يوسف... بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب»ويقول على بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري أن: « هذا نسبه وإنما وقع اشتهاره ببن يوسف، وهذا نسبة إلى جده الأول يوسف بن عبد الجليل، أما والده فهو محمد»[2].

لقد اعتمد صاحب"ربح التجارة..." على مجموعة من المصادر منها:"مسالك الحنفا" للجلال السيوطي، وابن خلدون و"بستان الأزهار في مناقب زمر الأخيار"[3].

أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي الصباغ القلعي، بستان الأزهار في مناقب زمر الأخيار ومعدن الأنوار سيدي أحمد بن يوسف الراشدي النسب والدار، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، مخطوط رقم: 1707، ص 1.

وذكرته عدة مصادر في سياق حديثها عن الأنساب، مثل:

أبو محمد العربي بن علي المشرفي، مخطوط الرد على أبي راس الناصري، ملك خاص، ص18.

والعربي المشرفي، رسالة التفريد والتجريد المسماة القوس الأحمدية في الخلافة المحمدية، ملك خاص ص ص 7، 8

[1] علي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري، المرجع السابق ، ص 2، 125.

[2] المصدر نفسه، ص 126.

[3] علي بن أحمد بن الحاج موسى الجزائري، المرجع السابق ، ص 162 ،127

3)مخطوط في الرد على أبي راس الناصري[1]لأبي محمد العربي بن علي المشرفي الحسني:

قد خط في حجم متوسط، بخط مغربي واضح يحوي على تسع وأربعين صفحة، أما تاريخ النسخ فهو ذو القعدة 1292هـ الموافق لديسمبر 1875م، ولا يوجد اسم الناسخ، أي ربما أن هذه النسخة أصلية، كما أن هذا المخطوط ليس له عنوان، فقد جاء كرد على أبي راس الناصري، الذي قام بإخراج المشارف وأبناء سيدي دحوا من الشرف[2].

لقد بدأ المؤلف بوضع مقدمة لمصنفه، جاء في آخرها دواعي التأليف، حيث يقول: « أما بعد فإن براءة الاستهلال توطئة لقوم استحلوا أعراض السادات المشارف، والقادات الغطارف غاية الاستحلال، فسبوا بعضهم من ذريتهم كأنهم جاهلون ما كان عليه آباؤهم من الرفعة والمكانة زمن الأتراك، فعلماء المشارف هم سيوف تلك الدولة وتحفة تلك العصابة، وقضاة إيالتها واليهم المرجع في الحل والربط»[3].

---

[1] هو: أحمد بن محمد بن عبد القادر، بن أحمد، بن محمد، بن الناصر، بن علي، بن عبد العظيم، بن معروف، بن الجليل الراشدي، المعروف بأبي راس الناصري، ولد سنة 1737م، في جبل كرسوط شرق مدينة معسكر، حفظ القرآن الكريم وتعلم على يد علماء عصره، أمثال: عبد القادر المشرفي، وشغل وضيفة الإفتاء، والتدريس، والخطابة، والإمامة، والقضاء، بمدينة معسكر ما يقرب ست وثلاثون سنة..ينظر:

يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا في تاريخ الجزائر والعرب، شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص 136.

أبو القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ج1، ص 12.

[2] أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني، المصدر السابق، ص ص 12، 39.

[3] المصدر نفسه ، ص 2.

يندرج الكاتب إلى الحديث عن الأتراك ونسبهم ومذهبهم وبعض ملوكهم، ثم يتحدث عن حسن باي وهران الذي كان يحب العلماء وخصوصا ابن الشيخ المشرفي سيدي الطاهر، ثو يقول بعد ذلك:«أين المنكرون لشرف المشارف»[1] ثم يعدد علماء المشارف، والمكانة الرفيعة التي بلغوها زمن الحكم العثماني للجزائر[2].

يدخل المؤلف في صلب الموضوع فيقول: « أما علمتم أن الشيخ أبا راس رحمه الله وسامحه ، كان إماما عالما نافعا مطاعا شيخ الجماعة والإسلام في حاضرة معسكر[3] ،متوليا خطة القضاء بها، مدرسا بجامعها الأعظم،[4] وكان يومئذ يقرأ عليه سيدي بن عبد الله سقط المشرفي،[5]... ثم إن النفس الأمارة بالسوء حملته على أن تكلم

---

[1] لقد تطرقت لنسب الشريف للمشارف مجموعة من المصادر أبرزها:

الطيب بن المختار الغرسي، القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم ص 335 ومحمد الأعرج الغرسي، تسهيل المطالب لبغية الطالب، ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب...، المصدر السابق، ص 387.

وذكر نسب المشارف أيضا أبو حامد العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 18.

[2] أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني، المصدر السابق، ص 114.

[3] معسكر: مدينة تقع في الاقليم الشمالي الغربي للجزائر، على أحد السفوح المطلة على سهل غريس، بالقسم الغربي لجبال بني شقران، يحدها جبال المناور شرقا وجبال كرسوط غربا والقلعة شمالا، ووادي البنيان جنوبا. ينظر:

عدة بن داهة، معسكر عبر التاريخ، ط1، دار الخلدونية، ، 2005، ص 9.

[4] رغم أن أبا راس الناصري قد أخرج المشارف من الشرف، إلا أن المؤلف أعطى للشخصية حقها فيما يخص انجازاته العلمية أي أن الكاتب لم يتحيز في هذه القضية.

[5] هو: أبو المكارم، عبد القادر، بن عبد الله، بن محمد، بن أحمد، أبي جلال المشرفي الغريسي ثم المكي، المعروف بعبد الله، ويعرف أيضا بسقط ، توفي: يوم الخميس العاشر رمضان سنة 1192هـ الموافق لأكتوبر 1778م. ودفن بمقبرة الكرط ضواحي معسكر. ينظر:

في المشارف، وفي أولاد سيدي دح بن زرفة،[1] وفي كل من له شرف ديني أو وطني من أهل غريس ونفا نسبهم».[2]

يقول أبو محمد العربي المشرفي أن عاقبة أبا راس الناصري من جراء إخراج المشارف والدحاوحة من الشرف، هو عدم بقاء ذريته من بعده، أما عن الفريقين الآخرين فذريتهما موجودة إلى اليوم، ويقول أن أبا راس الناصري كتب[3]عن شجرة المشارف الشريفة وأخرجهم من الشرف، من سبيل الحسد والحسد منتشر بين العلماء، ويذكر أن جدهم هو إدريس بن إدريس

عبد القادر المشرفي، بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الأسبان من الأعراب كبني عامر، تحقيق محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دون سنة نشر، ص 6.

[1]نسب سيدي دحوا بن زرفة، ينظر:

الطيب بن المختار الغريسي،ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب...، المصدر السابق، ص 333.

[2] أبو محمد العربي بن علي المشرفي الحسني، المصدر السابق، ص 12.

[3] لقد ألف أبو راس الناصري مصنف أسماه" مروج الذهب في نبذة من النسب ومن انتمى إلى الشرف وذهب" .ينظر:

أبو راس الناصري، فتح الإله ومنته في التحديث بفضل ربي ونعمته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990، ص 181.

كما وتحدث عن مروج الذهب... الميري، وفيه تغير في العنوان" مروج الذهب في نبذة النسب ومن إلى الشرف انتمى وذهب". ينظر:

عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة الميري، دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، المغرب، 1997، ص 69.

ربما هو الكتاب الذي يتحدث عنه أبو محمد العربي بن علي المشرفي، على حسب ما فهمته من عنوان كتاب الناصري، أن هناك جماعات قد انتسب للشرف بدون أحقية، فقام هو بإخراجهم من هذا النسب، وحسب ما يتناقله الناس أن أبا راس الناصري قد ذاق الأمرين جراء هذا التأليف أحرقت مكتبته وأصبح فقيرا

4) مخطوط لأبي راس الناصري المعسكري في النسب:

لا يوجد بالمخطوط عنوان، وهو في حجم صغير وبخط عادي، عدد صفحاته أربعة عشر صفحة، أما ناسخه فهو: جلول جيلالي، وتاريخ النسخ هو: يوم الخميس 14 مارس 1978م.[1]

وضع الناصري في كتابه مقدمة وثلاث فصول:"الفصل الأول": في ذكر نسب النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول أن أجداد النبي المتفق عليهم قد ذكرهم في تأليف سابق سماه "مروج الذهب"، و"الفصل الثاني": في ذكر نسب إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر، و"الفصل الثالث": في ذكر مناقب فاطمة الزهراء رضي الله عنها[2].

بدأ المؤلف بالأنساب الشريفة المنتشرة في القطر الجزائري، بعدها خص بالذكر بأنساب الشرفاء في منطقة معسكر، فذكر نسب سيدي يخلف، وسيدي محمد بن أبي جلال، وسيدي عبد الرحمان المدعو دحو بن زرفة، وقال أن شرفه أصفا من الماء[3]، وذكر سيدي أحمد بن علي، وسيدي أحمد بومعزة، وسيدي عبد

[1] أبي راس الناصري، مخطوط في النسب، ملك خاص، ص 13.

[2] المصدر نفسه ، ص 1.

[3] إذا أردنا أن نقارن مخطوط أبا محمد العربي بن علي المشرفي الحسني في الرد على أبي راس الناصري، ومخطوط العربي المشرفي، رسالة التفريد والتجريد....الذين يؤكدان أن ابا راس الناصري صنف كتاب في النسب، أخرج كل من المشارف والدحاحوة من الشرف، وهذا ما يطابق مع ما يتداوله الناس، بالموازات نجد في مخطوط أبي راس الناصري أنه يؤكد نسب الدحاحوة، ويقول أن شرفه أصفا من الماء، إن هذا التناقض لا يأتي من عالم كأبي رأس الناصري، هناك احتمالين ربما أن المخطوط منسوب لأبي راس الناصري، أو أن أحد النساخ قد تصرف في محتوى المخطوط، أي أنه أضاف أنساب، والاحتمال الثاني وهو مستبعد، وهو أن أبا راس الناصري قد أدرك وقوعه في الخطأ، فتداركه بهذا التأليف.

الرحمان، وسيدي علي بوشنتوف، وقول:« أن من شرفاء غريس سيدي عمر بن دوبة، وسيدي أحمد بن يحي مقرئ الجان، وأبو محمد عبد القادر المدعو سيدي قادة بن أحمد المختار»[1].

5)مجوع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب لبلهاشمي بن بكار:[2]

يضم المؤلف أربعة كتب، في كتاب واحد وضع في البداية المؤلف مقدمة عامة للكتاب، عدد فيه المؤلفين الذين كتبوا في علم النسب منذ الجاهلية إلى الإسلام، وذكر دوافع تأليفه وهو جمع كتب الأنساب في كتاب واحد، حيث يقول:« أنه في عصر لا يهتم بالحياة الثقافية، وأصبحت المخطوطات مهملة»، ويقول أنه توجهت همته وتحركت عزيمته إلى ما بقي من هذه المخطوطات، في مجال التاريخ والنسب والحسب والفضائل والأدب. ويقول أنه وجد منه ثلاث كتب، وهي:"القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم" للطيب بن المختار الغريسي و"شرح منظومة الشيخ أبي المهدي عيسى بن موسى التوجيني" لسيدي محمد الأعرج

---

[1] الناصري، مخطوط في النسب، المصدر السابق، ص ص 10-13.

[2] التعريف بالمؤلف: وهو محمد بالهاشمي بن بكار، بن عبد القادر، بن بكار، بن محمد، بن الهاشمي، بن علي، المكنى أبو شنتوف، بن سحنون، بن أحمد، بن محمد، بن أحمد. وهو صاحب المزارة سيدي أحمد بن علي، في منطقة معسكر، بن علي صاحب مزارة سيدي علي بن عيسى في بلدة تاسالة. نشأ في بادية غريس، وحفظ القران الكريم في شبابه، شغل عدة وظائف أخذ يلقن أوراد الطريقة الوزانية الشاذلية، وقام بالتدريس في مسجد سيدي علي الشريف بمعسكر، متطوعانحو 10 سنوات، ودرس في زاوية سيدي عبد الله نحو السنتين، ودرس في الجامع الأعظم في معسكر نحو عشرة سنوات، كما وتولى منصب الإفتاء مع خطبة الجمعة مدة عشرين سنة، وتولى منصب شيخ الجماعة الدينية الإسلامية لقسم معسكر ل15 سنة. وتوفي في 24 أفريل 1970. ينظر
مجوع الحسب والنسب...، المصدر السابق، ص ص 176-187.
محمد الجيلالي، معسكر ومناقب أئمتها في القرن العشرين، ابن خلدون، الجزائر، 2001، ص 46.

الغريبسي و"السلسلة الوافية والياقوتة الصافية" لأحمد العشماوي. ويقول أنه جمعها وقام بتصحيحها مع إبقاء كل كتاب لوحده[1].

قد أضاف بلهاشمي بن بكار على هذه الكتب الثلاثة، كتاب من تأليفه سماه:"نسمات ريح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة" مع حاشية، حيث قام بجمع الكتب الأربعة في كتاب واحد سماه:"مجوع الحسب والنسب والفضائل والتاريخ والأدب"[2]

- **حاشية رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة** لبلهاشمي بن بكار:

وقد تعرض في المقدمة الدوافع التي دفعته للتأليف، وهي: الاقتداء بالعلماء والأولياء، ويقول أنه وضع على هذا المؤلف حاشية تبين أصول بعض الأبيات [3].

إن الكتاب الذي بين أيدينا ليس كتاب نسب محض، لكن القارئ له يدرك أنه يقرأ لكتاب نسب؛ حيث يبين فيه نسب الحسن والحسين رضي الله عنهم وذريتهم، ويترجم لبعض الشخصيات الشريفة خصوصا في منطقة غريس وغيرها من المناطق، وفي الأخير يتطرق إلى مجموعة من المنظومات والقصائد. أما الخاتمة يوضح فيها بلهاشمي بن بكار تاريخ الشروع في التأليف، وهو في أوائل شهر

---

[1] مجموع الحسب والنسب...، المصدر السابق، ص 4.

[2] المصدر نفسه، ص 4.

[3] بلهاشمي بن بكار، حاشية رياض النزهة على منظومة نسمات رياح الجنة في فضائل أهل البيت وأولياء الله وأذكار الكتاب والسنة، ضمن كتاب مجموع النسب والحسب...، المصدر السابق، ص 18.

رمضان سنة 1379ه الموافق لمارس 1960م،وإتمام الحاشية يوم الجمعة 8جمادى الأولى عام 1380ه الموافق لـ29 أكتوبر 1960م[1].

- **القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم:** للطيب بن المختار الغريسي:[2]

بعدما قدم الطيب بن المختار الغريسي[3] لمؤلفه،ذكر دواعي التأليف، حيث قال: « إني لما رأيت بعض الدخلاء في العربية، المتطفلين على أبوابها وفصولها، المتحاملين على قواعدها وأصولها، من العرب المستعجمة، قد أكثروا الخوض في أنساب الحشم، فركب كل منهم مثنى، وقال قولا وما أفاد معنى، أحببت أن أنفق شيء من العمر الضائع في هذه الرسالة، وأزيل الخبط والاضطراب عنهم في هذه العجالة، مقتصرا على ما تدعو إليه الحاجة، من مشاهير القبائل ورؤساء الفضائل وأعيان الأشراف»[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 215.

[2] الطيب بن المختار الغريسي، المصدر السابق، ص 329.

[3] هو: بن الطاهر، بن البشير، بن محمد، بن عبد القادر، ابن المختار، عم الأمير عبد القادر الجزائري، تلقى العلم عن مصطفى بن التهامي، الوزير الأول للأمير عبد القادر، وعن عبد الله سقط المشرفي، سافر لجامع القروين بفاس ودرس به، وتولى منصب القضاء في معسكر. قد ذهب إلى مرسيليا لمقابلة الأمير عبد القادر سنة 1865م، بموافقة فرنسا. وزاره أيضافي الشام مرتين، وظل على صلة به، ومدحه بالشعر، تزوج من عائلة بوطالب. وتوفي سنة 1890م بالجزائر. ينظر:

مجموع الحسب والنسب...، المصدر السابق، ص 343.

بن نعمية وآخرون، المرجع السابق، ص ص 192-195.

سعد الله، ط1، ج7، المرجع السابق، ص 326.

[4] الطيب بن المختار الغريسي، ضمن كتاب مجموع الحسب والنسب ... ، المصدر السابق، ص 329.

حوى هذا الكتاب على مقدمة، وثلاثة فصول:"الفصل الأول": في ذكر أشراف غريس، ويقول أنه كثر ادعاء الشرف في هذه المنطقة، وهو في هذا الفصل يذكر أشراف غريس الذين لاشك فيهم وعددهم، وهم أولاد سيدي دحو بن زرفة، وسيدي أحمد بن علي، وسيدي محمد بن يحي مقرئ الجان، والمشارف، ومهاجة، وسيدي أحمد الورغي، وسيدي العيد بن مقاضي، وسيدي عبد القادر بن المختار[1].

أما "الفصل الثاني": تحدث عن من هو بمنطقة غريس من العرب الذين ليسو بأشراف، تحدث فيه عن الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب الإسلامي، وعن قدوم قبائل بني هلال، وسليم المضرية، وعن الدولة الفاطمية، وردة البربر عن الإسلام، وتحدث عن فساد اللسان المضري، واختلاط العرب، وعن انتشار اللغة العربية، حيث صارت لغة الجميع، وتحدث عن العرب الموجودين في غريس وأصولهم، وتحدث عن قبائل الحشم الذي يعبر عنهم بالأجواد، والذين كانت الرياسة فيهم آخر العهد العثماني[2].

أما "الفصل الثالث": تحدث فيه عن زناتة الموجودين في منطقة غريس، ويقول الطيب بن المختار أنهم أقدم من العرب استيطانا للمغرب، وأنهم امتزجوا بالبربر امتزاجا كليا، وأنهى مصنفه بخاتمة يقول فيها«ولا ثمرة في تميز إحدى الفريقين على الأخر، فلا تضيع زمنك في الفرق بينهما، ثم إذا عرفت الأشراف على حدتهم، وقريش المعبر عنهم بالأجواد على حدتهم، وعرفت العرب الذين ليسوا بقريش حسبما عرفنا، وعرفت أن الزناتي والبربري من سواهم، لأن الأشياء تعرف بأضدادها »[3].

---

[1] المصدر نفسه ، ص ص 331. 345.

[2] المصدر نفسه، ص 346.

[3] المصدر نفسه، ص 354.

- **تسهيل المطالب لبغية الطالب لمحمد بن محمد المعروف بن الأعرج الغريسي:**

يقوم ابن الأعرج الغريسي بتقديم لمصنفه، ويقول أن مؤلف "بغية الطالب" وهو سيدي عيسى بن موسى التيجني الغريسي[1].بعدها يقوم ابن الأعرج، بوضع شرح لبغية الطالب سماه "تسهيل المطالب لبغية الطالب" وكان هذا الشرح بطلب من والده، ويقول أن المؤلف قد ضمن كتابه بكل من كان على عهده من العلماء والأولياء والأئمة من منطقة غريس[2].

أما في العرض فقد تطرق الغريسي بصفة عامة لأشراف منطقة غريس وعددهم، مثل سيدي بن موسى في فروحة، وشرفاء مهاجة ،وسيدي بوسكرين، وسيدي أحمد بن يحي، وسيدي يوسف، وعمود نسب المشارف، وسيدي قادة بن المختار، وسيدي محي الدين بن المختار، والأمير عبد القادر. ويذكر بعض الأنساب خارج منطقة غريس، مثل: أبو الحسن على أبهلول، ونسب المحافيظ في الجزائر والأصنام، وأولاد سيدي علي بن أيوب في بني عامر، ويذكر نسب بعض الفاطمين في منطقة غريس، ويذكر زوايا سيدي بن خدة العلمية، وما تخرج منها من علماء ويعرض نسبه[3].

[1] هو: سيدي عيسى بن موسى التيجني، نسبة لبني توجين أحد بطون زناتة، أخذ عنه العلم عدد كبير من علماء الراشدية. من مؤلفاته "اللسان المعرب على تهافت المعمرين حول المغرب"، وتوفي سنة 962 هـ 1554م. ينظر:

محمد الأعرج الغريسي، ضمن كتاب مجموع الحسب...، المصدر السابق، ص 358-359.

يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ،شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ج1، ص 133.

[2] محمد الأعرج الغريسي، ضمن كتاب مجموع الحسب ...، المصدر السابق، ص 358-395.

[3] المصدر نفسه، ص 374-400.

6)ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي لمولى مجاجة[1] للعربي المشرفي:[2]

وهو عبارة عن مخطوط عثرت على نسختين منه ،"النسخة الأولى"بالمكتبة العامة بالرباط وهو بخط مغربي غير واضح، وفي حجم كبير يبلغ عدد صفحاته مائة وثمانين صفحة[3]. أما "النسخة الثانية" فهي نسخة المكتبة الوطنية الجزائرية، وهي بخط مغربي واضح وبالألوان،وفي حجم متوسط يبلغ ثمان وثلاثون صفحة، وهي التي اعتمدت عليها، وبالنسبة لناسخ "النسخة الثانية"، فهو محمودي البشير بن الحاج قدور[4]

---

[1] هو: محمد بن علي أبهلول المجاجي، عالم، وزاهد، وكان من بين العلماء الذين يفصلون في المسائل العلمية، وله معرفة بعلم الشعر، وله في مجاجة زاوية مشهورة، لكن من جاؤو بعده نسبوا إليه كرامات وسموه بالقطب، ينظر:

سعد الله، المرجع السابق، ط1، ج1، ص 404.

نويهض، المرجع السابق، ص 286.

[2] هو: العربي بن عبد القادر، بن علي المشرفي، ولد بقرية الكرط من ضولجي معسكر في نهاية سنة 1804 وبداية سنة 1805، أخذ العلوم من علماء عصره أبي راس الناصري وعبد الله سقط، وتعلم أيضافي مدينة وهران حوالي1824-1825م، عمل على توثيق صلته بسلاطين المغرب الأقصى خاصة الحسن الأول، زار بعدها الجزائر مرتين 1848-1849، وسنة 1877م خلال رحلته إلى الحج. توفي سنه 1331ه 1895م عن عمر يناهز الستين. ينظر:

بن نعمية وآخرون، المرجع السابق، ص ص 332-335.

بوجلال قدور، العلم والعلماء في بايلك الغرب 1711-1830 معسكر ومازونة نموذجا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، المركز الجامعي مصطفى اسطنبولي، قسم التاريخ،20082009 ،ص161.

[3] أبو حامد العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة، المكتبة العامة، الرباط، رقم:1534.

[4] هو:سعيد بن ابراهيم، بن عبد الرحمان، واشتهر بقدورة، تولى الإفتاء سنة 1028هـ ، درس في زاوية أبهلول، ثم رحل الى تلمسان، ودرس على المقري، ، واشتهر بالعلوم العقلية والنقلية، من بين مؤلفاته، "نوازل تلمسانية"، و"شرح المنظومة الخزرجية"، و"حاشية على شرح صغرى السنوسي". ينظر: سعد الله، المرجع السابق،، ط6، ج 1، ص ص 358-359-357-368.

وتاريخ نسخها هو يوم 28 مارس 1962م[1].

تطرق العربي المشرفي في مقدمة مصنفه إلى دواعي التأليف، كما أبرز عنوان المؤلف حيث يقول: «وسميته ياقوتة النسب الوهاجة في ضمنها التعريف بسيدي محمد بن علي مولى مجاجة، وان شئتم قلت اليواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيد محمد بن على مولى مجاجة»[2].

لقد قسم العربي المشرفي عمله إلى "أربعة أقسام" ، تحدث في القسم الثالث عن شرفاء الجزائر، يخص بالذكر هنا شرفاء منطقة غريس، ويقول العربي المشرفي أن منهم المشارف، وأولاد سيدي دحو بن زرفة، وأولاد سيدي أحمد بن علي، وأولاد سيدي عبد القادر بن المختار، وأولاد سيدي محمد بن يحي، وأولاد سيدي العيد الماقضي، وخلوية، وسيدي عطا الله، والزلامطة، وأولاد سيدي علي بن المرين، ثم يورد بعض الشخصيات العلمية والدينية فكل فرقة وخصوصا المشارف[3].

أما الخاتمة فيورد فيها تاريخ إتمام هذا المؤلف، وهو يوم الخميس 29 ربيع الثاني سنة القرن الثالث عشر بعد الألف الموافق ليوم 24 سبتمبر 1604م، ويقول العربي المشرفي أنه بعث هذه النسخة لابن القطب محمد ابن علي المشرفي، وهو هني بن السائح مصحوبة بقصيدة[4].

[1] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 38.

[2] المصدر نفسه، ص 3.

[3] العربي المشرفي، المصدر السابق، ص ص 18-24-25-26-27.

[4] المصدر نفسه ، ص 37.

7)سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول لعبد الله بن محمد بن الشارف ابن سيدي علي الحشلاف:

يذكر في مقدمه كتابه، دواعي التأليف الذي كان بطلب من مجموعة من الأشخاص بغية توضيح نسبهم، وقد احتوت هذه المقدمة بدورها على ثمان فصول، تطرق فيها إلى فضل علم النسب، والكتب المعتمد عليها في هذا العلم، وسرد سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وآله،ووجوب تعظيمهم واحترامهم، ثم يتحدث عن إدريس الأكبر وإدريس الأصغر[1].

لقد حوى الكتاب على خمسة أقسام:"القسم الأول": في الشجرة الإدريسية، يذكر فيها شرفاء غريس حيث يعتمد على عقد الجمان النفيس، كما يذكر قصيدة لشعيب بن علي قاضي محروسة تلمسان في أشراف غريس،[2]"القسم الثاني": في الشجرة السليمانية،"القسم الثالث": في الشجرة الموسوية القادرية، و"القسم الرابع": في الشجرة الحسنية العلوية، و"القسم الخامس": في الشجرة الحسينية. كما يختم الحشلاف كتابه في ذكر عبد القوي الحسني، وعبد القوي الحسيني، وعبد القوي التيجاني ونسب زيان[3].

8) سلسلة الذهب:لعبد السلام بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد الإسكندري، صاحب محروسة سوسة بالقيروان:

[1] عبد الله بن محمد الحشلاف، سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية ، تونس، 1929، ص ص 4-30.

[2] المصدر نفسه، ص ص114.109.

[3] الحشلاف، المصدر السابق، ص 35-165.

وهو مخطوط في حجم متوسط يبلغ عدد صفحاته تسع وعشرين صفحة بخط عادي، أما عن الناسخ فهو غير واضح: لأن المخطوط مبتور منه الصفحة الأخيرة، لكن تاريخ النسخ واضح وهو يوم الأربعاء من شهر شعبان سنة خمس وثلاث مائة وألف[1].

يوضح المخطوط الذي سبق ذكره نسب الأشراف في كل من تونس والجزائر والمغرب الأقصى، لكنه يركز على الأشراف في منطقة الجزائر، ولم يضع المؤلف مقدمة لمصنفه، أو ربما أنها حذفت من طرف الناسخ. يذكر نسب الأشراف الموجودين في مازونة، وهذا في نسب السلطان سيدي الناصر بن عبد الرحمان صاحب مزونة، وذريته المنتشرة في كل من الصحراء، والكاف، وتونس، ومتيجة، والشلف، وفي جبل العمور، وفي تلمسان[2].

ويذكر شرفاء تلمسان، ومنهم أولاد سيدي محمد بن رحمة، وأولاد سيدي محمد بن زيان بن أحمد، وبنو قايد، وأولاد سالم، وأولاد عبد الحليم[3]،ويتطرق الإسكندري إلى بعض أشراف غريس، مثل أولاد سيدي إبراهيم المغراوي، وأولاد محمد بن يحي قراي الجنون، ويذكر نسب عبد القوي صاحب تفرسفت، كما ويعدد نسب الأشراف في مناطق متعددة [4].

[1] عبد الله بن أحمد الإسكندري، سلسلة الذهب، مخطوط ملك خاص، ص 29.

[2] عبد الله بن أحمد الإسكندري ، المصدر السابق، ص 2.

[3] المصدر نفسه، ص 5-7.

[4] المصدر نفسه، ص ص 3،8.

9) العقد النضيد في نسب البوازيد[1]لعبد الله بن أحمد بن عبد الرحمان البوزيدي:

وهو مخطوط في حجم صغير وبخط واضح ومفهوم، عدد صفاته تسع صفحات، أما عن الناسخ فقد نسخ المخطوط ناسخين،"الناسخ الأول" هو محمد العيد، وزمن نسخه **13** جمادة الثانية عام **1347**هـ الموافق لـ**26** نوفمبر **1928**م أما "الناسخ الثاني": فقد نسخ من نسخة محمد العيد، وهو محمد أبو القاسم بو الأنوار، يوم **28** شوال **1386** الموافق لـ**7** فيفري **1967**م[2].

يورد البوزيدي في المقدمة دواعي التأليف؛والذي كان بطلب من بعض الأشراف. ثم في العرض يورد الأحاديث النبوية التي تحث على حب آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يتحدث عن نسب سيدي بوزيد بن علي وسيرته، ويتعرض لنسبه فيقول: «فهو القطب الرباني، والغوث الصمداني، الشريف الحسني، سيدي بوزيد بن علي بن موسى بن عيسى ابن سليمان، بن عبد الله بن إدريس الأصغر، بن إدريس الأكبر، بن عبد الله الكامل، بن الحسن المثنى، بن الحسن السبط، بن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم»[3].

ثم يتحدث عن ذرته سيدي بوزيد ومواطنهم، ومنهم، علي، وعبد الله، الذين دفنا بأرض راشد، ولقد انتشر أولاده في مناطق عديدة من

---

[1] نسب البوازيد تحدثت عنه مجموعة من مصادر النسب أبرزها:ياقوتة النسب الوهاجة: العربي المشرفي، المصدر السابق، ص 18.وصاحب جوهرة العقول في ذكر آل النبي الرسول ينظر: الفاسي، المصدر السابق، ص 25.وصاحب سلسلة الأصول في ذكر آل النبي الرسول ينظر: الحفناوي، المصدر السابق، ص72-73.

[2] البوزيدي، المصدر السابق، ص 8-9.

[3] المصدر نفسه، ص ص 1- 4.

الجزائر، والمغرب، وطرابلس، ومن أولاده الذين في منطقة غريس سيدي العيد، وفي الأخير يتطرق إلى وفاة سيدي بوزيد بن علي[1].

إن الزخم والتنوع والثراء الذي خلفه علماء العصر الحديث والمعاصر، من مخطوطات في علم النسب، جعل هذه المصادر نوعية في محتواها، خاصة في مضامينها، مثلت الأنساب في إقليم معين وخصته بالذكر، كما خصت بالتأليف جماعات، وخصته أيضالتجعل التصنيف في شخص معين.وهذا إن دل على شئ إنما يدل على التعلق والحب الكبير لآل البيت، من طرف المغاربة عامة والجزائريين خاصة، ويبين أيضاما كان لهذا العلم من الحظوة والاعتبار والأهمية، وهذا ما ذكرته مصادر علم النسب.

[1] المصدر نفسه، ص ص 5- 8.

خزانات المساجد الكبرى في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي - خزانة المسجد الكبير بمعسكر أنموذجا -

د. علي بشير بلمهدي - قسم العلوم الإنسانية، جامعة معسكر

تمهيد:

يبدو للوهلة الأولى أن عملية إحصاء ما تحتويه خزانات المساجد الكبرى في الجزائر أمرا سهلا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، إلا أنه ما يفاجئك ذلك السؤال الذي يدور حول وضعية تلك الخزانات وطريقة تسييرها وتنظيمها، والوسائل المستعملة داخل هذه الخزانات والأماكن المخصصة لها عبر جدران المساجد والقائمين عليها وكيف كانت تتم عملية الإعارة؟ وما هي الجهات الفاعلة لتزويد واقتناء الكتب لهذه الخزانات في ظل سيطرة الإدارة الاستعمارية على هذه المساجد؟ في محاولة مني حاولت في بداية الأمر أن أبحث على طبيعة الخطاب الديني الرسمي، لأن دور الأرشيف تفتقد لهذا النوع من الخطاب والمثل في خطبة الجمعة ودروس الوعظ والخطب الدينية المناسبتية التي كانت تلقى في المساجد الرسمية، فأدركت أنه لابد من وجود مرجعية لهذا الخطاب الديني الرسمي، وذلك بعد ما اهتديت إلى دور الأرشيف على المستوى الوطني أي أرشيف ولاية وهران والأرشيف التاريخي لولاية قسنطينة وعلى المستوى الخارجي أرشيف ما وراء البحار لمدينة إكس أون بروفانس بفرنسا وهو أرشيف غني، أهتم بكل ما هو موجود في خزانات المساجد الكبرى بالجزائر، بالأخص مساجد الغرب الجزائري كالمسجد الأعظم بوهران والمسجد الكبير بتلمسان والمسجد الكبير

بسيدي بلعباس والمسجد الكبير بمستغانم والمسجد الكبير بمعسكر ثم المسجد الكبير في تيارت وأخيرا المسجد الكبير بسعيدة. وهي كلها مساجد رسمية وقعت تحت إدارة الشؤون الأهلية بعد أن سلبها الاستعمار من أوقافها (الحبوس) وحولها إلى مصلحة أملاك (الدومين) الفرنسي.

- أهمية الكتاب الديني في المجتمع الجزائري:

افتقد القارئ الجزائري في هذه الفترة بالذات أي نهاية القرن التاسع عشر (19 م) الميلادي إلى الكتاب الديني الذي فرضت عليه إدارة الاحتلال ضغوطات أمنية، بعد أن أغلقت باب الجهاد في جميع الهياكل الدينية من مساجد وزوايا ولم تسمح به في التعليم الديني. ويتضح هذا من خلال سياسة دينية فرنسية محكمة تجاه الدين الإسلامي، فكان إلغاؤها " للمجلس الإسلامي الأعلى " سنة 1875م، ضربة قاضية للدين، كما حاولت الإبقاء على وظيفة أو رتبة " شيخ الإسلام " التي كانت تخص المفتي الحنفي في العهد العثماني: أي الأقلية التركية التي كان مذهبها حنفيا رسميا حكوميا والأغلبية الجزائرية كان مذهبها مالكيا غير رسمي.

(A.W.D'ORAN, Proposition de décision de l'UDMA (le 30/12/1951) devant l'assemblée algérienne sur le culte musulman). وفي هذا الشأن سعت الإدارة الاستيطانية التقرب من الزاوية التيجانية بعين ماضي (ناحية الأغواط) وإعطاءها هذا التشريف الديني، (Rinn ,L.1884 :11) إلا أنها فشلت في ذلك. فأصبح مصير الكتاب الديني تحت هيئة إدارية تعرف "بمكتب الشؤون الأهلية" الذي تماطل كثيرا في تدعيم هذا

النوع من الكتب، بعد أن أصبحت المساجد والزوايا دون دخل مالي، وهذا بعد إصدار مجموعة من القرارات والمراسيم الإدارية التي شرعت سلطة الاحتلال التصرف فيها، وإرغام الجمعيات الدينية الإسلامية المسجدية بلعب الدور الثانوي الاستشاري في هذه المسألة. كما أصبح عمل المفتي محصورا في إعداد تقارير حول الوضعية الدينية بمقاطعته وإهمال الجانب االديني والمعرفي والعلمي للمسجد الرسمي.

- غنى وتنوع خزانات المساجد الكبرى في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر.

إذا قمنا بفهرست كتب خزانات المساجد الرسمية الكبرى في الجزائر فإننا نجدها غنية من حيث تنوع العناوين والتخصصات وأن كل مسجد له فهرسته الخاصة، إذ لا نجدها موحدة رغم أنها كانت خاضعة لإدارة الاحتلال، ونذكر على سبيل المثال بعض التخصصات دون ذكر العناوين المصاحف – كتب الحديث – كتب العقيدة – الشريعة – اللغة – القواعد – الفلسفة – التاريخ – كتب متنوعة. وفي بعض المساجد الأخرى اتخذت التخصصات أسماء أخرى كفن الحديث الشريف، فن السيرة النبوية، فن التصوف، فن تفسير القرآن الكريم فن أصول الدين وهو التوحيد، فن تجويد القرآن، فن المعاني والبيان والبديع فن الفرائض والحساب، فن المصطلح، فن الشمائل والمدائح والصلوات النبوية، فن المنطق، فن الطب، فن التاريخ، فن النحو، فن اللغة العربية وأخيرا جملة الكتب المتنوعة. وعلى سبيل الاختصار فإن بعض العناوين لخزانة الجامع الكبير لمدينة معسكر، لا تتوفر على أسماء

أصحابها، لأن عملية الجرد والإحصاء لم يجريها مختصون من أمناء الخزانات، كما تنتهي أغلبها بإمضاء المفتي مع ذكر تاريخ الجرد. وكانت تسجل الكتب اعتماد على الفهرسة التالية: الكتاب، صاحبه، وعدد الأجزاء، بالإضافة إلى عدد النسخ، باللغتين العربية والفرنسية(C.A.O.M ,**2U14**, Bibliothèques des mosquées.**1898**) ومن هذه الكتب نجد: كتاب الموافقات للشاطبي، متن سيدي خليل، مدونة الإمام مالك رضي الله عنه، شرح الحدود لأبن عرفة، مجموع الأمير، كتاب القوت لأبي طالب المكي، شرح الألغاز لأبن هشام، القول المجيد في علم التجويد، نيل الأوطار للشوكاني، شرح الزرقاني على موطأ مالك، الأنوار المحمدية، السوداني على الأجرومية، شرح شواهد التلخيص، مفتاح العلوم، كتاب التهذيب، ميزان الانتظام، رسالة فوائد العياشي، منافع الأغذية، الدرة البيضاء، مصباح الحاسب، تاريخ ابن خلدون، تاريخ ابن خلكان، فوات الوفيات، تاريخ أعيان القرن الحادي عشر.

وبدأ الاهتمام بعملية الإحصاء من قبل إدارة الاحتلال لما تحويه الخزانات المسجدية إلا مع نهاية القرن التاسع أي ما بين **1890-1898**. بعد أن تم نهب أغلب المساجد منذ الوهلة الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر. فكان هذا الإحصاء بمثابة عملية انتقائية " Une opération Sélective " لبعض الكتب التي أزيحت من هذه الخزانات، والتي أغلبها تم وضع لها دراسة واسعة لتوزيعها على كبار الإدارة الاستعمارية حتى يتعرف هؤلاء على خبايا المجتمع الجزائري من خلال هذه الكتب، وعادة ما كانت كتب حول الشريعة وبعض الطرق الصوفية، **(أنظر الملحق رقم:01)** هذا بالإضافة إلى شح الإدارة

لتمويل هذه الخزائن حتى وصل الحال بها إلا تخصيص ميزانية في شهر رمضان لتوزيع "الزلابية" على المصلين بعد أداء صلاة التراويح، وهذا على مستوى المسجد الكبير بوهران، كمثال على ذلك. **(أنظر الملحق رقم:02)**

- وسائل وطرق شراء واقتناء الكتب الدينية.

كانت الطريقة المعتمدة لاقتناء وتزويد الخزانات المسجدية تعتمد على الوسائل والطرق التالية:

أولا: الاعتماد على المحاضر المحررة بعد اجتماع "الجمعيات الدينية الإسلامية" التي تطلب كل مرة تزويد المكتبات المسجدية بالكتب من خلال تخصيص ميزانية حكومية لذلك إلا أنها كانت هي الأخرى تواجه صعوبات من حيث التأطير والتجمع وبحث القضايا الجوهرية الدينية، (C.A.O.M, Affaires générales et collectives. Arrondissement de Mascara**1868-1955**) وأن أغلب أعضائها لا يعرفون القراءة والكتابة ويستدل ذلك من خلال مذيلات المحاضر التي تحمل توقيعات وأسماء هؤلاء، بالإضافة إلى دفع هذه الجمعيات بعض الأموال إلى إدارة الاحتلال خصوصا في شهر رمضان وهي فتورة "البارود" المستعمل في المدافع المخصصة للإفطار.(C.A.O.M ,**2U15**,Ramadhan, salves d'artilleries .**1894- 1920**) **(أنظر الملحق رقم:03)**

ثانيا: طلبات محررة من قبل المفتين إلى رؤساء الدوائر (les sous-préfets) لشراء هذه الكتب، حيث يتم إعداد قائمة للكتب الموجودة في الأسواق على المستوى المحلي والعربي، نذكر على سبيل المثال شرح خزانة المسجد الكبير بمعسكر كانت تحتاج إلى أكثر من

واحد وسبعين (71) عنوانا نذكر منها(**أنظر الملحق رقم:04**): صحيح البخاري بالشكل الكامل، والقسطلاني وبهامشية النووي، الزرقاني على الموطأ، معرب القرآن، شرح السيوطي على الألفية، سنن ابن ماجة، تفسير الخطيب وبهامشية فتح الرحمن،قانون الشيخ الليوسي، تاريخ ابن الوردي، تاريخ ابن خلدون، فتح البريد على الأجرومية، شرح دليل الخيرات للفاسي، تذكرة القرطبي...الخ. (C.A.O.M ,**2U 14**, Bibliothèques des mosquées.**1898-1948**)

ثالثا: تبرع بعض المسلمين بالكتب الدينية، وهذا بوقفها على المساجد، فكانت الخاصة والعامة من مسلمي الجزائر تقوم بوقف كتب دينية يتم اقتناؤها من دول عربية كمصر والشام ودول إسلامية كتركيا التي تطورت بها وسائل الطباعة، بالإضافة إلى أرض الحجاز التي كان الجزائريون يزورونها للحج والعمرة.

استعارة الكتب الدينية للمطالعة:

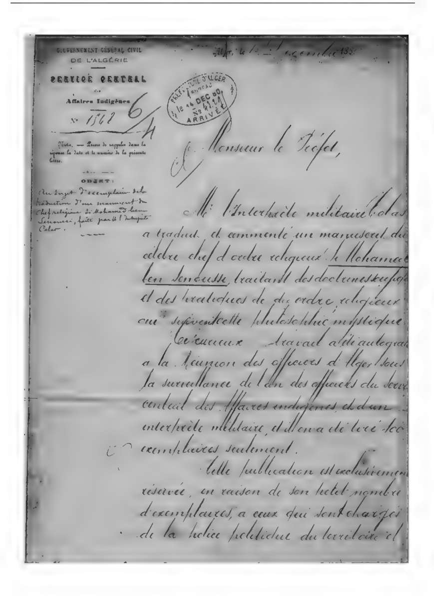
أما عن انتشار الثقافة الدينية فكانت محدودة في الأوساط الجزائرية، ندرك هذا من خلال تصفحنا كناشات ودفاتر استعارة الكتب على مستوى خزانات المساجد الرسمية وعلى رأسها المسجد الكبير لمدينة معسكر، فأغلب الأسماء المدونة على دفاتر الاستعارة لأمناء المكتبات هي لرجال العلم والدين، إذ لا تعدو وظائفهم أئمة وحزاب لمساجد مجاورة، كما سجلنا استياء بعض الأمناء نتيجة تماطل هؤلاء المطالعين في استرجاع الكتب المستعارة، فقد تجاوزت مدة الاستعارة أكثر من ثلاثة أشهر، مما أدى بأمناء المكتبات أو الخزانات بتخصيص مراسلات إلى المفتي يدعون فيها بالتدخل لإرغام

هؤلاء بإرجاع الكتب. (C.A.O.M ,2U14, Bibliothèques des mosquées.1898-1948) وعادة ما كانت هذه الخزانات تشهد زوارا في المناسبات الدينية المعروفة لدى المسلمين، كما طرحت بعض القضايا الدينية في الصحف الحكومية و"الأهلية" حول بعض القضايا الفقهية. حول بعض مسائل العشور التي وقع فيها المشرع الفرنسي. كما وقع الخلط والتشكيك في بعض الفتاوى الخاصة بمسألة مشاركة الجزائريين في الحرب العالمية الأولى، بالإضافة إلى رغبة الحكام العامين بالإطلاع على الكتب المحررة في الجزائر وهي على شكل مخطوطات وهي منتوج لرجال الطرق الصوفية، فكان يسعى هؤلاء لمعرفة عقيدة الموردين والمطالبة بطبعها من باب الاحتراز ومعرفة أذكارها وأورادها. (C.A.O.M, 2U23. confrérie senoussia (1864-1891).

خاتمة:

تعد هذه المساهمة المتواضعة مساهمة بسيطة أردت من خلالها أن أتطرق إلى هذا الموضوع الذي يدل الباحث إلى إحياء التراث العربي الإسلامي الذي امتازت به الجزائر عبر العصور، وما أحوجنا لتصنيف وفهرسة هذا التراث في أعمالنا وأبحاثنا حتى نجعل من قراءها جنود علم بعيدين عن كل تزمت ومنفتحين على جميع العلوم والحضارات

الملاحق:



GOUVERNEMENT GÉNÉRAL CIVIL
DE L'ALGÉRIE

SERVICE CENTRAL
des
Affaires Indigènes

N° 1542

Nota. — Prière de rappeler dans la réponse la date et le numéro de la présente lettre.

OBJET :
Au sujet d'exemplaire de la traduction d'un manuscrit du Chef religieux Si Mohamed ben Senoussi, faite par l'interprète Colas.

Alger, le 1[illegible] décembre 18[illegible]

PRÉFECTURE D'ALGER — BUREAU — le 14 DEC 80 — N° 4119 — ARRIVÉE

Monsieur le Préfet,

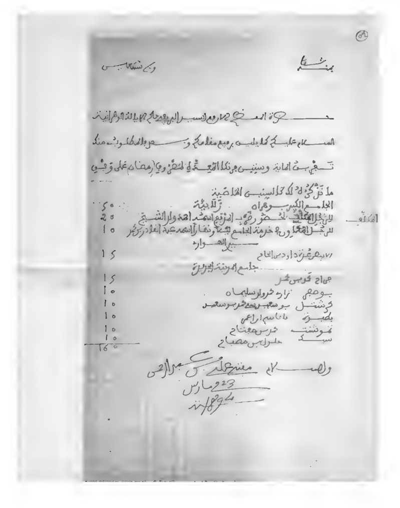
M. l'Interprète militaire Colas a traduit et commenté un manuscrit du célèbre chef d'ordre religieux Si Mohamed ben Senoussi, traitant des doctrines religieuses et des pratiques de cet ordre religieux qui suivent cette philosophie mystique.

Ce curieux travail a été autographié à la Réunion des officiers d'Alger sous la surveillance de l'un des officiers du Service central des Affaires indigènes et d'un interprète militaire, et il en a été tiré 100 exemplaires seulement.

Cette publication est exclusivement réservée, en raison de son petit nombre d'exemplaires, à ceux qui sont chargés de la police politique du territoire et

محتوى الوثيقة:رسالة من الحاكم العام إلى ولاته يشرح فيها أهمية ترجمة مخطوط الشيخ محمد السنوسي، حتى يتعرف مساعدوه على أوراد الطريقة السنوسية والخطورة التي تشكلها على مستقبل المستعمرة الفرنسية في الجزائر.

الملحق رقم:01. المصدر: C.A.O.M :2U23 Confrérie Senoussia (1864- 1891)



السلام عليكم [illegible]

[illegible]

الجامع الكبير [illegible] 50

[illegible] 20

[illegible] خدمة الجامع [illegible] 10

جامع [illegible] 15

[illegible] 15

[illegible] 10

[illegible] 10

[illegible] 10

[illegible] 10

[illegible] 10

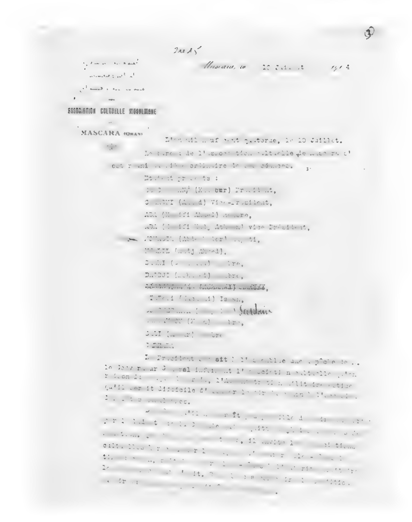
160

والسلام [illegible]

23 مارس [illegible]

محتوى الوثيقة:رسالة من مفتي وهران إلى والي مقاطعة وهران يبين فيها المصاريف التي خصصت لتوزيع "الزلابية"على المصلين بعد صلاة التراويح بمساجد وهران وضواحيها.في ظل إهمال السلطات الاستعمارية للكتاب الديني.

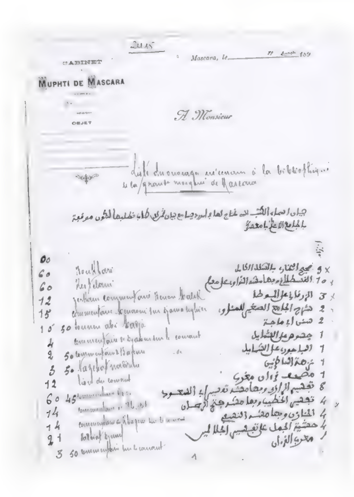
الملحق رقم:02.المصدر: **C.A.O.M :2U15** Ramadhan, Salves d'Artillerie (**1894-1920**).


ASSOCIATION CULTUELLE MUSULMANE

MASCARA (Oran)

محتوى الوثيقة:محضر اجتماع الجمعية الدينية الإسلامية لدائرة معسكر بتاريخ 14جويلية1914، حول موضوع "مادة البارود" الذي كان يخصص لمدفع الإفطار في شهر رمضان أثناء الاحتلال الفرنسي، بعد تعذر السلطات الاستعمارية مد المسلمين بهذه المادة لأن فرنسا تعيش حالة الحرب العالمية الأولى.

الملحق رقم:03.المصدر: **C.A.O.M:** Ramadhan, Salves d'Artillerie (**1894-1920**).



CABINET

MUPHTI DE MASCARA

OBJET

Mascara, le 77 ... 189

A Monsieur

Liste des ouvrages ... à la bibliothèque de la grande mosquée de Mascara

بيان أسماء الكتب التي [illegible] بالجامع الأعظم بمعسكر

9 صحيح البخاري بالسند الكامل
10 القسطلاني وبهامشه النووي على مسلم
3 الزرقاني على الموطا
2 شرح الجامع الصغير للمناوي
2 سنن ابن ماجة
1 جسوس على الشمائل
1 الباجوري على الشمائل
1 [illegible]
1 مصحف قرآن مغربي
8 تفسير الرازي وبهامشه تفسير أبي السعود
4 تفسير الخطيب وبهامشه [illegible]
4 الخازن وبهامشه النسفي
4 حاشية الجمل على تفسير الجلالين
1 [illegible] القرآن

محتوى الوثيقة: قائمة من ثلاث صفحات تحتوي على واحد وسبعين عنوان كتاب مطلوبة من قبل مفتي مدينة معسكر لتزويد خزانة المسجد الكبير.

الملحق رقم:04 .المصدر: C.A.O.M :2U14 Bibliothèques des Mosquées (1898-1948).

- المصادر:

1-Rinn, Louis. Marabouts et khouans (étude sur l'islam en Algérie) –Adolphe Jourdan Librairie. Editeur Imprimerie Librairie .de L'Académie Alger ; **1884**

- الأرشيف:

I)- Archives de la Wilaya d'Oran. (A.W.D'ORAN)

1- Affaires Musulmanes (**1857-1962**).

a)- Proposition de décision de l'UDMA (**1**e **30/12/1951**) devant l'assemblée Algérienne sur Le Culte Musulman.

II)- Centre des Archives d'outre-mer d'Aix-en-Provence – France. (C.A.O.M)

Série (2U) Culte Musulman dans le département d'Oran.

1- 2U**14** – Bibliothèques des Mosquées (**1898-1948**).

2- 2U**15** – Ramadhan, Salves d'Artillerie (**1894-1920**).

3-2U**17**–Affaires générales et collectives (**1868-1955**) Arrondissement de Mascara.

4-2U**18**–Affaires générales et collectives (**1868-1955**) Arrondissement de Mascara.

5 - **2** U **23**. Confrérie Senoussia (**1864-1891**).

وقائع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها مابين 1835-1842.

د. بن عتو بلبروات، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس.

تتجه الكتابة التاريخية بالجزائر في السنوات الأخيرة إلى تسليط الضوء على التاريخ المحلي من خلال تناول تاريخ منطقة معينة عبر العصور وهذا ما لاحظناه من خلال العديد من الملتقيات المنعقدة بالجزائر أو من تتبع منشورات الباحثين في التاريخ، ولعل، لهذا المنحى، فوائد علمية جمة، فقد يتوصل الباحث إلى معرفة الوقائع التاريخية بدقة وتداعياتها وتفاعلها مع المحيط القطري وأثرها في الإنسان والعكس صحيح. وفي هذا المضمار يأتي موضوعنا حول الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها انطلاقا من طرحنا لإشكالية تاريخية تتمحور حول ملابسات تعثر عملية احتلال معسكر وأحوازها لمدة قاربت ثمان سنوات، وتحديدا بين 1835-1842؟ هل يعود ذلك للمعرفة السطحية للفرنسيين بتضاريس المنطقة؟ أم لشراسة مقاومة الأمير عبد القادر؟ أم لحصانة معسكر؟ أم أن الاحتلال النهائي لمعسكر تطلب إخضاع قسم كبير من الأراضي الغربية للجزائر وقمع حركات المقاومة هناك؟ وللإجابة على هذه الإشكالية، ينبغي أولا التعريف بمدينة معسكر وضواحيها وأحوازها لمعرفة أهميتها التاريخية والطوبوغرافية من أجل استنتاج مدى حصانتها ومنعتها، وحينها ندرك خلفية الأمير عبد القادر من وراء التخلي عن معسكر وتركها تسقط في أيدي الجيش الفرنسي دون أن يستغل أسوارها وأبراجها كما كان مألوفا في حروب القرون الماضية.

1- التعريف بمدينة معسكر وضواحيها:

معسكر، مدينة عربية قديمة، تقع عند سفح المنحدر الجنوبي للسلسلة الجبلية المسماة " شارب الريح" والتي هي جزء من الأطلس التلي، وحسب الروايات المحلية، شيدت مدينة معسكر من طرف البربر على أنقاض مدينة رومانية مغمورة، ذكرها الجغرافي بطليموس وسماها فكتوريا Victoria. وعلى أرض أخرى تقع بين هضبة ركوب إسماعيل وسهل غريس. ويعود أصل لفظة معسكر إلى أم عسكر أو أم العساكر أو إلى المعسكر أي المحل الذي يتجمع فيه الجنود، كما تعني من جهة أخرى أن سكانها محاربون، وهو ما يتناسب مع الاسم الروماني لمعسكر وهو كاسترانوفا Castranova. أصبحت معسكر خلال القرن الثامن عشر الميلادي عاصمة لبايليك الغرب الجزائري، ولما تحررت وهران من الاسبان على يد جيش الباي محمد الكبير، سنة 1792، انتقل مقر حكم الباي إلى وهران، ومن ثمة تراجعت أهمية وسمعة معسكر. وفي 1830 لم تكن معسكر سوى مدينة تحتضن مجتمعا فقيرا يتكون من المسلمين واليهود، ومنازله مترهلة في أغلبها، وقد اتخذها الأمير عبد القادر عاصمة له ومركزا لورشات الأسلحة بمختلف أنواعها ويعمل بها عدد كبير من العمال وكان ذلك سنة 1832 لما قضى على الحامية التركية الموجودة بها. تتوزع معسكر إلى أربعة أقسام متباينة هي:

- مركز المدينة ويقع على الحواف الشمالية لواد سيدي تودمان.
- ضاحية ركوب إسماعيل التي شيدها الأتراك العثمانيون خلال القرن الثامن عشر.
- ضاحية بابا علي في شمال المدينة.

- ضاحية العين البيضاء في جنوب المدينة. (Rozet et Carrette, 1850 : 125)

يحيط بمعسكر سور مربع الشكل، يجمع بين المدينة وضواحيها الثلاث وفي كل زاوية من زواياه، برج يحمل مدفعا أو مدفعين. كما يتخلل سورها بابين رئيسيين خارجيين، واحد في الغرب والآخر في الشرق، وباب آخر للنجدة يؤدي إلى واد تودمان الذي يخترق المدينة. وهناك ثلاث طرق توصل بين البابين من جهة وتؤدي إلى ساحتين رئيسيتين من جهة أخرى حيث المؤسسات والمعالم الرئيسية للمدينة مثل سوق الحبوب، الجامع الأعظم، الفندقان، وقصر الباي محمد الكبير الذي أصبح عبارة عن أطلال في زمن الاحتلال الفرنسي. ولمعسكر قصبة أو قلعة، تقع في الشمال وهي معزولة عن المدينة بسور داخلي، ويوجد بها ثكنة النظاميين للأمير عبد القادر. ويحيط بمعسكر المدينة بساتين وجنائن تمون السكان بالخضر والفواكه، وقبائل تقصدها بأغنامها وثيرانها. كما يصل مدينة معسكر عبر قنوات طولها 3.000 متر، مياه نقية، منبعها عين مهجورة. وتشتهر معسكر بصناعة البرنوس الأسود، كان يسوق في جميع أنحاء شمال إفريقيا لجودته وأناقته، لكن الفرنسيون خربوا هذه الصناعة بشهادة الضباط العسكريين الفرنسيين الذين كتبوا حول الموضوع.

(Rozet et Carrette, 1850 :125 et Galibert, L. 1861 : 449)

وبشأن أحواز معسكر فيمكن الإشارة إلى مرتفعات بني شغران على طريق معسكر – وهران، وإليها تنتسب قبائل بني شغران بما فيها قبائل بني مستر وبني حاسي بن عيسى وأولاد سعيد، والتي كانت مصنفة في أواخر العهد العثماني من قبل السلطة التركية العثمانية

ضمن قبائل الزمالة المخزنية. ثم منطقة سيق المشهورة بواديها الجبلي الجارف (واد سيق) الذي يشق مجراه عبر سهل سيق الخصب، وسماها الفرنسيون سان دنيس Saint Denise واتخذوها محطة عسكرية لتطويق مقاومة الأمير عبد القادر(هاينريش. ف.م. 1979: 76) وفي المنحدر الجنوبي للأطلس التلي المسمى " شارب الريح في اللهجة العامية" يوجد سهل غريس الذي يدل على شهرة السهل في الغراسة والخصوبة، وتسكنه قبائل الحشم المتكونة من حشم غريس، حشم الشراقة (أي حشم الجهة الشرقية)، حشم الغرابة (أي حشم الجهة الغربية) وأولاد عيسى أبو العباس.(Eesterhazy, W.M. 1840: 268) ويمكن التنبيه إلى أن قبائل الحشم، كانت العضد المتين للأمير عبد القادر طوال فترة جهاده ولم ترجع إلى أرضها بسهل غريس ولم تعلن عن خضوعها للاحتلال الفرنسي إلا بعد أن أصبح الأمير أسيرا لدى الفرنسيين.(Lespinasse, E.1877 :151) أما هضبة المقطع الواقعة في غرب سهل الشلف، فهي محصورة بين وادي الهبرة في الشرق ووادي سيق في الغرب، وتفصلها عن البحر المتوسط، السهول الساحلية الضيقة، وعلى أرضها جرت معركة (المقطع) بين جيش الأمير عبد القادر وجيش الجنرال "تريزل Trézel " الذي كان أول الجنرالات الفرنسيين الذين ساروا نحو معسكر لاحتلالها.

2-الجنرال تريزل وحملته الفاشلة على معسكر سنة 1835:

تحدث الضابط في سلاح المدفعية الدانماركية دينيزن Denisen والمشارك في الحملة الفرنسية على الجزائر أن الجنرال "تريزل" عزم على وقف النمو العسكري لجيش الأمير عبد القادر

حيث عارض الحاكم العام الفرنسي بالجزائر "الكونت ديرلون Conte Derelon " بشأن صفقة تزويد الأمير بالأسلحة والذخيرة الحربية، واشتغل لاستمالة قبيلتي الدواير والزمالة المستقرتين بمنطقة وهران حتى أعلنت بعض دواوير القبيلتين أنهم من رعايا فرنسا إذا ما وفرت لهم الحماية القوية، وهي خطوة رفضها ديرلون. ولما علم الأمير عبد القادر بما دار بين الجنرال تريزل وأعيان الدواير والزمالة، أرسل إليهم "الآغا المزاري" مع مجموعة من الفرق العسكرية لإجبارهم على الانسحاب من سهل وهران والانتقال إلى سفح الجبل، وهو ما رفضه "مصطفى بن إسماعيل البحثاوي"فأرسل الدوائريون والزماليون رسولهم إلى الجنرال تريزل يطلبون من الفرنسيين الحماية وكان ذلك في 14 جوان 1835.استجاب تريزل لدعوة الدواير والزمالة فخرج من وهران وأقام معسكره بمسرغين، وأجبر الآغا المزاري على الانسحاب واتجه قسم من الدواير والزمالة وعلى رأسهم مصطفى بن إسماعيل إلى تريزل، أما القسم الآخر – وهم أكثر عددا- فقد لحقوا بالمزاري وامتثلوا لأوامر الأمير عبد القادر حيث اختار كل واحد المكان الذي يناسبه.في 19 جوان 1835 انتقل معسكر تريزل إلى وادي تليلات، وكتب إلى الأمير رسالة يخبره فيها أنه سيقيم في هذا المكان إلى أن يستنكر الأمير أمر اعتقال إسماعيل ويتنازل عن كل حق له في حكم الدواير والزمالة، وقد أجابه الأمير بأن دينه لا يسمح له بترك المسلمين تحت الحكم الفرنسي وأنه لن يتخلى عن مطاردة القبيلتين الثائرتين حتى أسوار مدينة وهران، ورجاه في نهاية رسالته على وجوب سحب القناصل؛ الجزائري من وهران، والفرنسي من معسكر. بعد هذه الرسالة أصبحت الحرب بين الجنرال تريزل والأمير عبد القادر

معلنة، واستعد كل طرف للمعركة؛ فهذا الجنرال تريزل قام بتحصين موقعه بتليلات حتى يكون بإمكانه أن يضع داخله أمتعته وفيلقا للدفاع عنه. أما الأمير فقد دعا العرب إلى التعبئة العامة، واتجه بقواته إلى سيق، الذي جعله مكانا لتجمع قواته التي بلغ تعدادها **10.000** فارس، وبضعة آلاف من المشاة العرب وفيلق من الزواوة، يضم **1200** رجل. بدأت قوات الأمير تناوش الجيش الفرنسي يوم **22** جوان باستهداف قوافل الإمداد الفرنسية المتوجهة من وهران إلى تليلات، ليقرر الجنرال تريزل في يوم **26** جوان الخروج لمحاربة الأمير عبد القادر، بفيلق قوامه **2500** رجل، ويتكون من الكتيبة **66**، والفوج الأول من فرقة المشاة الإفريقية المزودة بالأسلحة الخفيفة، وفوج ونصف فوج من الفرقة الأجنبية، والكتيبة الثانية للقناصة الإفريقية، و**20** مدفع هاون و**4** مدافع جبلية. وبدأ الفيلق سيره نحو معسكر- مقر الأمير عبد القادر- على الساعة الرابعة صباحا، ويساعد الجنرال تريزل العقيد أودينو Oudinot في الطليعة – التي كانت غير قوية - والعقيد بوفورBeaufort في المؤخرة. في الساعة السابعة صباحا دخل الطابور المكون من البولنديين والايطاليين والأفارقة، مشاة وخيالة، غابة مولاي إسماعيل، التي تتكون من أراض وعرة غير مستوية. وفي الثامنة ظهرت طلائع الأمير عبد القادر وقامت بهجوم عنيف، وأرغمت الطليعة الفرنسية على التراجع بعد أن تكبدت خسائر معتبرة، منها مقتل العقيد أودينو السالف الذكر. وبسبب وعورة الأرض انفصل فيلق الكتيبة **66** عن الطابور فهوجم أيضا ورد على أعقابه، كما هاجمت قوات الأمير اللفيف الأجنبي في الميسرة، وأجبر على التراجع بعدما أن عمت الفوضى صفوف القوات الاستعمارية

الفرنسية. ومن أجل تأمين الانسحاب الفرنسي، والخروج من غابة مولاي إسماعيل، أمر الجنرال تريزل بتنفيذ هجوم عاصف على قوات الأمير، وقد نجحوا في خطتهم وألحقوا خسائر معتبرة بجيش الأمير عبد القادر. وفي الساعة الرابعة بعد الظهر وصل الجيش الفرنسي وادي سيق وضرب مخيمه على شكل مربع على ضفة الوادي، والأمير عبد القادر يتتبعهم، وما أن علم بمكان تخييمهم، قرر هو الآخر التخييم على مسافة لا تتجاوز الميلين، وبوادي سيق تم تبادل القنصل الجزائري بالقنصل الفرنسي، فحمل القنصل إلى الأمير رسالة من الجنرال تريزل، يطلب فيها من الأمير أن يعترف باستقلال قبيلتي الدواير والزمالة وقبيلة الغرابة وكراغلة تلمسان، كما يتنازل عن كامل المنطقة التي تقع على الجهة اليمنى من نهر الشلف. رفض الأمير عبد القادر مطالب الجنرال تريزل القديمة والجديدة، مستفيدا من المعلومات التي وصلته من قنصله حول الوضع العسكري والمعنوي لجيش تريزل بعد المعركة، وانتهى المطاف بالجنرال الفرنسي إلى الانسحاب من سيق في يوم 27 جوان والتوجه نحو أرزيو، أما الأمير فاختار المطاردة بجيش قوامه 8.000 إلى 10.000 من الفرسان و1500 من المشاة، وتمكن من الإحاطة بالجيش الفرنسي كله، وفي حوالي الساعة السابعة صباحا بدأ التراشق بالرصاص يشتد، ولما خشي تريزل أن يجد في طريقه إلى أرزيو ما يعيق مرور عرباته، قرر أن يسلك مضيق وادي الهبرة على مقربة من خليج البحر، ويخرج هذا الوادي من الأوحال ويتخذ اسم وادي المقطع. تفطن الأمير عبد القادر لهذه الخطة فأرسل عددا كبيرا من الفرسان والمشاة لاحتلال المضيق، الذي سيعبر منه الفرنسيون، وفي الساعة الثانية عشرة من يوم 28 جوان دخل الجيش الفرنسي

المضيق تاركا جبال حميان عن يمينه وأوحال المقطع عن يسارهم، وهاجمتهم قوات الأمير بتغطية من القناصة بجبل حميان واضطربت صفوف الجيش الفرنسي وفر أغلب العساكر على ظهور الخيل تاركين عرباتهم وجرحاهم لكنهم تمكنوا من إنقاذ عرباتهم المدفعية إلا مدفعا جبليا واحدا غنمه الجزائريون. ومن أجل تأمين الانسحاب للكتيبة 66 التي كانت أكثر انتظاما من بقية السرايا، أمر النقيب برنارد Bernard بإطلاق النيران على قوات الأمير عبد القادر التي تراجعت هجماتها بسبب انشغالها بجمع الغنائم. وبعد مدة 16 ساعة من السير وصل الجيش الفرنسي إلى أرزيو في الساعة الثامنة مساء. وخسر الفرنسيون في معركة المقطع 300 قتيل و200 جريح، وفقدوا إلى ذلك القسم الأكبر من تجهيزاتهم، ولم يأخذ الجزائريون منهم سوى 17 أسيرا. أما الجنرال تريزل فقد كلفته هزيمة المقطع قيادته في وهران إذ كان عليه أن يتخلى عنها بأمر من الحاكم العام. وبشأن الأمير عبد القادر فقد توجه إلى معسكر وعادت القبائل إلى أوطانها. وقد تناول الرحالة الألماني هاينريش فون مالتسان معركة المقطع بين تريزل والأمير عبد القادر وانتقد ما قاله الفرنسيون عن هزيمتهم وخسائرهم الضئيلة قائلا: " غير أني تأكدت عن طريق مصادر موثوق بها، أنها (الخسائر البشرية) بلغت عدة آلاف". (هاينريش، ف.م. 1979: ج1، 259.) لكنه يوضح أن سبب هزيمة تريزل في معركة المقطع مردها هجوم الأمير عبد القادر على الجيش الفرنسي وهو عائد من حملته على سيق في جوان 1835 وما ساعد الأمير هو العامل الطبيعي إذ كانت المدفعية الفرنسية وعربات النقل وقطعان الماشية المسلوبة تتقدم ببطء في مستنقع وادي المقطع، فالأراضي رخوة وهو ما يعيق الحركة وكان الجيش أحيانا مضطرا

للتوقف، وبالتالي يختلف عن بني جنسه "دينيزن" في تفاصيل المعركة. (هاينريش، ف.م. 1979: ج1، 259.) على أية حال انتشرت أخبار انتصار الأمير وهزيمة الجنرال تريزل في جميع أنحاء البلاد الجزائرية، وتسببت الإشاعات الجزائرية ومبالغة رجال الأمير في الحديث عن هزيمة الجيش الفرنسي في إثارة روح الانتقام لدى السلطات الفرنسية، التي وزعت مناشير في المدن وبين القبائل الريفية تتحدث عن القيام بحملة كبيرة في وقت قريب، عينت لقيادتها الماريشال "كلوزيل Clauzel".(دينيزن، أ.ف.1999: 70-79).

3-الحاكم العام، الماريشال كلوزيل، وحملته الناجحة على معسكر سنة 1836:

أدت هزيمة الجيش الفرنسي في معركة المقطع أمام قوات الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1835 إلى خيبة أمل فرنسا ليخيم على قادتها السياسيين والعسكريين الشك في الاحتفاظ بالجزائر كمستعمرة، فالحرب بين الجيش الفرنسي والجيش الجزائري في غرب البلاد متكافئة في الخمسة عشر شهرا التي تلت معركة المقطع، مما جعل نجم الأمير عبد القادر يتصاعد وهو حامل للقب أمير المؤمنين، وقد نجح في إعاقة امتداد الهيمنة الفرنسية في بلاد الجزائر.

ولتذويب هذه الشكوك والخيبة الفرنسية أقدمت كل من اللجنة الإفريقية ووزارة الحربية الفرنسية على الإعلان بأنه لا يمكن التفريط والتخلي عن مستعمرة الجزائر، ولا بد من البحث عن طريقة لتجسيد هذه القناعة؛ فكان أول إجراء في سبيل تحقيق

ذلك، هو تعيين الماريشال كلوزيل حاكما عاما للجزائر، والذي كانت أولى اهتماماته؛ تجاوز هزيمة المقطع ودحر قوات الأمير عبد القادر الذي يتحصن بمدينة معسكر، والاستجابة لآمال المستوطنين الأوربيين المعلقة عليه ما دام يعرف خصوصيات البلاد الجزائرية وشعبها فهو الذي جاب أقاليمها سنة 1833 ودرس ووقف على وضعيتها. انتهى لدى الحاكم العام كلوزيل أن فرصة انتشار وباء الكوليرا الذي يعصف بالجزائريين هو فرصة سانحة له ولجيشه لتنفيذ حملة عسكرية في الغرب الجزائري صوب معسكر بالأساس.(Galibert, L. 1861 : 445-446) لكن كان عليه أن ينتظر حلول فصل الخريف لوصول الإمدادات التي وعد بها من الجزائر وجنوب فرنسا على السواء وقوامها ما يزيد عن 10.000 رجل ومدفعية معتبرة وصل عددها إلى 26 مدفعا، وإرسالها مباشرة إلى وهران. (دنيزن، أ.ف. 1999: 79). شرع الماريشال كلوزيل في إطار التمهيد للانقضاض على معسكر إلى تحريك قواته العسكرية لمساعدة الجنرال أرلانج D'Arlanges - الذي خلف الجنرال تريزل Trézel- ضد القبائل الثائرة في الإقليم، ثم سارت الحملة إلى خليج رشقون الواقع بمرتفعات تلمسان، فسيطرت عليه، مما سهل عليها السيطرة على ساحل التافنا، ومراقبة السواحل الغربية، والتحكم في التهريب. وفي شهر نوفمبر 1835 اجتمع قسم كبير من القوات الفرنسية بوهران، وصل عدده إلى 11.000 رجل، يقوده الماريشال كلوزيل بنفسه ويشاركه ولي العهد الفرنسي، الجنرال دوق أورليان Duc D'orléon الذي تأثر كثيرا بهزيمة المقطع وقرر أن يلتحق بكلوزيل بالجزائر ويشارك في الحملة للانتقام. غادر جيش الحملة المقسم إلى أربع ألوية، وهران في 25 نوفمبر 1835 متجها صوب

معسكر- عاصمة الأمير عبد القادر – لدحر أنصاره وتعيين باي يخدم فرنسا. وكانت الظروف المناخية مناسبة لانطلاق الحملة العسكرية.)(Galibert,L.1861: 447

وفي 26 نوفمبر اجتمعت القوات الفرنسية بالكرمة وفي الغد سار اللواء الأول بقياد أودينو إلى تليلات، وتقدمت فرق إبراهيم باي، المشكلة من الأتراك والعرب، باتجاه غابة مولاي إسماعيل، ولما نجح الاستطلاع زحفت الألوية كلها نحو تليلات ثم غابة مولاي إسماعيل دون أي اشتباك مع قوات الأمير عبد القادر، ليصل إلى واد سيق حيث أقيم المعسكر في ضفته اليمنى وخصص لحراسته حامية من 1.000 عسكري، تصدت لطلقات نارية من قبل بني عامر. وبشأن الاستعدادات الجزائرية لمواجهة الحملة الفرنسية، فقد دعا الأمير عبد القادر رجاله إلى حمل السلاح وأمر الدواوير العربية القريبة من وهران بالانسحاب إلى جبال الأطلس لتكون نساؤهم وقطعان ماشيتهم وأملاكهم في أمان، وبذلك أصبحت مسافة كبيرة في نواحي وهران خالية من أهلها. كما وجه الأمير نداءات إلى الشعب، يحثه على الدفاع عن الوطن وسلح من لم تكن لهم أسلحة، ووزع عليهم الذخيرة الحربية ووضع مدفعيته السيئة حسب العسكريين الفرنسيين فوق المضائق الجبلية التي تؤدي إلى معسكر. وكان مكان تجمع المجاهدين الجزائريين على ضفاف واد سيق، وقد تلقى الأمير عبد القادر من ملك المغرب الأقصى بعض الضروريات الحربية كالأسلحة والبارود، عبر خليج رشقون الذي يحتله الفرنسيون والذين عجزوا عن منع مرور هذا الدعم الحربي. (دنيزن، أ.ف. 1999: 82) عسكر الجيش الجزائري على الضفة اليمنى لواد سيق بتعداد

وصل إلى 4.000 محارب ليرتفع العدد إلى 6.000 فارس مع جموع من المشاة، تحمي ظهورهم جبال الأطلس، وكانت مهمة هذه القوات، الهجوم على الفرنسيين من الميمنة والخلف عندما يلجون الممرات الجبلية، بينما يهاجم الأمير عبد القادر المتمركز بالمضائق الجبلية، من الأمام. وقد اختار الأمير مواقعه بصورة جيدة حسب شهادة العسكريين الفرنسيين بحيث لا يستطيع الجيش الفرنسي ولو كان قائده جنرالا نشيطا وصاحب خبرة واسعة في الحرب أن يحتل عاصمته دون أن يلحق بجيشه خسائر كبيرة من القتلى والجرحى. (دنيزن، أ.ف. 1999: 83) في أول ديسمبر في الساعة الواحدة بعد الظهر، سار الماريشال كلوزيل برفقة الدوق دورليان على رأس جيش قوي يمثل مختلف الأسلحة متجها نحو معسكر الجيش الجزائري الذي تحرك بسرعة والتجأ إلى الجبال ووقع الاشتباك بين الطرفين لمدة خمس ساعات وكانت خسائر جيش الأمير عبد القادر أكبر من خسائر جيش الاحتلال الذي اعتمد على مدفعيته.عاد الجيش الفرنسي إلى معسكره قرب وادي سيق بعد أن اختبر الطريق الجبلي المؤدي إلى مدينة معسكر، وبعد استراحة الطرفان في اليوم الثاني من ديسمبر، أمر المارشال كلوزيل بتبني خطة جديدة في زحفه تقوم على تجنب مواقع الأمير عبد القادر في الجبال، والدخول إلى معسكر عبر وادي هبرة بطريق مستغانم واستدعى ذلك أن كلف المهندسين الفرنسيين ببناء جسرين فوق واد سيق لعبور الجيش إلى الضفة اليسرى. تفطن الأمير لخطة كلوزيل وأمر بتقسيم الجيش إلى قسمين؛ قسم يبقى مرابطا بالمدخل الجبلي وقسم آخر يسرع للوصول إلى وادي الهبرة قبل الفرنسيين واحتلال غابة مولاي إسماعيل وما يقع قبلها من ممرات وكذا مرتفع سيدي مبارك، ولا

يتأتى ذلك إلا بإبطاء حركة الجيش الفرنسي من خلال مناوشته. وقد جنى كلوزيل فائدة مهمة جدا بفضل هذه المناورة حيث تمكن من تقسيم جيش الأمير عبد القادر وتفكيك كتلته ولم يعد في وسع الأمير أن يصدر أوامره إلى القبائل وفي قمتها قبيلة بني عامر الكثيرة العدد. (دنيزن، أ.ف. 1999: 85) وفي 03 ديسمبر اخترق الجيش الفرنسي منطقة سيق وتغلغل إلى غابات الهبرة التي يسيطر عليها الأمير عبد القادر، وهناك جرت مقاومة شرسة من لدن القوات الجزائرية، وامتد القتال من بداية اليوم إلى منتصف النهار، وفي أثناء ذلك قام الماريشال كلوزيل بتغيير قيادة الميمنة للجيش، واتجه إلى الجبال بدعم من المشاة واتخذت المدفعية موقعها في منطقة مرتفعة، مسيطرة على الوادي الذي يفصل بين الجبال، وتمكن الجيش الفرنسي من إلحاق خسائر فادحة بجيش الأمير مما أدى إلى تراجع الفرسان الجزائريون وبالتالي وجد الجيش الفرنسي الطريق مفتوحة لمواصلة سيره نحو معسكر. ولما وصل الفرنسيون إلى مرتفع سيدي مبارك، صادفوا وادا عميقا، يكمن عند حوافه مشاة الأمير عبد القادر الذين رموا الجنود الفرنسيين بطلقات نارية مكثفة من الجهة اليسرى والمدفعية من الناحية اليمنى، فلم يجد العساكر الفرنسيون يدا سوى الإسراع نحو المجاهدين الجزائريين والتشاجر معهم بعنف بحراب البنادق، وحينها اختلط الأعداء مع بعضهم البعض، واضطرت مدفعية الأمير عبد القادر إلى التزام الهدوء، وكانت نتيجة المعركة أن خسر الأمير الأرض والموقع وانسحب مقاتلوه باتجاه البر، وحينها أدرك الأمير استحالة إنقاذ مدينته من الفرنسيين.(Galibert, L. 1861 :448) وفي الغد اجتازت أربع فرق عسكرية فرنسية منطقة الهبرة وتوغل الماريشال كلوزيل داخل

المناطق الجبلية ليسلك الطريق المؤدية إلى مدينة معسكر. وتمكن الجيش الفرنسي من التزود بماء العين الكبيرة، ليواصل سيره نحو قرية البرج، ماكثين بها منتظرين هجمات الأمير عبد القادر، إلى أن حل عليهم يهودي من معسكر وصرح للماريشال أن عبد القادر قد غادر مدينة معسكر بمعية كل سكانها المسلمين ولم يبق بها سوى اليهود المقدر عددهم بين **600** و **800** شخص. (دنيزن، أ.ف. **1999: 86**) وأمام هذا المعطى، أمر كلوزيل القوات الاحتياطية المسماة الزمالة والدواير بالتقدم سريعا نحو معسكر لاستطلاع الوضع، وفي الوقت نفسه أمر الجيش الفرنسي النظامي بتتبعهم على أن تكون المسافة الفاصلة بين قوات الزمالة والدواير والقوات النظامية قصيرة. وفي **06** ديسمبر دخلت بعض الفيالق العسكرية وقياداتها وقوات الزواف والمدفعية، مدينة معسكر ليلا وتمت السيطرة على طرقاتها الرئيسية ومكث الماريشال كلوزيل والأمير الملكي الدوق دورليان بمنزل الأمير عبد القادر.(Galibert, L. **1861 :449**) وهكذا انسحب الأمير عبد القادر من معسكر أمام ضغط القوات الفرنسية مخلفا دمارا بكل ما يتصل بورشات الأسلحة والدور والدكاكين التي تحولت إلى رماد واتجه بسرعة إلى منطقة كاشرو في جنوب المدينة بمسافة ثلاث مراحل رفقة سكانها المسلمين، حيث قبيلة هاشم أو الحشم، مهد سلطت(Galibert,L. **1861 :450**) . وكان على المارشال كلوزيل أن يتخلى عن مشروعه في تعيين إبراهيم بايا على مدينة معسكر بسبب الوضع الذي ساد المدينة بعد أن غادرها سكانها حتى من تبقى من اليهود طلبوا من الفرنسيين السماح لهم بالرحيل رفقتهم وأيضا بسبب صعوبة الاتصال بالساحل على نحو سريع وملائم. ولما اتضح لإبراهيم باي ذلك طلب من كلوزيل أن يعينه مع أتراكه على مدينة

مستغانم التي كان فيها سابقا، فهي مكان حصين يسهل عليه الدفاع عنها وفي وسع الفرنسيين إنقاذها إذا دعت الضرورة إلى ذلك. (دنيزن، أ.ف. 1999: 86) وفي 09 ديسمبر، وبعد استراحة الجيش الفرنسي بمعسكر ونواحيها، قرر الماريشال كلوزيل فجأة أن يسحب جيشه من المدينة، ويتوجه إلى مستغانم. ولما سار الجيش حدث حريق مهول التهم العديد من المنشآت والعتاد الذي تركه الأمير، وتصاعدت النيران لعدة ساعات مما جعل اليهود يصرخون ويفرون إلى ضواحي المدينة.(Galibert, L. 1861 :450) وعليه ترك سقوط مدينة معسكر في أيدي الفرنسيين انطباعا سيئا في نفوس الجزائريين ودفع الأمير عبد القادر إلى أن يعد العدة لمهاجمة الفرنسيين ومطاردتهم عند انسحابهم من معسكر. وكانت خطة انسحابه إلى قبيلة الحشم ملائمة للوضع الذي كان فيه، فقد كان الغرض منها أن يجمع حوله من يدينون له بالطاعة والولاء وأن يظهر أمام بقية القبائل بكل ما له من سلطة وقوة ونفوذ.لم يكن الأمير عبد القادر يريد الدخول إلى عاصمته معسكر المخربة، لأنه قرر أن يبني لنفسه مدينة جديدة في أرض غير ممهدة داخل جبال الأطلس، تستطيع أن تصد عنها الجيوش الفرنسية، هذه المدينة هي " تاقدمت".(دنيزن، أ.ف. 1999: 88)

4-عودة الجيش الفرنسي إلى معسكروبداية التوغل في جنوبها:

بعد تدمير الجيش الفرنسي لمدينة تاقدمت التي تعتبر إحدى قلاع وعواصم الأمير عبد القادر، توجه ثانية إلى مدينة معسكر التي كانت وقتئذ قاحلة ومقفرة بالكامل؛ فالأبواب والمنشآت مخربة ما عدا المنازل التي لم تمسها النيران والحرائق، وكان من السهل إيجاد

منشآت تأوي الجنود الفرنسيين وتحفظ مؤونتهم. وفي هذه المرة ترك الماريشال كلوزيل قوة عسكرية بمدينة معسكر، يقودها العقيد تومبور Tempoure وتألفت من :

- ثلاث كتائب عسكرية.
- ثلاثة فيالق من سلاح الهندسة.
- بطاريتان مدفعيتان.

وبعد تثبيت هذه القوة العسكرية بمعسكر توجه كلوزيل نحو الشلف ثم إلى قلعة تازة أحد قلاع الأمير، فوجدها مخربة ثم انعطف إلى مستغانم مجددا(Galibert, L. **1861**: 531-532) ومن أجل تدمير قوة الأمير عبد القادر في الغرب الجزائري، رأى الحاكم العام الفرنسي " كلوزيل" أنه من الحكمة السياسية، إيجاد شخص عربي يناوئ عبد القادر ويحظى بدعم القبائل الجزائرية وفرنسا على السواء، فوقع الاختيار على الحاج مصطفى ابن الباي عثمان لينصب بايا على معسكر ومستغانم. وبغرض دعم الحملة التوسعية الفرنسية في الغرب الجزائري المقررة في فصل الخريف لسنة **1836**، كانت معسكر إحدى المدن التي قدمت دعمها لذلك، فقد قام الجنرال لا مورسيير Lamorcière بتفقد ومعاينة المؤونة الغذائية بمعسكر، وتمكنت الحامية الفرنسية المستقرة بالمدينة من تحصيل الخضر والفواكه من ضواحي معسكر ودعمت بذلك مخزونها الغذائي، الذي يلبي حاجيات ستة آلاف رجل لمدة أربعة أشهر، ثم تقرر استمالة قبائل الحشم إلى الصف الفرنسي اعتبارا أنها أقوى القبائل المساندة للأمير عبد القادر، وهي تمتلك قدرات زراعية

هامة. (Galibert, L. 1861 :533) وفي إطار التوغل في جنوب معسكر، تمكن الجيش الفرنسي من اقتحام قرية القيطنة، مهد عائلة الأمير عبد القادر، وقام بتخريبها ووقع الأخ الأكبر للأمير في الأسر، ثم سيطر الجيش الفرنسي على حصن سعيدة الواقع في جنوب معسكر على مسافة ثماني عشرة مرحلة، وتم تخريبه لأنه كان يستعمله الأمير لمراقبة بلاد اليعقوبية التي ناوأته. وبعد تدمير هذا الحصن تقدمت بعض القبائل للتحالف مع الفرنسيين وهي، أولاد إبراهيم، أولاد خالد، الحساينة، ذوي ثابت، وقسم من الأحرار الغرابة. ومنذ هذا العهد أصبحت فرسانهم تساند الجيش الفرنسي في هجماته ضد الحشم – القبيلة الكبيرة وأساس قوة الأمير-ولما انسحبت القوات الفرنسية إلى الساحل، قام الأمير عبد القادر بجمع أتباع جدد ليغير على قبائل اليعقوبية، ولم تتمكن حامية معسكر من نجدتهم فتركتهم إلى قوتهم الذاتية، في الدفاع وصد المخاطر، وقامت قبائل الحشم في هذا السياق بالاستيلاء على قطعان الماشية لليعقوبية، وحينها رأى الحاكم العام الفرنسي أن مكاسب الجيش الفرنسي في الغرب الجزائري ستضيع، فوجب التفكير في تعزيز مدينة معسكر بقوات كافية للتحكم والهيمنة على المناطق المجاورة لها. (Galibert, L. 1861 :533)

5-الاحتلال النهائي لمعسكر وأحوازها 1841-1842.

تلقى الجنرال لامورسيير أمرا بالإقامة في معسكر مع القسم الأكبر من جيشه ما يناهز عشر كتائب للمشاة، يتقاسم قيادتها كلا من العقيد "تييري Thiéry "والعـقيد "دي لتوري De la Torré " وبعض مئات الصبايحية بهدف قمع فرق المقاومة التي يقودها

مصطفى بن التامي وقطع الاتصال والتنسيق بين الأمير عبد القادر والقبائل المنتشرة بين معسكر ومستغانم ووهران. وقد اعترضت طريقه فرق بني التامي المسلحة، لكنه نجح في صدها وردها على أعقابها ودخل مدينة معسكر يوم 02 ديسمبر 1841 في حين كان جيش الأمير عبد القادر متمركزا في جديوية كنقطة مركزية بين مقاطعتي وهران والجزائر.لاحظ الجنرال لامورسيير أن المؤونة الغذائية المتوفرة لجيشه غير كافية وحتى مطاحن الحبوب وأفران الخبز بمعسكر لا تغطي احتياجات جنوده، فأمر بتوزيع حصتين من الخبز خلال كل ثلاثة أيام، مع تقديم كمية من القمح لكل عسكري ليطحنه بنفسه ويعد فطائره على الطريقة العربية. ولتأمين الغذاء للجيش الفرنسي بعث لامورسيير فرقا عسكرية إلى القبائل المجاورة لتحصيل القمح بنوعيه الصلب واللين، وكان من المنتظر أن تواجه هذه الفرق مقاومة قبيلة الحشم التي فقدت في المعركة قائدها الملقب في نظام الأمير عبد القادر بآغا الحشم.(Pellissier,R. 80 : 1854) وأهم حملات لامورسيير هي تلك التي تم شنها ضد بني شغران وأولاد سيدي دحو يوم 14 ديسمبر 1841، حيث قتل منهم ثمانون رجلا وأسر مائتين ونهب قسما من مواشيهم. وأمام هذا التطور غادر الأمير عبد القادر جديوية، متجها نحو تلمسان لدعم ثورة الشيخ محمد بن عبد الله، وبالموازاة أقلع الجنرال بيدو Bedeau من مستغانم –مقر حكمه- قاصدا هو الآخر تلمسان لقمع الثورة، وعند بلوغه منطقة الهبرة، عرضت عليه قبيلة البرجية المستقرة بالسهل، والمعروفة بقوتها، الولاء والطاعة للفرنسيين شريطة توقيف الحملة إلى تلمسان أما قبيلة برجية الجبل فقد امتنعت عن الخضوع واختارت الصمود أمام هجمات وضربات

القوات الفرنسية، لكن سرعان ما تراجعت عن موقفها وأعلنت أمام "الجنرال بيدو" ولاءها لفرنسا الاستعمارية وإلحاق فرسانها بصفوف الصبايحية مثلهم مثل قبائل الدواير والزمالة، كما طلبت برجية الجبل الاستقرار مؤقتا بأرض مزغران حتى تكون بمنأى عن حركات المقاومة التي ينظمها الأمير عبد القادر. (Pellissier, R. 1854 : 09) ولما توالت الولاءات القبيلية للاحتلال الفرنسي، تطلع الجنرالات " لا مورسيير" و "بيدو" إلى توسيع حدود عملياتهم العسكرية، واستدعى ذلك تعزيز قدراتهم العسكرية، فجلب الجنرال بيدو قافلة عسكرية للضرورة، من أجل مطاردة مصطفى بن التامي، في حين رفع الجنرال لامورسيير تعداد قواته إلى مائة ألف عسكري بين الفرسان والمشاة، والرد على قبيلة الحشم الشراقة التي نظم قائدها (برتبة آغا) هجوما على برجية غريس لمعاقبتهم على ولائهم للفرنسيين في فاتح فبراير 1842، فقد عسكر بواد الزلامطة ثم باغت الحشم وتمكن من نهب ممتلكاتهم وسلم جزءا منها لبرجية غريس تعويضا لهم على خسارتهم. وفي 04 فبراير 1842 توجه لامورسيير نحو جنوب معسكر قاصدا مكان تواجد مصطفى بن التامي بأرض النكروف حيث يتوفر على مستودع للذخيرة الحربية، لكن تمكن ابن التامي من نقلها إلى جهة أخرى ما عدا بعض براميل البارود، ثم علم الجنرال المذكور أن قسما من سكان المنطقة قد فروا إلى أرض أوزلال ماوراء غابة نوزمط، فباغتهم يومي 6و7 فبراير 1842 وأسر منهم عددا من ضمنهم المرابط سيدي قادة ولد المختار. (Pellissier,R. 1854 : 10-11) وفي 09 فبراير عاد الجنرال لامورسيير إلى مدينة معسكر، وكلف المرابط الأسير بالتأثير على قبيلة الحشم الشراقة لقبول التفاوض مع السلطات الفرنسية، أما قبيلة الحشم

الغرابة المتمركزة بواد الحمام وواد هونت والتي كانت تعيق الاتصال بين الفرنسيين من وهران إلى معسكر، فقد أجبر أحد بطونها على تقديم الولاء للفرنسيين حيث هاجم موقع تمركزها بوادي الحمام، والبقية ابتعدت عن جيش لامورسيير متجهة نحو الجنوب بقيادة مصطفى بن التامي، وطاردها الفرنسيون إلى غاية أرض عين منعة بجنوب غرب سعيدة لكن دون جدوى ليعود الجيش إلى مدينة معسكر يوم 08 مارس 1842 ومعه عددا من الأسرى.

استمر لا مورسيير في مطاردة وملاحقة قبيلة الحشم الغرابة بقيادة ابن التامي الذي اختار اللجوء إلى قبائل فليتة وأزدامة، وداهم الجيش الفرنسي هذه القبائل وظفر ببعض الولاءات وامتد الزحف العسكري إلى الشلف وفرندة، وتعرضت قبيلة بوزيري المقاومة للقتل والنهب والسبي حتى أعلنت ولاءها وطاعتها للفرنسيين فردت لها نساءها وأطفالها ومواشيها، وتبعت خطاها فيما بعد قبائل ضواحي فرندة، وقبائل أولاد سيدي العريبي بالشلف.

وفي 28 مارس 1842 عاد الجنرال لامورسيير إلى معسكر، أما الجنرال دابروفيل D'Abrouville الذي خلف الجنرال بيدو وكان جيشه يزحف على الشلف فقد عاد إلى مستغانم في أول شهر أبريل 1842 ليتكفل عقب ذلك بتبديل الفرق العسكرية بمدينة معسكر وضواحيها عند خروج لامورسيير منها متوجها إلى وهران. (Pellissier,R. 1854 : 13) وفي ختام الموضوع تجدر الإشارة إلى أن مدينة معسكر وضواحيها قد دخلت بعد احتلالها نهائيا سنة 1841 من طرف القوات الفرنسية ونهاية مقاومة الأمير عبد القادر سنة 1847 مرحلة الاستيطان الفرنسي حيث أنجز الفرنسيون ثلاثة

شوارع جديدة بالمدينة ببناياتها الفرنسية الحديثة، وجمعوا بين المدينة وقصبتها والضواحي الثلاث بسور، واستوطنها الأوربيون حيث وصل عددهم سنة **1847** حسب مصادر عسكرية فرنسية إلى **1.202** أوربي؛ **698** فرنسيا، يعيشون إلى جانب **2.695** جزائري منهم **2.292** مسلما بقوا في المدينة، مجتمعون في حي أصبحت منازله فيما بعد عبارة عن أنقاض.(Rozet et Carrette **:126 1850**) وارتفع عدد المستوطنين الأوربيين وعدد السكان الجزائريين في خمسينيات القرن التاسع عشر ليصل إلى **2.000** مستوطن و **1.200** عسكري و**5.000** أو **6.000** جزائري. (هاينريش، ف.م. **1979**:ج2 ، **74-75**). ولم تنج معسكر من سياسة التنصير ومحاربة الإسلام، إذ لم يبق بها سوى مسجد واحد بعد تحويل مسجد العين البيضاء الذي كان يؤدي فيه الأمير عبد القادر صلاته، إلى مستودع للتجهيزات العسكرية، وأيضا تحويل مسجد آخر إلى كنيسة كاثوليكية. (هاينريش، ف.م. **1979**:ج2 ، **74**).

المصادر المعتمدة:

1- دينيزن.أ.ف. **(1999)** . <u>الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر</u>، ترجمة وتقديم: أبو العيد دودو، الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.

2- هاينريش، فون مالتسان. **(1979)** . <u>ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا</u>. ترجمة : أبو العيد دودو، الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزءان الأول والثاني.

3- E. Pellisier de Raynaud.(**1854**). <u>Annales Algériennes</u>, Paris : Librairie Militaire, Tome **03**.

4- Esterhazy, W.M. (**1840**). De la Domination Turque dans l'ancienne régence d'Alger, Paris : Librairie de Charles Gosselin.

5- Galibert, Léon.(**1861**). L'Algérie Ancienne et Moderne, Paris : Furne et C[le,] Librairie Editeurs.

6- Rozet et Carrette. (**1850**). L'univers ou Histoire et Description de tous les peuples, de leurs religions, mœurs, coutumes, etc, Paris : Firmin Didot frères, Editeurs.

7- Lespinasse, E. (**1877**). « Notice sur le Hachem de Mascara ». Revue Africaine, n° **21** , pp.(**141-151**).

قبائل معسكر ودورها في دعم مقاومة الأمير عبد القادر من خلال مراسلات القنصل دوما 1837-1839*

د. عابد سلطانة
مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية جامعة معسكر

تساءل الكثير من المؤرخين عن سر قوة تمكن الأمير عبد القادر من المقاومة طيلة 17 سنة، وكيف استطاع جيشه المحمدي مقاومة الجيش النابليوني طيلة هذه المدة، ربما الإجابة عن هذه التساؤلات تحيلنا إلى قراءة و ملامسة الواقع الاجتماعي والبيئي الذي كانت تتحرك فيه المقاومة .

تعتبر مراسلات القبطان دوما Capitaine Daumas 1 من المصادر التاريخية القليلة التي عكست و بشكل مفصل الواقع الاجتماعي و الثقافي والسياسي لمدينة معسكر وأحوازها مع بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر.

فالقنصل دوما في مراسلاته إلى وزارة الحربية الفرنسية، ضمن هذه المراسلات تفاصيل دقيقة وهامة عن الواقع الاجتماعي لمدينة معسكر خاصة تلك المتعلقة بدور قبائل معسكر من قبائل الحشم الشراقة والغرابة في دعم و إسناد مقامة الأمير عبد القادر.

إن ما يثير إهتمامنا ونحن تتبع هذه المراسلات، دقة المعلومات التي كان دوما يوافي بها القيادة[1] العسكرية، وكيف كان يتحفظ عن ذكر المصادر التي كانت تزوده بهذه التفاصيل، مما يؤكد على أن دوما لم يكتفي بمهامه الدبلوماسية *لدى الأمير عبد القادر، بل كانت مهامه تجسسية بالدرجة الأولى.

وعليه فإن المعلومات الواردة في هذه المراسلات عن قبائل منطقة معسكر، تبقى معلومات ذات اهمية كبيرة لكل باحث عن الأصول التاريخية لهذه القبائل، مواقعها تفرعاتها وحجمها الديموغرافي والاقتصادي والعسكري خلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي للجزائر.

من خلال هذه المقاربة سنركز على دور قبائل الحشم في إسناد ودعم مقاومة الأمير عبد القادر، كما ورد في مراسلات القنصل دوما.

*Y ver (G) , les correspondances du colonel Daumas ,Paris , Geuthner,**1912**.

1- هو ملشيور جوزيف أوجين Mechlior,Joseph Eugene، ولد في 04سبتمبر 1803 ،تقلد عدة مناصب عسكرية في الجيش الفرنسي كان أهمها منصب مدير الشؤون العربية بو زارة الحربية الفرنسية (03 جانفي 1850) قنصل فرنسا بمعسكر(1837-1839) ، توفي سنة 1871،من أهم مؤلفاته

- La vie arabes et la société musulmane ,Paris **1869**
- Mœurs et coutumes de l'Algérie,**1858**
- Les kabyles de l'Est, Alger 1844

* عين دوما قنصلا لفرنسا لدى الأمير عبد القادر بموجب معاهدة التافنة 1837

من هي قبائل الحشم؟

حسب دوما فإن قبائل الحشم هي قبائل ذات أصول عربية هلالية* تنقسم إلى الحشم الشراقة والحشم الغرابة، كان يقود الحشم الشراقة سي محمد بن حوى، وهو من الشخصيات الدينية ذات التأثير الكبير في قبائل المنطقة، أما الحشم الغرابة فكان

يقودهم ولو رمزيا الشيخ سي لعرج والذي لعب دورا حاسما في مبايعة الأمير عبد القادر.1

تشغل قبائل الحشم الشراقة منطقة غريس الشرقي بالمناطق الجبلية الواقعة بين بلدتي البرج و قلعة بني راشد، وضفاف وادي حداد، ووادي العبد، وسهل فرطاسة .

تنقسم قبائل الحشم الشراقة إلى خمسة مجموعات هامة هي : حبوشة، أولاد العباس ، أهل غريس، المحاميد، أولاد عيسى بن العباس و تشغل المنطقة الواقعة غرب معسكر(فروحة، عين فكان، حاسين).2

أما الحشم الغرابة، فتنقسم بدورها إلى خمس مجموعات هامة هي: المتشاشيل سيدي علي بن عومر، أولاد عبد الواد، العزاوة، المتشاشيل الواد، أولاد العبد.3

* للمزيد من المعلومات عن تاريخ قبائل الحشم أنظر الدراسة الهامة :

Las pinasse(H), les Hachems de Mascara , in Revue Africaine 1897

1- Yver (G) , les correspondances du colonel Daumas ,Paris , Geuthner,1912.P 651.

2- Idem , P 09

3- Idem , P 612

جدول بأماكن موارد الأمير عبد القادر عند قبائل الحشم[1]

المشرفين المعنيين من طرف الأمير	نوع ومكان الموارد	القبائل المجتمعة في دفع الموارد
بن يحي قايد المتشاشيل	300 مطمورة : زرع، حبوب بسيدي علي بن عومر بسهل غريس	مغراوة ، بني معقودة ، أولاد بن يحي، تقاقرة ، أولاد موسى، متشاشيل سيدي علي
	400 مطمورة بسيدي قادة بن مختار 5 جرار مملوءة بالسلطاني 200000 دورو اسباني / مدفونة تحت ضريح سيدي محي الدي بسيدي قادة	موارد خاصة للأمير
الحاج محمد	361 مطمورة بسيدي موسى قرب حواجة بسهل غريس	سواوقة، أولاد سيدي العوفي، العواونة،أولاد موسى، تقاقرة
سيدي أحمد بن عبد الله	100 مطمورة بريرة بسهل غريس	أولاد بن زينب، ريرة أولاد بن بوة، أولاد صحراوي، أولاد

		سيدي ويس، أولاد إبراهيم
سيدي عبد الله بن الكرطي	500 مطمورة ببوزياد قرب جنان أولاد بني يخلف	أولاد كرامسة، درادب، بني ناصر، أهل غريس، اولاد بن يخلف، أولاد احمد بن علي، الغرارة ، اولاد المغراوي، أولاد حسان
محمد بن عبد القادر	50 مطمورة عند الحاج بلخروبي بتغنيف	الخلوية، بني طعنة متشاشيل الواد
سيدي بن طيبة القاضي	50 مطمورة بسيدي يوسف عند واد الحمام ببوحنيفية	للعبنة، أولاد بن دوبة، أولاد سيدي عصمان
عدة بن حدة	1000 مطمورة بفرطاسة بمطمورة الباي (5كروم كبيرة)	المحاميد، أولاد العباس، أولاد عيس بلعباس، أولاد دله، أولاد دنون، الحشم الشراقة، اولاد عبد الواد

1- Yver (G) , opcit, P622

إن ما يسترعي انتباهنا في هذا الجدول:

•أن مجموع مطامير الحبوبذه القب التي كان الأمير يخزنها عند قبائل الحشم هي **2100** مطمورة وهذا العدد يعكس مدى غنى موارد هذه القبائل من الحبوب

•أن مواقع هذه المطامير كانت بالقرب من مقامات الصلحاء والأولياء وهذا يعكس في رأينا المتواضع مدى تفاعل الحشم مع واقعهم الديني ، المتميز بذلك الإنتشار الواسع لأضرحة الصلحاء بسهل غريس كضريح سيدي قادة بن مختار، سيدي يوسف، سيدي بن موسى، سيدي علي بن عومر.

• أن المشرفون على تسيير هذه الموارد، فإن الأمير عبد القادر كان يعينهم من بين القضاة أو القياد أو الزعمات الدينية، كبن يحي قائد المشاشيل، والقاضي سيدي بن طيبة والزعيم الحاج بلخروبي بتغنيف.

• **لاكيف كانت تمون هذه المطامير ؟**

كانت تمول هذه المطامير بما كانت تدفعه القبائل من ضرائب شرعية من عشور وزكاة، فخلفاء الأمير وقواده وقضاته كان يحصلون هاتين الضريبتين الشرعيتين خلال فصل الربيع بالنسبة لجمع الزكاة، وخلال فصل الصيف أثناء موسم الحصاد العشور، كما كان الأمير يأمر خلفاءه بقبول الدفوع العينية (خيول، بغال، ابل)، وعادة ما كانت القبائل تضيف في دفوعاتها كميات من العسل و الزبدة وزيت الزيتون والصوف .

• **كيف كانت تستعمل هذه الموارد؟**

إن الاهمية الإستراتجية لهذه الموارد جعلت الامير عبد القادر يستغلها فيما كانت تحتاجه الجيوش من تموين وغذاء ، وفي

تعويض القبائل التي تعرضت أراضيها للتلف نتيجة القتال ضد قوات المستعمر وإعانة الفقيرة منها والمعوزة.

كان الأمير يبيع الكثير من الحبوب لوكلائه ويقوم بتصديرها عبر ميناء تنس، شرشال، وأرزيو، نحو فرنسا وإسبانيا خاصة، مقايضا هذه الموارد بما كان يحتاجه من أسلحة ومواد أولية (الفولاذ والرصاص والنحاس)لدعم صناعته الحربية وما كان يحتاجه جيشه من تجهيزات.

خاتمة :

في ختام هذه المقاربة نجد ان قبائل الحشم بحجمها الديموغرافي ووزنها الاقتصادي شكلت حقيقة العمود الفقري لمقاومة الامير عبد القادر، وهذا ما أهلها لان تصبح القبيلة المحورية في تسيير دولة الأمير عبد القادر.

بيبليوغرافيا :

- Las pinasse(H), les Hachems de Mascara , in Revue Africaine 1897

- Yver (G) , les correspondances du colonel Daumas ,Paris , Geuthner,1912

المنظمة الخاصة في منطقة معسكر من التفكيك إلى إعادة التأسيس

د. جيلالي بلوفة عبد القادر، قسم التاريخ والآثار، جامعة تلمسان

مقدمة:

إن فكرة تأسيس تنظيم سري لتحضير الثورة التحريرية في الجزائر قديمة، نضجت بعد الحرب العالمية الثانية. وتبناها شباب ناضل في حزب الشعب الجزائري، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية والمنضمات المدعمة له، أتخذ قرار تأسيس المنضمة في فبراير 1947. وكان الغرض من هذا التنظيم هو إعداد إطارات لجيش التحرير.(زغلول.ف.س،1956:138) وحسب حسين آيت أحمد، وقع أول اجتماع لهيئة أركان المنظمة الخاصة يوم 13 نوفمبر 1947 تحت رئاسة محمد بلوزداد. وخلاله تم تحديد محاور ثلاثة لعمل المنظمة وهي:التكوين العسكري، والإيديولوجي والعمل على جمع الأسلحة والذخيرة استعدادا لمباشرة الثورة المسلحة)(Ait ahmed, H,1990 :123) وبغية تحقيق هذه الأهداف، اعتمدت المنظمة الخاصة على السرية في عملها وتجنيد انتقائي لعناصرها عبر مختلف مناطق الجزائر...واختلف الأرقام في تحديد أعدادها ضمن أفواج وخلايا المنظمة الخاصة، فذهب البعض إلى إحصاء عدد الشباب المنخرط إلى 1500 شاب (Boudiaf, M, 1976 :15)، والآخر حدد دهب 1800 منخرط (vatin.z-c .1983268)، أو 3000 شاب (Ben Bella,A, 1990 :21). أو 4500 منخرط(courriere.y.1968:64)، فكيف كان وضع المنظمة في منطقة معسكر؟ وما هي انعكاسات اكتشافها؟ وما كانت التدابير و الحلول لإعادة تنشيطها؟

1)- منطقة معسكر: الإطار التاريخي العام:

احتل الجيش الفرنسي مدينة معسكر يوم30 ماي 1841 بعد مقاومة شعبية منظمة وأقام الاستعمار مراكز استيطانية عديدة في المنطقة بغية الاستغلال والاستيطان. ومنها باريغو (المحمدية) في 1858 وباليكاو (تغنيف) في 1870. وادي التاغية وعين فكان في 1872 وكاشرو (سيدي قادة) وفروحة في

1874 (بن داهة، ع؛2001:15) وشكلت المقاومة الشعبية تحت لواء الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري (1832 -1847) بمنطقة معسكر وخارجها قمة التضحية والمواجهة ضد المحتل. والتنظيم في كل المجالات لأن الأمير استطاع إرسال قواعد وأسس الدولة الجزائرية الحديثة (بن ديمراد،ك،2003 :34) وتواصلت الانتفاضات الشعبية الجزائرية بمنطقة معسكر. على غرار ثورة بني شقران في 1914. ومع مطلق القرن العشرين. بدأت بوادر نضال سياسي تبلور في تشكيل نوادي وجمعيات وأحزاب سياسية اختلفت في أهدافها واتجاهاتها من إدماجية. وإصلاحية دينية وتربوية واجتماعية وداعية إلى الاستقلال التام وضمن هذا الاتجاه الأخير تأسس نجم شمال إفريقيا من قبل العمال المهاجرين بضاحية نانتير بباريس في 1927 وتحت رئاسة مصالي الحاج ودعا هذا الحزب إلى الاستقلال التام للجزائر عن فرنسا.وجراء هذا. فلقد لقي المضايقة والمنع والحل في 1929...... وفي 11 مارس 1937. تأسس حزب الشعب الجزائري تحت رئاسة مصالي الحاج الذي هو سليل النجم وأظهر توجها ثوريا واضحا (Jukien, ch-a, 1972 :132) بلغ عدد منخرطيه قبل 1939 قرابة 3000 منخرط (Jukien, ch-a, 1972 :132)، أو عشرة آلاف متعاطف ومساند (Kaddache,T2, 1993 :614)، وبلغ عدد خلايا حزب الشعب عاصمة وهران في مطلع 1939 بـسبعة خلايا (Simon J, 1998:22) وتأسست الخلايا الأولى في مدن عمالة وهران مثل تلمسان، سيدي بلعباس ووهران وعين تموشنت ومعسكر ...بداية من صائفة 1936 (جيلالي بلوفة .ع. 2002 :34) واجه انتشار وتوسع حزب الشعب الجزائري في منطقة الغرب الجزائري صعوبات عديدة منها: صعوبة الاتصال وشساعة مساحة عمالة وهران التي كانت تعادل سبع مرات مساحة فرنسا (Tinthon,R, 1950 :40)، والتي شكلت، كذلك مركزا استيطانيا مهما مقارنة بالعمولات الأخرى. وكان للمنضمات والأحزاب اليمينية الفرنسية الموحدة منذ 1936 بالعمالة تأثير خاص في زيادة الاستغلال والاستيطان (Koermer,F,1973 :587) إضافة إلى بداية الحرب العالمية الثانية إعلان فرنسا منذ 03 سبتمبر 1939 حالة طوارئ والأحكام الاستثنائية. وبموجبها حل الحزب ومنع أي نشاط سياسي. بل ثم اعتقال الكثير من

مناضلي حزب الشعب الجزائري بلغ عددهم في عمالة وهران مع مطلع 1941 :500 عضو منخرط (Kaddache M, Opcit, 1993 :610) وقادة الحزب، ومنهم مصالى الحاج تعرضوا لمحاكمة سياسية في 28 مارس 1941. أذتهم بأحكام قاسية (Simon.J, opcit, 1998 :98) وتعرض آخرون من منخرطي ومساندي الحزب إلى المراقبة والمتابعة، ومنهم جاكر علي ولد بن جلول المولود في 1914 ب بابا علي –معسكر، والذي وصف في تقرير الأمين العام لمقاطعة وهران الصادر في 20 جويلية 1942 بالعنصر الخطير(A.A.W.O, cart :2262, juin1942) وشددت السلطة الاستعمارية الرقابة على العناصر الوطنية "التي وصفت بالخطيرة "، ووقع حتى الجنود العائدين من جهات القتال مثل حال ثمانية شبا من مدينة باريغو- المحمدية- في جويلية 1942 (DAWO, CIE n° :373, Juillet 1942) رغم حالة الطوارئ، بقي النشاط الوطني مستمرا في معسكر حيث شهدت المدينة تنظيم مظاهرة سلمية يوم 01 أكتوبر 1943 وهو يوم عيد الفطر. شارك فيها 40-150 شاب، باختلاف تقارير الشرطة الاستعمارية، أغلبهم من عناصر حزب الشعب الجزائري، طالبو فيها بإطلاق سراح المعتقلين والمساجين السياسيين (DAWO, CIE n° :696, Oct 1942) لم تكن المظاهرة عفوية، بل سبقها تخطيط وتنسيق واتصالات بين عدة مدن : وهران معسكر، مستغانم وسيدي بلعباس، قام به أشخاص منهم:بلحلفاوي محمد، طاهر أحمد، سطمبولي مصطفى، قايد حسين ولد طاهر (DAWO, cart :447, Aff.Musulmanes, Oran 1943) جاءت هذه المظاهر عقب توقيف فرحات عباس وسايح عبد القادر، وفي انتظار رد السلطة الفرنسية على البيان الجزائري ... وكذلك في ظرف انتظار تزايد نشاط الأفواج الكشفية محليا، خاصة لدى فوج الإقدام المؤسس تزايد منذ 1938، بمبادرةمن دحو عثمان، وضم الفوج حوالي 20 عضوا وهو ذا توجه إصلاحي (DAWO ; Cart. 4063, CIE 173, Oct1942) وحل هذا الفوج عقب المظاهرة ....أدركت السلطة الاستعمارية خطورة التيار الوطني وامتداده في المنطقة عبر التنظيم السري لحزب الشعب الجزائري وأفواج الكشافة الإسلامية ولهذا الغرض.لم يعطى اعتماد فوج "الوداد " بوحنفية في مطلع 1943 الذي ترأسه بودربالة

جيلالي لكون أن هذا الأخير لم يكن موثوق فيه من قبل السلطة الاستعمارية (علواني .أ. 2008 :39) ورغم هذه المضايقة، عرف مطلع سنة 1944 ميلاد أفواج كشفية أخرى وهي: فوج النور في باريغو–المحمدية- ، وفوج"الفوج" في سيق ذات توجه إصلاحي حسب تقارير الإدارة الاستعمارية (نفسه.36) عقب نهاية الحرب العالمية الثانية، كانت مظاهرات 08 ماي 1945 مناسبة أخرى لإثبات المطالب الوطنية وتأكيد التفاف الشعب الجزائري حولها، رغم إقدام الاستعمار الفرنسي على قمع المتظاهرين واعتقال الكثير في عامة الجزائر، بلغ عدد المعتقلين في معسكر. جوان 1945 :ثمانية وثلاثين معتقلا (DAWO, CIE n°: 125, Juin1945) نشطت الساحة السياسية في معسكر بعد الحرب وكان لحركة الانتصار الحريات الديمقراطية ومنظمات مدعمة له مثل فوج الشهاب للكشافة الإسلامية الجزائرية المؤسس منذ 1943، ومكتب الشبيبة الأدبية المسلمة المؤسس في أكتوبر 1947 الذي ضم بعض عناصر من حركة الانتصار (جيلالي بلوفة ع .2011 :171) وبموازاة النشاط العلني، تأسس فرع المنظمة الخاصة في منطقة معسكر فما هي مبادئ هذه المنظمة وأهدافها، وكيف سعت إلى بلوغها؟

2)- المنظمة الخاصة : المبادئ و الأهداف:

اعتمدت المنظمة الخاصة على مبدأ السرية في عملها وطاعة الشباب المنخرط للأوامر، حدد النظام الداخلي للمنظمة الذي احتوى على ثمانية مواد شروط ومقاييس اختيار العناصر، كالشجاعة والقدرة البدنية والصبر فكان التجنيد انتقائيا وبطيئا. ولا يتم إلا بعد إخضاع العناصر المراد تجنيدها إلى التجربة والمراقبة (Chevalier.J, 1958:90) لم تكن المنظمة الخاصة منفردة ومنعزلة عن حركة انتصار الحريات الديمقراطية. بل كانت جناح سري شبه عسكري تابع لها (Kiouane.A, 1999:191) ومن أجل تحديد المهام والمسؤوليات في الانضباط والسرية، كانت المنظمة الخاصة عبارة عن تنظيم هرمي أفقي من القمة إلى القادة. بداية من قيادة الأركان العامة التى توالي على قيادتها محمد بلوزداد ثم حسين آيت أحمد، ثم أحمد بن بلة وللقيادة خلايا

مختصة في الاتصالات والدعم ......أما على مستوى العامة والنواحي .فوزعت كل عمالة إلى مقاطعات. وكل مقاطعة إلى مناطق واستغرق وضع هذه الهياكل مدة طويلة قاربت ستة أشهر(Kaddache.M et Sari.D, 1989 :105)

3)- هياكل ونشاط المنظمة الخاصة في منطقة معسكر:

استغرقت وضع هياكل المنظمة الخاصة في عمالة وهران وقتا طويلا. ولم يكتمل إلا في أواخر 1948. ولعب كل مسؤول المنظمة في العمالة حمو بوتليليس دوما محوريا في تجنيد العناصر عبر مدن العمالة، حيث التحق بالمنظمة شباب أغلبه مساندا أو منخرطا في حزب الشعب الجزائري كان معدل عمره لا يزيد عن أربعة وعشرين سنة إلى تسعة وعشرين بالنسبة لرؤساء الخلايا والزمر(Carlier.o, 1995 :284)، شكلت عمالة وهران منطقة واحدة (Zone d'oran)، قسمت إلى ناحيتين (Régions) ضمن الناحية الأولى: وهران ومستغانم وعين تموشنت وتلمسان والناحية الثانية كل من المعسكر وتيارت وسعيدة. وشكلت الأفواج المحلية هرم قاعدي لشبكة المنظمة الخاصة، وتناسب تعدادها حسب قوة التجنيد وتمركز الحزب ونشاط الشباب.

بمبادرة من حمو بو تليليس تأسس فرع المنظمة الخاصة في معسكر، وكان على رأس: حمو عبد القادر، وضم فوجين بقيادة كل من طيبي عبد القادر وبومدين بغدادي (DAWO. Cart : 4480, PRG. Mascara, 1950)

اتخذ نشاط المنظمة الخاصة أشكالا عديدة. وتعتبر البريد المركزي بوهران ليلة 4-5 أفريل 1949 أول مبادرة كبرى للمنظمة. وكان الهدف منها الحصول على الأموال التي هي عصب أي عمل سلح وثورة وفعلا بعد اقتحام المركز، ثم الحصول على ثلاثة ملايين فرنك قديم (Yousfi, M , 1985:98) عقب هذه العملية، تعرض عناصر المنضمة الخاصة وأعضاء منخرطين ومساندين للحزب إلى اعتقالات ومضايقات، وأصبح " مجرد الحديث عن المنضمة الخاصة من باب المحظور والممنوع والمحرم" (Yousfi ,M op cit , p : 21)

ومن بين الإجراءات الأخرى التي اعتمدتها الإدارة الاستعمارية في حق مناضلي حزب الشعب الجزائري: إيقافهم من مزاولة أي نشاط وطردهم من مناصب عملهم، وهو حال داودي موسى، قائد في فوج كشفي، كان يعمل بمصلحة المياه بمعسكر ولكال موفق مولود في 1922 بمعسكر، عضو في حزب الشعب الجزائري من مفجري أحداث ماي 1945 في سعيدة، حكم عليه في نوفمبر 1945، ثم أطلق سراحه بعد العفو العام لسنة 1946 (DAWO. PRG , District d'oran, 1945) كونت المنظمة الخاصة الشباب المنخرط تكوينا بدنيا ومعنويا وذهنيا وواجهت السلطة الاستعمارية بتنظيم عملية هادفة ورمزية بتخريب النصب التذكاري في كاشرو – سيدي قادة، والذي دشنه الحاكم العام للجزائر مارسيل ايدمون نجلان M.E Naeglen يوم 15 أكتوبر 1949 بحضور خمسة آلاف شخص إحياء لذكرى الأمير عبد القادر، ورمزا للوحدة الفرنسية الإسلامية (DAWO CIE N°368 Oct 1949) واستنكرت حركة الانتصار للحريات الديموقراطية هذا التدشين واعتبرت "إهانة معنوية وخلقية للأكبر وأشرف مناضل" (Ibid) ونددت به عبر منشور موزع وعن طريق صحافتها (L'etoile Algerienne ,30/10/1949) ومن جهة أخرى نفذ فوج فدائي من المنظمة الخاصة مشكل من بغدادي بومدين، خضراوي بومدين، طيبي عبد القادر، بن سحنون عبد القادر وبن نعوم لحسن وبكارة أحمد، محاولة تدمير النصب التذكاري، إلا أن العملية لم تكلل بالنجاح نظرا لفساد المادة الكيميائية المخبأة والتي تسربت إليها المياه، والعطب الذي أصاب فتيل اللغم (Harbi ,M, 1993 : 75). اكتسبت هذه العملية طابعا رمزيا وهي رسالة موجهة للاستعمار الذي ظل يترصد هذه العناصر المشبوهة والخطيرة حتى كشف المنظمة الخاصة بداية من 18 مارس 1950 انطلاقا من حادثة تبسة.

4- انعكاسات اكتشاف المنظمة الخاصة في منطقة معسكر:

بدأت الاعتقالات الأولى ضد عناصر المنظمة الخاصة في عمالة وهران منذ شهر أفريل 1950، وبلغ آنذاك عدد الموقوفين أكثر من 150 عنصر عبر

نواحي عديدة وفي الشهر الموالي تم إيقاف 84 شخص أغلبهم من الشباب (DAWO, SLNA n° 485, juin 1950)، وعمت الاعتقالات مدن عديدة وهي : تلمسان، وهران، عين تموشنت، معسكر، مستغانم، تيارت، غليزان، ويأخذ ترتيب المدن بعين الاعتبار تعداد المعتقلين وشبكة المنظمة الخاصة المكتشفة فيها (DAWO, SLNA n° 485, juin 1950)، وكشف تقرير الحاكم العام للجزائر بأن عدد المعتقلين والمحولين إلى السجون بتاريخ 01 جوان 1945، بلغ 362 معتقل في عامة الجزائر منهم 106 من عمالة وهران (ANOM ,81f783,GGA,Rapport ,juin 1945)، وعقب موجة الاعتقالات، تمت محاكمة المساجين بداية من 12 فبراير 1951 أين مثل أمام محكمة وهران 47 متهما بلغ عدد المتهمين الموقوفين من مدينة معسكر: خمسة، منهم: حلو عبد القادر المولود في 1919 بعين فارس، وسحنوني عبد القادر المولود في 1930 بمعسكر (Ouagouag Abdelkader, opcit, 91-105) وأصدرت المحكمة أحكاما قاصية ضد المتهمين تراوحت بين عشرة شهور سجن إلى 10 سنوات ومنع من الإقامة والتجريد من الحقوق المدنية (ANOM, 81f783,SLNA n°509-1951)،لم يكن اكتشاف المنظمة الخاصة أمرا متوقعا، سواء لدى الاستعمار، أو مسئولي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية. أصبحت الحركة أمام وضع حرج فيه خيارين، إما الاعتراف بزعامتها للمنظمة الخاصة وإما نكران ذلك ... فتم اختيار الموقف الثاني في الظاهر . (ANOM, 81f783,SLNA n°509-1951)

في أجواء الدفاع عن المعتقلين ومساندة عائلاتهم وإثارة مسائل ظروف اعتقالهم وسجنهم، كانت هناك عدة محاولات سياسية لإعادة تنشيط هيكل الحزب من جهة، وتفعيل وبعث المنظمة الخاصة من جديد من جهة أخرى

وفي هذا الإطار، كانت زيارة مصالي الحاج لعمالة وهران، حيث حل بمدن معسكر وبالياكو (تغنيف) 19-21 مارس 1950، وخيضر محمد الذي حل بمعسكر في 1950/09/27، وحسب تقرير مصالح الاستخبارات

الاستعمارية، فإن سبب الزيارة يكون على الأرجح من أجل إعادة تنشيط التنظيم السري (DAWO,SLNA n°713, Sept 1950)

وفي هذه الظروف المتميزة بأزمة اكتشاف المنظمة الخاصة وتداعياتها على أجهزة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من بروز مشاكل عويصة (المساجين ودعمهم، مسألة التعذيب، مساندة عائلات المعتقلين ...)، ظهر تداخل بين جناحي الحركة أي الجناح العلني والتنظيم السري. وقصد الخروج من هذه الوضعية الصعبة، أعيدت هيكلة حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران، إذ أصبحت مند أفريل 1950 تدار من قبل لجنة جهوية تحت رئاسة صحراوي محمد، وبها ممثلون عن المقاطعات وهي وهران، تلمسان، سيدي بلعباس، معسكر، تيارت ومستغانم على رأس كل مقاطعة مندوب جهوي وأمين عام .

وكانت مقاطعة معسكر تحت المندوب الجهوي: اسطنبولي مصطفي وجيبي ميلود كأمين عام، وبلغ تعداد المنخرطين 70 عضوا (DAWO.SLNA n° 309 ,Avril 1950) وكانت كل مقاطعة تمثل ناحية، وهي تضم عدد معين من المقاطعات (Sections) والخلايا (DAWO.SLNA n° 309 ,Avril 1950) بلغ مجموع قسمات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في معسكر (مارس 1950) أي في فترة اكتشاف المنظمة الخاصة ستة قسمات، تحت مسؤولية مصطفى اسطنبولي، على رأس كل قسمة : مسؤول القسمة، وهم على النحو التالي:

القسمة	قائد القسمة
القسمة الأولى	بن سايح العربي
القسمة الثانية	عيشوبة الشيخ
القسمة الثالثة	لكام بن عيسى
القسمة الرابعة	مرزوق عبد القادر
القسمة الخامسة	بن شنان قادة

القسمة السادسة	صحبي بن حنيفية

(ANOM, 92//484, PRG , District d'Oran Mars 1950)

وطرأ تغيير آخر على هيكل حركة الانتصار في عمالة وهران بعد شهور، أي مند 1950، فأصبحت عبارة عن فدرالية مقسمة إلى ولايتين، وهما :

- الولاية الثامنة: وهران

- الولاية التاسعة: معسكر والجنوب الوهراني، وضمت خمسة دوائر: وهي :

- دائرة معسكر التي ضمت قسمات مدينة معسكر وسعيدة، وخلايا في باليكاو وجيري في (غريس حاليا) وعين الحجر وبوحنيفية وبلغ عدد المنخرطين بها حوالي 120 عضوا.

- إضافة إلى دوائر: عين الصفرة، القنادسة وسعيدة والمشرية (ANOM,81F776)

5- إعادة تأسيس المنظمة الخاصة :

من خلال ما سبق، فنلاحظ بأن هيكل الجناح العلني السياسي للحزب طرأ عليها تجديد مند منتصف 1950 قصد مواجهة الأزمة، وسعي إلى تجديدها لاكتساب شعبية وإطار جغرافي أوسع باتجاه المدن والقرى والأرياف، ولعبت معسكر التي اضطلعت بمهمة إدارة شؤون "الولاية التاسعة " دورا مهما بها، خاصة في مجال "الاتصالات والدعاية"، وكان لدائرة معسكر شأنا كبيرا في هذا، خاصة تحت قيادة اسطنبولي مصطفى ووصفت معسكر ضمن عدة تقارير للشرطة ومصالح الاستخبارات الفرنسية بالمنطقة الحساسة، أي الخطيرة على أمن فرنسا (ANOM, 92 //177 ,GGA,PRG,ORAN ,1952)

وأشارت تقارير أخرى إلى وجود تنظيم سري في مناطق عديدة من الجزائر، أطلق عليه تسمية "الفيالق" (Légionnaires) مشكل من مجموعات من الشباب يلتقي

للتدريب العسكري ويتدارس مواضيع حول الإستراتيجية العسكرية وحرب العصابات (ANOM , 92// 106, GGA, Bulletin , Avril 1951)

ولهذا التنظيم، هرم مركزي (لجنة مديرة) وفيدراليات ثلاثة على مستوى العمالات، على رأس كل واحدة : مسؤول برتبة الوالي.وكان على رأس كل عمالة وهران : زيتوني مسعودي الملقب عبد السلام، وتأسست هذه المجموعات الشبانية (الفيالق) في عدة جهات من عمالة وهران مثل تلمسان، عين تموشنت، معسكر تيارت ...، ANOM) 92// 106, GGA, Bulletin , Avril 1951)

وهو مسير من قبل "نظام داخلي " له عدة نقاط تشابه مع النظام الداخلي للمنظمة الخاصة (ANOM , 92// 106, GGA, Bulletin , Avril 1951)

خاتمة :

إن اكتشاف المنظمة الخاصة وما لحق حركة الانتصار للحريات الديمقراطية من مصاعب جراء "المؤامرة الاستعمارية" لم ينل من عزيمة المناضلين في السير قدما وبعزم في مواصلة نشاطهم السري.لم ينتظر المناضلون تعليمات حركة الانتصار التي أصدرها في مؤتمرها شهر أفريل 1953 والداعية إلى إعادة تنشيط المنظمة الخاصة، بل بادروا قبل ذلك في تأسيس "المنظمة الخاصة الجديدة" (نظام الفيالق) التي ظهرت في عدة مناطق من عمالة وهران، ومنها منطقة معسكر مند أواخر 1951 ومطلع 1952، وهو ما يؤكد عزم هؤلاء الشباب للعمل من أجل "الكفاح المسلح" كوسيلة لمواجهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع:

I- باللغة العربية:

1- المراجع:

- بن ديمراد كمال، عبد القادر رجل دولة ومخطط حربي عبقري، نشر سن ة الجزائر في فرنسا، باريس، 2003.

- جيلالي بلوفة عبد القادر، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران (1939-1954)، ط1، دار اللمعية، الجزائر، 2011.

- علواني أمال، دور الحركة الكشفية في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية بالغرب الجزائري ما بين 1936

و 1954، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 2008.

- زغلول فؤاد سعد، عشت مع ثوار الجزائر، دار العلم للملايين، بيروت، 1956.

2- الرسائل الجامعية:

- بن داهة عدة، إسهامات منطقة معسكر في المجهود الثوري (1954-1958)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2001.

- جيلالي بلوفة عبد القادر، نشاط حزب الشعب الجزائري- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران (1939-1954)، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة وهران، 2002.

-En langue française

1/ Archives :

A/ direction des archives de la wilaya d'oran :

- DAWO, - carton, 4477 I 9 : PPA ordre général

■ Bulletin CIF et presse (1942-1949)

■ Personnages politique....

■ Affaires musulmanes

- Carton 4480, surveillance des indigènes.

▪CIE, juillet 1943, 1945 ,1950.

▪CIE, PRG, district d'Oran 1949.

▪SLNA .. Avril – juin 1950

- L'Etoile Algérienne, du 30/10/1949.

B/ Archives nationales d'autre –mer (ANOM – Aix en Provence –France)

- ANOM, 81F 783 : Rapports GGA et police (1949-1955).

- ANOM, 92 //484 : PPA, armé secrété, Rapports mensuels (1949-1953)

- ANOM, 81F776 : Rapports GGA, PR6, Activités du PPA, organisation secréte – synthèse de police (1948-1952)

- ANOM, 92//177 : Rapports mensuels sur le MTLD par arrondissements.

- ANOM, 92//106 : SLNA, Rapports mensuels et presses nationalistes.

2/ Ouvrages :

- AINAD Tabet Redouane, 8 mai 1945 en Algérie, Ed. OPU, Alger, 1987.

- AIT Ahmed Hocine, Mémoire d'un combattant – L'esprit d'indépendance (1942-1952), Ed. Bouchène, Alger, 1990.

- Benbella Ahmed, Itinéraires, Ed. maintenant, Alger, 1990.

- Boudiaf Mohamed, la préparation du 1er novembre, ED de l'étoile, Alger, 1976.

- Carlier OMAR, Entre Nation et Jihad, Ed. presses de la fondation des sciences politiques, Paris, 1995.

- Chevalier Jacues, Nous Algériens, Ed Calmann-levy, Paris, 1968.

- Harbi Mohamed, FLN : Mirage et réalité (1945-1962), Ed. Naqd ENAL, Alger, 1993.

- Julien Charles André, L'Afrique du nord en marche, 3eme Ed, Ed. Jullard, Paris, 1972.

- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme Algérien, question nationale et politique Algérienne (1919-1951), T2, Ed. ENAL, Alger 1993.

- Kaddache (M) et Sari Djilali, L'Algérie dans l'histoire- la résistance politique (1900-1954), Ed : OPU-ENAL, Alger, 1989.

- Kiouane Abderrahmane, Moments du Mouvement national Algérien, Ed. Dahlab, Alger, 1999.

- Koerner Francis, L'extrême droite en Oranie (1936-1940) RHMC, T :20, oct 1973, pp : 568-594.

- Larnaude Marcel, L'Algérie, Ed. Berger-lexrault, Paris, 1950.

- Ouagoug Abdelkader, les grands procès – L'organisation secrète, Ed. Dahlab, Alger, 1992.

- Simon Jaques, Messali Hadj (1898-1974) : la passion de l'Algérie libre, Ed. trésias, Paris, 1998.

- Tinthoin Robert, L'Oranie, Ed. Folique, Oran, 1952.

- Vatin Jean claude, L'Algérie politique – Histoire et société 3eme, Ed . P.U.F, Paris, 1983.

- Yousfi M'hamed, l'Algérie en marche – l'organisation secrète, T1 Ed. ENAL, Alger, 1985.

مقتطفات من مساهمة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر 1954

د.عدة بن داهة، قسم العلوم الانسانية، جامعة معسكر

إن الخصوصيات الطبيعية والبشرية كالموقع الجغرافي والمكانة التاريخية والميزات الجيواإستراتيجية منحت منطقة معسكر مكانة مرموقة عبر التاريخ، ومكنتها من لعب أدوار هامة في توجيه حياة السكان، إلا أنه بقدر ما منحها موقعها من امتيازات استراتيجية فإنه جلب لها أيضا الشرور وعرضها إلى الكثير من الأخطار.

وأول ما يجب معرفته ومن دون مبالغة، فإن مساهمة أبناء هذه المنطقة في طرد الاستعمار الفرنسي من الجزائر لم تكن وليدة ثورة أول نوفمبر 1954 فحسب بل تمتد إلى مائة وأربعة وعشرين سنة قبل اندلاعها، حيث كانت منطقة معسكر أثناءها مجالا لجهاد الاستعمار الفرنسي ومقاومته؛ وقد تجسد ذلك في جهاد محي الدين ونجله عبد القادر (1830-1847)، وكذلك في الانتفاضات المتتالية(بن داهة،ع.2005 : 84-85) ضمن المقاومة الوطنية التي لم تنطفئ شعلتها في هذه الجهة من الوطن إلا بعد استرجاع الجزائر استقلالها في 1962. وما هذه إلا ورقة موجزة أنقل لكم عبرها تجربة لواحدة من المدن الجزائرية في تنظيم العمل الثوري الذي مازلنا نجهل الكثير من تفاصيله وجزئياته. حضر أبناء مدينة معسكر أنفسهم لاحتضان الثورة، واستعدوا لها ماديا ومعنويا قبل اندلاعها.

وتعود هذه الاستعدادات إلى سنة 1947، وذلك عندما أنشأ السيد حمو بوتليليس(بن داهة،ع.2000: 47) فرعا للمنظمة السرية «O.S» بمعسكر وعين على رأسه المرحوم عبد القادر حلو(بن

داهة،ع.2000: 48) شرع هذا التنظيم في تكوين الخلايا الثورية، والتدريب على حرب العصابات، وصنع القنابل التقليدية، وتهيئة المخابئ استعدادا للثورة.

ومن بين العمليات التي شارك فيها بعض أبناء هذه المنطقة، الهجوم على بريد وهران ليلة 1949/04/07، من أمثال بن نعوم بن زرقة (بن داهة،ع.2000: 48)، ومحاولة نسف النصب التذكاري للأمير عبد القادر بكاشرو (سيدي قادة)، السيد أحمد الجيدار. ومن المؤشرات التي تدل على جهود الإعداد للثورة، تكوين المنظمة السرية لفصيلة تتكون من مجموعات وأنصاف مجموعات.

وفي حين كان كل من طيبي عبد القادر (المدعو بوشنتوف) وبومدين بغداد (المدعو بغدادي) يرأس مجموعة، فإن كلا من السادة سحنوني عبد القادر، وبوغرارة عبد القادر (المدعو قدور) وبكارة أحمد، ومعباد نور الدين يرأس نصف مجموعة.وقد اعترف جميع أعضاء الفرع السري «O.S» ممن ألقي عليهم القبض بأنهم تلقوا تدريبات عسكرية حول حرب العصابات وطرق التمويه، أما تصريحاتهم واعترافاتهم فذكرت جميعها بأهداف المنظمة:

1- السيد معباد نور الدين: «التحضير لثورة وطنية تحرر الجزائر، وإنشاء منظمة لمحاربة فرنسا».

2- السيد سحنوني عبد القادر: «التكوين العسكري السري **من أجل استقلال الجزائر**».

3- السيد حلو عبد القادر: «إن هدف المنظمة يتمثل في خلق إطارات للجيش الجزائري الجديد».

4- السيد قادري عبد القادر: «إنشاء جيش سري **لمحاربة فرنسا**».

5- السيد دلعة بن فريحة: «إنشاء منظمة سرية لتصعيد **العمل الثوري ضد فرنسا**».

6- السيد لكحل أحمد: «من أجل تحرير الجزائر».

7- السيد دلاى دحو: «حركة تحريرية عربية» (Ouagouag ,A.1989 :143-144).

يستنتج من هذه الاعترافات وضوح الهدف من التنظيم السري وهو تأليف جيش وتكوين جبهة ثورية قوية قادرة على إخراج فرنسا من الجزائر، وكذلك الإيمان بالعمل الثوري المسلح وسيلة لتحرير البلاد وخيارا لا بديل عنه. كما تدل على ذلك عبارة «محاربة فرنسا وتحرير الجزائر عن طريق العمل الثوري» التي وردت على ألسنة الجميع.

إن الدارس الجاد لتاريخ ثورة أول نوفمبر 1954، لا يمكنه بأي حال من الأحوال الإحاطة بجميع وقائعها مهما كان مبلغه من العلم. وأمام عظمة الثورة الجزائرية، وعدم القدرة على تغطية كل الجوانب التي يتطلبها الحديث عن أسرارها وخباياها، ومن هذا المنطلق فقد لا يتعدى حديثي في هذا العرض الوجيز والمركز الإشارة إلى بعض أهم إسهامات إحدى مناطق وطننا العزيز في المجهود الثوري لحرب التحرير الجزائرية ألا وهي منطقة معسكر. **فيما يخص العمل الفدائي:** فبعد تنفيذ أول عملية فدائية منظمة (أي بأمر من النظام) مساء يوم السبت 08-09-1956 (Echo d'Oran du Dimanche 09 et Lundi 10/09/1956). بشارع الأمير عبد القادر

(الطريق الكبير سابقا) ضد متعاملين مع جهاز الشرطة الاستعمارية من تنفيذ المجاهد «ب.ج» ضد «ب.ع.ق»، والثانية من تنفيذ المجاهد «ح.م» ضد «د.أ.خ» ،شن العمل الفدائي بمعسكر، بحيث توالت العمليات تبعا تستهدف الخونة والمتعاملين وعناصر الشرطة ودوريات المجندين الفرنسيين، والأوروبيين المعادين للثورة لتصبح المقاهي، والمحلات التجارية، والقاعات السنمائية والحانات، والملاعب الرياضية، والأسواق والشوارع الكبرى والساحات العمومية ميادين للقتال، وبوجه أخص شارع الأمير عبد القادر (طريق الكبيرة) والعربي بن مهيدي (شارع وهران سابقا) وعمر بن غزال (لا موريسار سابقا)- والمعروفة عند العامة بطريق الميزان- وساحة الأمير عبد القادر (غامبينا)، ومصطفى بن تهامي (سان أوغستان)، وساحة عبد الحميد بن باديس (كلوزال) -المعروفة عند العامة بالركابة.

وفيما بين **1956/09/08** و **1958/12/05** تمكن الفدائيون من تنفيذ أزيد من **76** عملية فدائية داخل المدينة من تلك التي تم إحصاؤها.أما العمليات التي راح ضحيتها مجندون أوروبيون في الكمائن والاشتباكات فقد أحصي منها **157** عملية كلها أتت ثمارها وأكلها(بن داهة،ع.ماجستير **2000**: **111**).

وتكتيكيا لا يهم عدد العمليات الفدائية أو نجاحها أو إخفاقها بقدر ما تهم النتائج الملموسة التي حققتها، كتناقل وسائل الإعلام لأخبارها والتأثير نفسيا على سكان المدينة الأوروبيين الذين انفجر غضبهم بشدة واتهموا سلطات الاستعمار بالعجز عن توفير الأمن والسلامة لهم، كما أن هذه العمليات شكلت دعوة للمتعاملين مع الاستعمار، وأجبرت الكثير منهم على مقاطعة أجهزة العدو والتحول

إلى التعاون طوعا أو كرها مع النظام الثوري لجبهة وجيش التحرير الوطني.

أما خارج المدينة فكان المجاهدون ينفذون عمليات ثورية جريئة أكتفي بضرب أمثلة عنها: (وكل هذا يدخل فيما يسمى بحرب الاستنزاف، أو الحرب طويلة الأمد، أو الحرب الثورية والتي تبنى على فكرة الاستهلاك التدريجي لقوة الخصم مما يؤدي إلى ارهاقه والنيل من معنوياته) ومن ذلك :

حرق المزارع واغتيال غلاة الكولون، فإنه خلال 26 شهرا (22-09-1956-15/11/1958) تم للمجاهدين حرق 120 مزرعة يمتلكها المعمرون(بن داهة،ع.ماجستير 2000: 233-235) منها على سبيل المثال: حرق 14 مزرعة بضواحي تغنيف ليلة السبت 1956/09/22 (Echo d'Oran du 23et 24/09/1956)، وتخريب 09 ضيعات بضواحي "كاشرو" (سيدي قادة) ونسموط وزلامطة و"دونبال" (هاشم) ليلة 1956/11/28 (Echo d'Oran ;28/11/1956)، وفي ليلة 1956/12/15 ضمن شعاع يمتد من 02 إلى 04 كلم شمال شرقي "سان هيبوليت" (المامونية) ألحق المجاهدون خسائر بـ 14 مزرعة (Gendarmerie N^{le} Mascara ,P.V.N°1935 ;1956)، وبضرب الاقتصاد الزراعي للكولون في المنطقة تكون الثورة فعلا قد شنت عليهم حرب استنزاف ومستهم في أعز ما يملكون.

وقد تجلي المظهر الخطير في حرب المزارع بضرب رؤوس غلاة الكولون ممن اشتهروا بالعداوة للثورة من أمثال "جان كومار" (فروحة 1956/12/23) (Echo d'Oran .25/12/1956) ، و"جورج

موريـاس" (جنوب غريس: 1957/01/06) (Echo d'Oran .08/01/1957) و "روني فورنيل" (المامونية: 1957/06/04) (d'Oran .05/06/1957 Echo)، و"فيليكس جوزيف فالا" (قرب مطار غريس: 1958/06/04) (بن داهة، ع.ماجستير، 2000: 229-230) ... وليس هناك من يستطيع توجيه اللوم للمجاهدين الجزائريين إن هم استخدموا وسيلة العنف الثوري. إن حرب المزارع بناحية معسكر لهي دليل على تغلغل الثورة في هذه الجهة من الوطن التي كان الاستعمار الفرنسي يعتقد أنها هادئة، إذ برهن المجاهدون من خلالها عن تواجدهم، وأن بإمكانهم إحداث أضرار بموارد الكولون ومصادر ثروتهم والحد من نشاطهم الزراعي والإخلال بتوازنه.

إن تركيز المجاهدين لضرباتهم ضد الاقتصاد الزراعي لهو دليل آخر على حسن اختيارهم لأهدافهم وانتقائها، كما أن تناقل وسائل الإعلام لأخبار الهجوم المتواصل على مزارع الكولون أعطى هذه الهجومات صدى وبعدا وطنيا، وأثار الكولون ضد السلطات الاستعمارية الفرنسية بعد أن انتشر الذعر والهلع في أوساطهم بحيث فضل الكثير منهم الهجرة إلى المدن للاحتماء بمصالح الأمن والجيش، وأمام هذه الوضعية صنفت سلطات الاحتلال غابات إسطنبول وفرقوق وبني خنيس والمسالك المؤدية إليها ضمن المناطق الخاضعة للرقابة الشديدة (zones S / contrôle renforcé). كما أرست ابتداء من 1957/07/01 نظاما يكفل الحماية لوسائل النقل المارة عبر الطرق الواصلة بين معسكر والمدن والمراكز الاستيطانية بالمنطقة، [مثل: غليزان، تيار فيل (غريس)، عين فكان، مرحوم، خلف الله، بنيان، باليكاو (تيغنيف)، صونيس (الخلوية)، البرج،

دومبال (هاشم)، نسموط، دومينيك لوسياني (تاخمارت)، وأوريس لوديك (وادي الأبطال)](C.A.O.M.Carton//156)

وعن حرب الكمائن اكتفي بمثالين: حيث نصب المجاهدون يوم 1956/11/12 كمينا على الطريق الرابط بين حسين والمحمدية لحافلتين قادمتين من معسكر في مكان يدعى عقبة اليهودي (le col du juif) أضرموا فيهما النار بعد إنزال ركابهما، وقضوا على 06 عسكريين وأوروبي مدني بينما أطلقوا سراح الركاب الجزائريين. (Echo d'Oran .13/11/1956)

وعلى بعد 03 كلم من معسكر على الطريق الواصل إلى "دوبلينو" (حسين) في مكان يدعى «غار الطين» نصب المجاهدون كمينا يوم السبت 1957/08/25 ضد قافلة تتكون من 80 سيارة مدنية، تتولى مرافقتها وحراستها دبابات من الأمام ومن الخلف. قدرت سلطات الاحتلال خسائرها في هذا الكمين بـ 06 قتلى فرنسيين من بينهم 04 مفحمين، وحرق شاحنة، وحافلة، وسيارة شحن (Echo d'Oran .27/08/1957) .

والمهم تكتيكيا في حرب الكمائن أنها تضمن للمجاهدين حق الرد والمبادرة بالهجوم وبالتالي كسب المعركة وتحقيق النصر بأقل الإمكانيات إلى جانب غنم الأسلحة والذخائر عقب كل كمين. واتضحت براعة المجاهدين وعبقريتهم في استخدام المرتزقة من عساكر اللفيف الأجنبي المتمركزين بثكنة بن داود في الاستخبارات وجلب المعلومات وتهريب الأسلحة والأمتعة. وإثر معلومات وصلت إلى القيادة الثورية مفادها أن اللفيف الأجنبي المجري الأصل في حالة

تمرد- بسبب معاملة النقيب "منتي" والعريف "بلسكي" للمجندين بقساوة- اغتنمت القيادة الثورية الفرصة للتسلل بمهارة داخل وسط اللفيف الأجنبي (حساني،ع.ك.1996: 40) فوزعت منشورا يدعو اللفيف الأجنبي إلى الفرار، واستجابة لهذا المنشور سجلت عمليات فرار خلال النصف الثاني من شهر نوفمبر لمجندين من أصل نمساوي و ألماني نقلوا يوم 1956/11/15 إلى جبال بني شقران بأمر من الجهة (Tribunal de Mascara ,correspondance N° (20/02/1957).

رد المجاهدون على مشروع سوستال الإصلاحي، وعلى الحرب الصامتة (البسيكولوجية) للمكتب الخامس، ومكتب الدراسة والاتصال (Le B.E.L) ، ومكاتب شؤون الأهالي "S.A.S"

و"S.A.U" باتخاذ إجراءات منها:

- ❖ إعادة توزيع المنشور الدعائي الحامل لصورة الزعماء الخمسة المختطفين، بعد الكتابة على ظهره ردا بالفرنسية يبصر المواطنين بالقضية الجزائرية ويحرضهم على طرد الكولون (CAOM carton // 726)

- ❖ توزيع منشورات باللغة الفرنسية تدعو الجيش الاستعماري على الثورة والتمرد ضد الكولون.

- ❖ توزيع منشور باللغة الألمانية يحث اللفيف الأجنبي على الفرار يعد فيه المجاهدين الفارين بالأمان، ويخيرهم بين أمرين: الالتحاق بجيش التحرير الوطني مع الاحتفاظ برتبهم وامتيازاتهم، أو الرجوع إلى بلدانهم.

❖ طبع وتوزيع نشرية إعلامية محلية باللغة الفرنسية تحمل عنوان (AVENIR) تفضح الدعاية الفرنسية الاستعمارية في أسلوب تهكمي ساخر.

❖ توزيع نشريات مستنسخة باليد تعرف بالقضية الجزائرية، تتضمن أقوالا من صحف وجرائد لبلدان شقيقة وصديقة.

❖ توزيع منشور يدعو المواطنين الجزائريين إلى منع أبنائهم من الالتحاق بالمؤسسات المدرسية الفرنسية يحمل عنوان (Boycotte des écoles Françaises).

وحذرت جبهة التحرير الوطني السكان مبكرا عن طريق الإعلام الشفهي بالامتناع عن التدخين وارتياد مقاهي الأوروبيين، وحمل شارات وأوسمة الشرف على صدورهم، **وهددت الخونة** من خطر وعواقب التعامل بالموت ما لم يكفوا عن العمالة والخيانة، كما تدل على ذلك بعض رسائل التهديد التي وجهتها الجبهة إلى الذين ثبت تورطهم في التعامل مع العدو، وبلغ الأمر بالجبهة إلى تنفيذ حكم الإعدام في حق البعض منهم، « ومن الأمثلة على ذلك تعرض الخادمة (ج.م)بمنزل "طافين" ضابط الشرطة القضائية بإصابة بالفأس في الرأس يوم **1957/01/01** (**Echo d'Oran. 02/01/1957**)، واختطاف شخصين» (ف.أ ولد قدور، وزوجته م. بنت عبد الرحيم) جنوب دوار البرج يوم **1956/12/31**(**Echo d'Oran .03/01/1957**)، ومقتل شابين(د.ب و د.م)، عثر على جثتيهما يوم السبت

1957/01/05 بممر على الطريق الرابط بين معسكر وغليزان (Echo d'Oran **.07/01/1957**)، كما نفذت أحكام بالإعدام في حق كثير من الممتنعين عن دفع الاشتراكات التي كانت الجبهة تفرضها على بعض المواطنين، وقد ظهرت فعالية الجهاز القمعي للثورة في تنفيذ الأحكام بالإعدام ضد الخونة عن طريق الذبح والقتل باعتبارها آليات جعل منها الثوار مقاييس أساسية للأخذ بالثأر.

وعلى الصعيد الاستراتيجي والتكتيكي لحرب العصابات

استخدم المجاهدون أسلوب الاستفزاز والتحرش تضليلا للعدو واستثارة نزعة الدفاع لديه، بالتسرب ليلا داخل النطاقات والمراكز الاستيطانية، كما حدث ليلة **1956/12/26** بقرية فروحة (Echo d'Oran **.28/02/1956**)، وبـ "دومبال" (هاشم) ليلة **1957/01/28**، و"سان هيبوليت" (المامونية) ليلة **1957/08/25** (Echo d'Oran **.25 et 26/08/1957**)، و"دوبلينو" (حسين) ليلة **1957/11/16**... الأمر الذي أكره عساكر الاحتلال على الاستنفار طيبة الليل، ومضاعفة الدوريات، وغلق الأوروبيين على أنفسهم داخل بيوتهم، وبهذا الأسلوب تكون الثورة قد حققت توازنا عسكريا وسياسيا نسبيا. ولإبطال مفعول مكاتب شؤون الأهالي جنح الثوار إلى **خوض حرب نفسية مضادة** أسندت مهامها إلى المحافظين السياسيين، وفرضت المساهمة المادية على الشعب (اشتراكات، تبرعات، هبات...) مقابل وصل، ونظمت جهاز الاستخبارات والاستعلامات باستعمال المدنيين والعسكريين ورجال الشرطة العاملين في الأجهزة الاستعمارية، لاسيما العاملون في اللاسلكي.

وأنشأت مصالح صحية يستفيد الشعب من خدماتها، لها هلالها الأحمر وأدواتها الاستشفائية. ومن الأطباء الذين استفادت المنطقة من خدماتهم نذكر: الدكتور خالد، عيساني يسعد والدكتور دمرجي، والدكتور الطيب مسلم، وصالحة ولد قابلية، أما المراكز التي استخدمت لإسعاف المرضى والجرحى فمنها على سبيل المثال: مستشفي بوادي الأبطال في مغارة وادي العبد، ومستشفى جبل الشعاب بمغارة الهزيل، ومستشفيات أخرى في كل من سيدي الرفاس، عوف، وقرية أولاد بناصر، وأولاد الشريف، وعين فارس، وغابة فرقوق، والعمايرية... ومعنى هذا أن التغطية الصحية بالمنطقة كانت مضمونة.

وأقحمت المرأة المعسكرية في صنع الحدث بإشراكها في القتال المفتوح مع العدو على كل الجهات. ومن الفتيات اللواتي التحقن بالثورة وسلكن طريقهن إلى الجبال نذكر على سبيل المثال: زوبيدة ولد قابلية، بلبوري رحمة، النبية حبوس، علال فتيحة، عقار فاطمة، العربي الزهرة، غلال الشريف، هلالي ليلة، طامة عزيزة، ليلي إدريس الطيب، كسيرة نصيرة... والقائمة طويلة (الملتقى الجهوي لكتابة تاريخ الثورة،**1983/10/08: 07**).

فيما يخص **الإضرابات الثورية** فإن مدينة معسكر كغيرها من المدن الجزائرية دخلت إضراب الثمانية أيام (**01/28** إلى **1957/02/04**) الذي مس القطاع العام في بلدية معسكر والسجن المدني، وسلك التعليم، وقطاع الصحة، والمطاحن، والمخبزات، وموزعي الحليب، وأصحاب المتاجر والمهن الحرة، وكذلك العمال ببعض مزارع الكولون (بن داهة،ع. **2000: 182**).

وفيما يتعلق **بالمعارك الكبرى بين فصائل جيش التحرير الوطني و القوات الفرنسية**، فإنه لا يكاد يمر يوم واحد دون أن يشتبك المجاهدون مع قوات العدو في موقع ما من سلسلة جبال بني شقران. وبمجرد تلقيها الموارد الحربية اللازمة لخوض المعركة دخلت المنطقة في حرب شرسة، بحيث لم تنته مقارعة الاستعمار في هذه الجهة من الوطن إلا باسترجاع الجزائر استقلالها وحريتها. ومن بين **أشهر وأهم المعارك** التي خاضها جيش التحرير الوطني فيما بين **1956-1958** في النواحي القريبة من معسكر نذكر على التوالي:

• معركة الكاف لصفر يومي **21** و **1956/02/22** والتي كانت مبارزة حاسمة وعنيفة بين المجاهدين وجيش الاحتلال، التحم فيها الجيشان جسدا لجسد إلى حد استخدام السلاح الأبيض.

• معركة اسطمبول الأولى: **1957/07/30**.

• معركة معسكر التي أغار فيها المجاهدون على العدو في عقر داره مساء يوم السبت **1957/08/24**- مع العلم أن أقصى ما يمكن تصوره من انتحار هو مهاجمة العدو في عقر داره- وحرروا فيها المدينة لمدة ساعتين.

• معركة جبل المناور الجارية وقائعها يوم **1957/09/05** والتي قضي فيها على **650** عسكري وأصيبت فيها **18** طائرة حربية سقط منها على ميدان المعركة **06** طائرات عمودية، وقاذفة من نوع "ب **26**" ، ومستار، وجاغوار، وكشافة، إضافة إلى تدمير آليات حربية، واستشهد فيها **69** مجاهدا و **10** مدنيين، وأصيب **23** بحرائق النابالم.

• معركة إسطنبول الثانية بداية: فبراير 1958.

• معركة جبل بوعتروس فيما بين 06 و 1958/01/08 (بن داهة، ع. 2000: 236-270)

وهي معارك اهتزت لها الأوساط الاستعمارية، وأسالت الكثير من الحبر في الصحف الإعلامية الاستعمارية التي استدعت احتياطيها ضمن الوحدات الإقليمية (U.T) (C.A.O.M ,Carton//301) ولا سيما الأوروبيين الذين يتحدثون اللغة العربية لتوظيفهم في محافظات الشرطة ولدى مصالح الأمن لتستعين بهم في عمليات الاستنطاق والتعذيب (C.A.O.M ,Carton//301) .

تلكم هي بعض الشواهد الحية عن رد المجاهدين على ما اقترفه جيش الاحتلال الفرنسي من جرائم في حق الجزائريين بهذه المنطقة.

المصادر والمراجع

-C.A.O.M. G.G.A. Carton // 301.

-C.A.O.M. G.G.A. Carton // 156.

-C.A.O.M. G.G.A. Carton // 726.

-Gendarmerie Nationale. Brigade Mascara:

P.V: N° 1935 du : 16/12/1956. P.V: N° 1948 du : 18/12/1956.

P.V: N° 1932 du : 15/12/1956. P.V: N° 1950du : 18/12/1956.

P.V: N° 1933 du : 15/12/1956. P.V: N° 1939 du : 17/12/1956.

P.V: N° 1929 du : 15/12/1956. P.V: N° 1936 du : 18/12/1956.

P.V: N° 1956 du : 15/12/1956. P.V: N° 1949 du : 18/12/1956.

P.V: N° 1934 du: 15/12/1956. P.V: N° 1937 du : 17/12/1956.

- Correspondance du S/Lieutenant chaix off de sécurité du CI. N° 02 à Mr l'off de police judiciaire, Mascara: en date du 23/02/1960.

- Correspondance du Colonel Thomas Cdt le 1er régiment étranger à Mr le juge d'instruction, tribunal de Mascara, objet: recherches concernant les déserteurs, (correspondance n° 25 en date du 20/02/1957) .

- Brigade de Mascara, police judiciaire, P.V. n° 16 en date du 29/01/1957.

- بن داهة عدة. **معسكر عبر التاريخ**، ط01، الجزائر: دار الخلدونية، 2005م.

- **اسهامات منطقة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر (1954-1958)**،

رسالة ماجستير في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2000.

- حساني عبد الكريم. **أمواج الخفاء**، الجزائر: منشورات المتحف الوطني للمجاهد 1996.

- غالم محمد. **"انتفاضة معسكر في مطلع القرن العشرين"**، مجلة التاريخ، رقم 21، الجزائر،

1986. ص ص 89-114.

- حزب جبهة التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين. **من معارك ثورة التحرير**، قسم

الإعلام والثقافة، بمناسبة الذكرى العشرون لاستقلال الجزائر.

- المنظمة الوطنية للمجاهدين، المنظمة الولائية لأبناء الشهداء، **حرب المزارع بناحية تيغنيف:**
1956/09/22، ولاية معسكر.- في08 صفحات مرقونة، بدون تاريخ، (حجم15-31)-
- وزارة المجاهدين، منظمة المجاهدين لولاية معسكر. **التقرير الولائي المقدم في الملتقى الجهوي بوهران لكتابة تاريخ الثورة، ماي/أوت 1983**، في 22 صفحة مرقونة (حجم 27/21).
- **مقابلات شخصية وشهادات شفوية لبعض مجاهدي المنطقة السادسة** من أمثال: دحو مسعودي، عبد القادر العيادي، حصاب ميلود...

- Ageron (Charles- Robert) **les Algériens Musulmans et la France (1871-1919)**. T.I, Paris: P.U.F, 1968.
- Djerloul (A.E.K). **Eléments d'histoire culturelle Algérienne**, Alger: E.N.A.L, 1984.
- Ménerville (M.P) de, **Dictionnaire de la législation Algérienne, 2eme V. 1860-1966**, Alger - Paris 1877.
- **Avenir de Mascara** 1954-1962.
- **Echo d'Oran** 1954-1962.
- **El Moudjahid, organe central du F.L.N.** T 01, 1956-1961.
- OUGOUA G. (AEK). **Les grands procès,** Alger: imprimerie Dahleb 1983.

الإمداد والتموين في المنطقة السادسة بالولاية الخامسة ما بين 1954-1962م من خلال الشهادات الشفوية.

د. طاعة سعد، جامعة معسكر

مقدمة:

يعتبر الإمداد والتموين من الأسس الهامة التي يقوم عليها المد التحرري، فالثورات التي اتخذت أسلوب العنف لتحقيق الاستقلال كالثورة الفيتنامية مثلا (1946م- 1954م) استغلت الإمداد والتموين القادم من المعسكر الشيوعي، وحتى الثورات السلمية اعتمدت على الجانب اللوجستيكي كالثورة الهندية، فحزب المؤتمر الوطني جمع الأموال من أجل الدعاية للحركة التحررية التي قامت في الهند للتخلص من الاستعمار البريطاني حيث « دعا غاندي إلى عدم التعاون مع السلطة البريطانية في جميع المستويات، كما دعا إلى الإضراب عن العمل والمظاهرات وإغلاق الدكاكين والاستقالة من الوظائف ». (سعد الله،أ.1985:ص132)، والثورة الجزائرية لم تشذ عن مثيلاتها من الثورات العالمية، حيث اعتمدت في كفاحها التحرري على وسائل الإمداد والتموين المتعدد، لمواصلة الجهد الحربي حتى تحقيق النصر والاستقلال. مع بداية ثورة نوفمبر 1954م واجه العمل التحرري صعوبات، خاصة في الجانب اللوجستيكي فالإمكانات المادية كانت بسيطة لجلب الإمداد والتموين، والوسائل كانت تقليدية كبنادق الصيد والخناجر والفؤوس، ومن الأمثلة على ذلك هجومات الشمال القسنطيني 20 أوت 1955م (المصادر،ع3. 2000:ص157). وبعد استمرارية الثورة وتطورها وانضمام الشعب

إليها بكل فئاته، كان لزاما على جبهة التحرير الوطني أن تبحث في الطرق والأساليب لجلب الإمداد والتموين حتى توفق بين العدد الهائل من المجندين والإمكانات المادية البسيطة لضمان استمرارية الثورة. وهو ما أكده المجاهد « المختار عدة بركان المدعو العبوي المولود بماوسة بالقرب من معسكر سنة 1932م، أنه مع بداية الثورة تجند الكثير من سكان المنطقة في سبيل التحرر والاستقلال، وقاد العمليات الفدائية بمدينة معسكر في أول وهلة جلول بولريال وهو من سعيدة » (عدة بركان،م.ف2012: معسكر). ومن الأمور الرئيسية التي ناقشها مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م وخرج بقرارات هامة حولها، مسألة السلاح واللباس والمواد الغذائية (أزغيدي، م.1989:ص 123)، كما أن الحكومة المؤقتة لما تأسست سنة 1958م، أنشأت أجهزة وهياكل خاصة بالتموين والإمداد تهتم فقط بالجانب الحربي كوزارة التموين والسلاح بقيادة محمد الشريف. ومع « تطور ثورة التحرير كان لابد من إيجاد هيئة مسؤولة مهمتها تنظيم إدخال السلاح عبر الحدود، وبدأ التفكير في ذلك منذ 1958 م، وأنيطت هذه المهمة إلى القيادة العليا لجيش التحرير الوطني، ولم تكن من صلاحية استخبارات الثورة M.A.L.G وإنما لجنة حربية C.I.G تتألف من وزارة التموين والسلاح، ووزارة الدفاع شكلت لهذا الغرض في سنة1960م، وكان على رأسها عبد الحفيظ بوصوف، مهمتها الإشراف على شراء وإدخال الأسلحة عبر الحدود» (OULD KABLIA, DAHO.MARS2002:P89).

أهمية الإمداد والتموين خلال الثورة:

إن أساس العملية التموينية خلال الثورة،كان جمع المال الذي كان يأتي عن طريق الاشتراك « والاشتراك هو عبارة عن مبالغ

مالية كان المناضلون يقدمونها للثورة شهريا، وتختلف القيمة النقدية باختلاف الناس وطبقاتهم وأحوالهم، فالمناضلون كانوا يقدمون مبلغا ماليا لا يتجاوز 10% بالنسبة لمرتبه الشهري كما كان التجار يقدمون هذا الاشتراك، وحتى الذين لا يعملون كانوا يقدمون اشتراكا رمزيا» (مرتاض،ع.1983:ص15).

ومع استمرار الثورة ازدادت حاجاتها للإمداد، ولسد النفقات الكثيرة التي أخذت تتزايد اعتمدت جبهة التحرير وجيش التحرير على مصادر أموال أخرى متمثلة في التبرع« والتبرع في مصطلحات الثورة،كأن يقوم المواطن الجزائري بتقديم مساعدة معلومة إلى الثورة علاوة على الاشتراك الشهري الذي كان يؤديه بصورة منتظمة، وكان التبرع يفرض على المتبرع في بداية عهده بالنضال وكان المال يسلم إلى مسؤول في جبهة التحرير الوطني عن طريق وصل رسمي، والتبرع يكون تطوعي للذي لديه المال الكافي ويتم عن طيب خاطر من المواطن»

(مرتاض،ع.1983:ص27).كما كانت هناك مصادر تموين أخرى لجلب المال منها « فرض الغرامات على الأشخاص الذين يرتكبون الأخطاء والغنائم التي يحصل عليها جيش التحرير، من الخونة، والمستوطنين، والمتعاونين مع العدو الفرنسي، والضرائب التي تعد من مصادر تمويل الثورة، إذ كانت هناك شبه ضريبة يفرضها على كل من يشتري أرضا أو عقارا من معمر، تصل الضريبة إلى 20% من قيمة الملك كما كانت الثورة تتحصل على الأموال من الخارج، في شكل هبات أو تبرعات من طرف الدول المتعاطفة والمؤيدة للثورة» (حفظ الله، ب.2006:ص234). فأهمية الإمداد والتموين كانت

ضرورية بالنسبة للثورة فقبل سنة 1956م لم تضع «الثورة هياكل لتنظيم التموين، وإنما كانت هذه العملية تتم وفق تنظيم مخالف للتنظيم الذي سيعرف بعد 1956م، فجيش التحرير الوطني كان يعتمد على التموين الذاتي من مختلف الاحتياجات حسب الإمكانات المتاحة، وكان الانتشار محدود بالنظر للعدد والعدة التي كانت متوفرة للأفواج الأولى لجيش التحرير» (حفظ الله،ب.2006:ص237). وكانت عملية الإمداد والتموين أساسها جمع المال بغرض شراء الأسلحة، المواد الغذائية، الألبسة، «ويذكر أحد مجاهدي منطقة معسكر وهو تويزة محمد أن مسألة الإمداد كانت من بين المشاكل التي واجهت الثورة في الناحية السادسة، فيقول لذا اعتمدنا على إمكاناتنا ودعم الشعب خاصة الفلاحين منهم» (تويزة، م.ج2011:معسكر).

كان السلاح عنصر ضروري لجيش التحرير وجله تقليدي كبنادق الصيد، أو مسدسات، أو خناجر، ولكن مع تطور الثورة والدعم الخارجي الذي أصبحت تلقاه من قبل الدول الشقيقة والصديقة، أضحت بيدها أسلحة حقيقية متطورة.

وهو ما يحدث بعد سنة 1958م حيث تمتلك الثورة وسائل الاتصال السلكية واللاسلكية (HASSANI,A.1988 :P144). وما يثبت أهمية الإمداد والتموين بالنسبة للثورة، هو ما جاء على لسان رئيس الحكومة المؤقتة فرحات عباس حيث قال:«نحن نترقب من العالم أجمع إعانة مادية وأدبية، لأننا ندافع عن قضية عادلة مشروعة، أما فيما يخص الشعوب الإفريقية والأسيوية وخاصة الشعوب العربية، فإننا لا نكتفي منها بالعون الأدبي ومن حق الشعب الجزائري

الذي أستشهد منه حتى الآن في معركة التحرير العشر من سكانه أن يطلب المال والإعانات الحيوية والأسلحة" (المجاهد، ع 3 .1959).

مشاكل التموين والإمداد بالمنطقة السادسة للولاية الخامسة:

كانت الولاية الخامسة الثورية التي تمثل الجهة الغربية، تغطي ثلث التراب الوطني تقريبا وكانت تضم « خمسة أقاليم طبقا للتقسيم الإداري آذاك وهي وهران، تلمسان، تيارت، مستغانم، بشار، سعيدة »

(دادة،م.1989:ص53). وكانت تضاريس هذه الولاية سهلة وبسيطة غير معقدة، لا تظهر فيها الجبال الوعرة إلا قليلا عكس، الولاية الأولى أو الولاية الثالثة،كما توجد في الولاية الخامسة الأودية والمغاور والغابات غير الكثيفة، وكانت معظم الأراضي الزراعية خصبة شهدت تركز الكولون منذ الاحتلال 1830م، وكان يحرس هؤلاء الشرطة والجيش وقوات الدرك الفرنسيين والقومية.

ومع انطلاق الثورة وفرت الإدارة الفرنسية لجموع المستوطنين الأسلحة لحماية أنفسهم من خطر الثوار، لذا لما اشتدت نار الثورة في هجماتها على هؤلاء « استطاع الاستعمار الفرنسي ،تدمير المجموعات الصغيرة والخلايا التي كانت منظمة حينذاك » (دادة،م.1989: ص54). كما أن سهولة مناطق الولاية مكن الجيش الاستعماري من السيطرة العسكرية عليها، إلا أن قادة جيش التحرير بعد 1956م استطاعوا فك الحصار، وذلك بتشكيل مجموعات متفاوتة العدد، ولكل مجموعة لها منطقة جغرافية

محددة تمارس فيها عملياتها العسكرية ومنها المنطقة السادسة (معسكر وسعيدة) أما معسكر جغرافيا«تقع في الإقليم الشمالي الغربي للجزائر على أحد السفوح الجنوبية المطلة على سهل غريس، بالقسم الغربي لجبال بني شقران ويحدد موقعها بخط عرض 25 إلى 35 شمالا وخط طول 25 إلى 2 غربا» (بن داهة ،ع. 2005:ص08). وشهدت معسكر عمليات عسكرية ثورية بداية من سنة 1956م.

وقسمت المنطقة السادسة المشكلة من معسكر وسعيدة إلى نواحي والنواحي إلى قسمات عسكرية كما قسمت القسمة إلى لجان الدواوير « وكانت المنطقة السادسة تضم الناحيتين الثانية والثالثة والناحية الثانية تضم القسمين 53 و45 أما الناحية الثالثة كانت تضم القسمين 55 و65 » (دادة،م.1989:ص53). ونظرا لكون أن المنطقة السادسة قريبة من الحدود المغربية، فقد ركزت القوات العسكرية الفرنسية كل جهودها من أجل مراقبة الحدود، خاصة الغربية لقطع الإمداد والتموين الخارجي عن الثورة.

وقد جابهت جبهة التحرير وجيش التحرير كل هذه الضغوطات، من خلال اختراق الأسلاك الشائكة المكهربة«حيث في أبريل 1958م قامت لجنة التنسيق والتنفيذ بترقية بعض ضباط جيش التحرير إلى عقداء، من بينهم هواري بومدين وآخرون تناط لهم مهمة الإشراف على إدارة النشاط الثوري العسكري Com انطلاقا من الحدود » (Farhat,A.1980 :p246)، ومن الصعوبات كذلك أن الجهة الغربية منفتحة على البحر وبالتالي سهل مراقبتها من طرف العدو الفرنسي، والدليل على ذلك « مصادرة كميات كبيرة

من الأسلحة على الحدود الغربية كان بالإمكان توظيفها في الثورة » (حفظ الله،ب.2006:ص243).

طرق وأساليب جلب الإمداد إلى المنطقة السادسة:

إن طرق وأساليب جلب الإمداد والتموين حسب روايات المجاهدين كانت كثيرة منها:

1- مساعدة الشعب للثورة بالمال والأسلحة والمواد الغذائية والألبسة.

2- توفير الفلاحين للثوار الملاجئ والمخابئ والإيواء والإطعام.

3- الاستيلاء على أسلحة الكولون بعد حرق مزارعهم.

4- جلب الأسلحة عن طريق نصب الكمائن لقوات الشرطة وقوات الجيش الفرنسي.

5- توفير الأسلحة والأدوية والألبسة عبر الحدود الغربية. وفرار بعض الجزائريين ممن كانوا في صفوف الجيش الفرنسي ومعهم أسلحتهم. وكان مصدر التموين والإمداد بالنسبة للثورة داخليا، وخارجيا، فاعتمد جيش التحرير الوطني على إمدادات الشعب بصفة عامة من إيواء، وغذاء، ولباس، ودواء وأحيانا أخرى حتى السلاح.

فالمنطقة السادسة من الولاية الخامسة، كانت محاصرة خاصة بعد تطبيق خطة **شال** 1958م وذلك عن طريق مشروع

مزاحمة الثوار في الزمان والمكان، ويهدف هذا المخطط إلى تطهير المنطقة من قوات جيش التحرير

والعناصر الخطيرة كما كانت تزعم الإدارة الفرنسية، وذلك من خلال تجميع السكان في المحتشدات، وضرب الحصار على المنطقة السادسة، والتنكيل والبطش والتعذيب الذي تعرضت له قرى ومداشر معسكر، وتجدر الإشارة أنه« في جانفي 1959م قدم **بيجار** إلى منطقة سعيدة الذي كثف من قوات الكومندوس، وأبراج المراقبة، وإحاطة المراكز، والثكنات العسكرية بالأسلاك الشائكة، والقيام بعمليات المراقبة، داخل مدن سعيدة، ومعسكر، والاعتماد على الخونة » (دادة،م.1989:ص57).

وأمام هذا الوضع الصعب كان على جيش التحرير في المنطقة السادسة، أن يجد الحلول أولا للرد على غطرسة الجيش الفرنسي، ثم إيجاد طرق لجلب الإمداد والتموين لتطبيق إستراتيجية جيش التحرير، وذلك من خلال تشكيل الوحدات القتالية، واستحداث فرق الكومندوس، والقيام بعمليات جريئة، وهذا ما أكده المجاهد عزايز أحمد المدعو فاتح المولود بزلامطة سنة 1937م والذي التحق بالثورة كفدائي منذ سنة 1957م حيث يقول:

" أنه منذ سنة 1958م تم تقسيم جيش التحرير من فرق إلى أفواج، وكانت الفرقة تتكون من 30 جندي، قسمت إلى أربعة وهذه المجموعات تقوم بأعمال تخريبية للمنشآت الاستعمارية، والقيام بهجومات محدودة وقتل الكولون والحركى، كما يضيف عرفت المنطقة السادسة في المرحلة الممتدة ما بين 1956م إلى سنة 1962م

أكثر من 300 عملية حربية ضد العدو الفرنسي، تم فيها استهداف الجنود الفرنسيين والحركى في مناطق كثيرة منها، واد لخضر 1958م ومنطقة تفرنت شمال سعيدة بجبال سيدي عمر وتم الاستيلاء على أسلحة العدو MAT49، وبنادق من صنع فرنسي MAT 36، ويؤكد المجاهد أن الدور الفعال في جلب الإمداد والتموين، كان بفضل الشعب الذي وفر الطعام والأموال واللباس وحتى بعض أسلحة الصيد » (عزايز ،أ. م2012 :معسكر) وقد شارك ثوار المنطقة السادسة من معسكر وسعيدة، في عمليات ثورية كثيرة كان هدفها جلب الإمداد والتموين وتوفير الأسلحة، ومن أهم العمليات معركة عين السلطان تم فيها قتل «حوالي 146 جندي فرنسي وحصل جيش التحرير على أربعة أجهزة اتصال وأربعة مدافع و260 بندقية وحوالي 4060 رصاصة » (دادة،م.1989:ص 57).

وكانت مسألة التموين والإمداد الشغل الشاغل، بالنسبة لوحدات جيش التحرير الوطني بالمنطقة السادسة خاصة بعد 1958م، حيث بدأ شال يطبق عملياته العسكرية في الولاية الخامسة، وكان لابد من إيجاد وسائل حربية أكثر تطور لمجابهة هذه العمليات، ويروي المجاهد تويزة محمد المولود بتاريخ 1937م بمنطقة سيق التحق بصفوف جيش التحرير سنة 1959م « إن مسألة التموين كانت من ضروريات الثورة التحريرية، وقد شهدت الولاية الخامسة عموما عوزا فيما يخص الإمداد والتموين، من أسلحة، وألبسة، وأدوية، ومواد غذائية، وتكفل الشعب بعد 1954م بذلك بالرغم من قلة وبساطة الوسائل. إلا أنه بعد 1958م أصبح جيش التحرير يمتلك الوسائل خاصة الأسلحة المتطورة، التي استولى عليها

الجيش التحرير بعد الاشتباك مع العدو، وكان للحدود فضل في دخول الأسلحة المتنوعة وحتى الألبسة والأدوية » (تويزة ،م. ف2011 :معسكر)

ويشرح المجاهد عدة بركان المختار المدعو **العبوي** المولود بتاريخ **1932**م بماوسة طرق أخرى لجلب الإمداد والتموين فيقول: « أنه بعد **1956**م كانت الولاية الخامسة بحاجة ماسة إلى الإمداد و التموين، وكان علينا القيام بعمليات ثورية لجلب الأسلحة واعتمدنا في ذلك على حرب العصابات، كما أنه في أواخر **1956**م كلف عشرة أشخاص من بينهم بن فريحة، محمد ولد عودة، عدة بركان، محمد الصغير، علي بوزيان، بنقل الأسلحة من الحدود إلى المنطقة السادسة وكانت هذه الأسلحة عبارة عن قنابل وبنادق وكمية كبيرة من الرصاص» (عدة بركان ،م. ف**2011** :معسكر)

وكان للحدود الغربية الدور الكبير في دخول الأسلحة إلى باقي الولايات الثورية، وهذه الأسلحة والأدوية والألبسة تأتي من الدول العربية، وحتى الدول الصديقة و الأوروبية، وفي هذا الشأن يذكر المجاهد عدة بركان المختار أنه بعد سنة **1957**م « كلفت فرق من جيش التحرير في شكل مجموعات، من المنطقة السادسة بجلب الإمداد والتموين من الحدود الغربية، وتمكن كل جندي من المجموعة بحمل بندقيتين وأربعة قنابل و**200** رصاصة ولباس إضافي» (عدة بركان ،م. ف**2011** :معسكر) .

وتحمل الشعب مع بداية الثورة مسؤولية الإيواء والأكل، وبعدما أصبحت لجبهة التحرير وجيش التحرير أموال إضافية

خاصة بعد 1958م، أصبح هو الذي ينفق على الشعب بشراء الأدوية والأغذية للسكان، في المدن والقرى والبوادي، وهذا ما دفع وزير القوات المسلحة في الحكومة المؤقتة السيد كريم بلقاسم إلى توجيه شكر جاء فيه :« أيها الجيش الوطني المظفر أوجه إليك تهنئة الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية على مواقفك المشرفة ونضالك القوي، وأنت أيها الشعب الجزائري فإن حكومتك الوطنية تسجل لك شكرها على تأييدك الشامل لجيشك الوطني المحارب» (المجاهد، ع 44 .1959).

وتمكنت الثورة في المنطقة السادسة بالولاية الخامسة بعد سنة 1958م من امتلاك أسلحة مختلفة ومتطورة، وهو ما أكده المجاهد عدة بركان المختار فيقول: « كان بحوزتنا أسلحة أمريكية مثل GARAN، وهي بنادق نصف أوتوماتكية وأسلحة ثقيلة، مثل MG 44 وبنادق S 174.، ورشاشات نصف أوتوماتكية من صنع فرنسي منها MAT 36 و MAT 49 والمدافع الرشاشة MAT 51 و MAT 44 و P.M 38 ،وهناك أيضا نوع أخر يتمثل في STEN من صنع بريطاني وأسلحة ثقيلة أخرى مثل:FM 29، FM 24 » (عدة بركان ،م. ف2011 : معسكر)، ويردف المجاهد قائلا:« إن الأسلحة التي يحصل عليها جيش التحرير، كانت مختلفة الصنع أمريكية، بريطانية وفرنسية، وإيطالية وطرق الحصول عليها مختلفة كذلك، إما بشرائها من الخارج، وأخذها من الحدود أو الاستيلاء عليها بعد المجابهة مع العدو، أو عن طريق أولئك الذين كانوا في صفوف الجيش الفرنسي من الجزائريين والتحقوا بالثورة » (عدة بركان ،م. ف2011 : معسكر)

خاتمة:

هناك ثلاث عوامل رئيسية أدت إلى نجاح ثورة التحرير الوطنية، وساهمت في الاستقلال والتحرر من الاستعمار والاستبداد. أول هذه العوامل وجود مرجعية تقوم عليها وهذا ما ظهر في بيان أول نوفمبر 1954 م، والذي خاطب الشعب الجزائري وبين له الأسباب الحقيقية الداعية إلى الكفاح المسلح، والأهداف من إعلان هذا البيان. وثانيهما وجود قيادة واعية، وهذا ما أقره مؤتمر الصومام 20 أوت 1956م من خلال إنشائه المجلس الوطني للثورة، والذي كرس مبدأ القيادة الجماعية، وثالثهما توفر الوسائل لتحقيق مرجعية وأهداف الثورة، وهذا العامل شكل صعوبة بليغة بالنسبة للعمل الميداني. حيث مع انطلاق ثورة التحرير نوفمبر 1954م واجهت مشاكل عديدة، منها الإمداد والتموين، وفي كامل الولايات الثورية خاصة المنطقة السادسة من الولاية الخامسة، هذه المنطقة التي جابهت الاستعمار بوسائل تقليدية في البداية، ثم فكر قادة جيش التحرير بالناحية في عملية جلب الإمداد والتموين والبحث في الطرق الكفيلة لذلك، وبالفعل بعد سنة1958م صارت المنطقة السادسة هامة ليس للمناطق المجاورة فحسب، بل كامل التراب الوطني .حيث سهلت مرور المؤن، والسلاح، والمواد الغذائية، والألبسة، إلى الولاية الرابعة والولاية السادسة وأبلت المنطقة السادسة المكونة من معسكر وسعيدة خلال ثورة التحرير بلاء حسنا من خلال العمليات الثورية الميدانية، وجمع المال والسلاح والألبسة والأدوية، وكان ذلك بطرق مختلفة حسب شهادات المجاهدين الذين عايشوا الأحداث. بل أصبحت جبهة التحرير وجيش

التحرير بعد سنة 1958م يقدمان المساعدات الغذائية والطبية وأحيانا أخرى حتى المادية لسكان المنطقة، وهذا الذي يثبت قوة الثورة وعظمتها في افتكاك النصر والاستقلال.

المصادر والمراجع:

- أبو القاسم سعد الله، شعوب وقوميات، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985م.
- أزغيدي محمد لحسن، مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956م-1962م، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989م.
- بن داهة عدة، معسكر عبر التاريخ. دار الخلدونية، ط1 .2005م.
- حفظ الله بوبكر، الدعم المادي للثورة الجزائرية وإستراتيجية جيش التحرير الحربية بين 1954م-1956م، المصادر، العدد 13، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، 1954م.
- دادة محمد، الثورة التحريرية في منطقة سعيدة من خلال شهادات المجاهدين 1954م-1962م، دفاتر التاريخ المغربية، عدد 3، ديسمبر 1989م.
- شهادة تاريخية، 2011/02/27م.
- شهادة تاريخية، 2012/03/15م.
- شهادة تاريخية 2011/07/20م.
- عبد الملك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية 1954م-1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، 1983م.
- المجاهد، 1959/05/18م، العدد 43.
- المجاهد، 1959/06/14م، العدد 44.
- مصلحة البحوث والتوثيق : هجوم 20 أوت 1955م على الشمال القسنطيني . المصادر، العدد الثالث سنة 2000م، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
- Ferhat Abbas, Autopsie d'une guerre, Ed : Garnier Frères, Paris, 1980.
- HASSANI, ABDELKRIM ; Guérilla Sans Visage. Tome1. O.P.U 1988.
- OULD KABLIA,DAHO :Contribution Du M.A.L.G a la Lutte de Libération Nationale. In revue ELMASSADIR, Editée par le centre nationale d'études et de recherche sur le mouvement nationale et la révolution du 1er nov1954. Numéro 06, mars 2002.

Notes préliminaires sur le cadran solaire de la Grande Mosquée de Mascara, Algérie

FATHI JARRAY[158]

Dans le cadre de nos recherches sur les cadrans solaires et l'histoire de la gnomonique islamique nous avons repéré il y a presque deux années lors de notre visite en Algérie un cadran solaire scellé sur le minaret de la Grande mosquée de la ville de Mascara, très connue sous le nom de la mosquée de Mustapha ben Touhami[159]. Ainsi, dans une recherche précédente sur la mesure du temps au VIII^{ème}/XIV^{ème} siècle dans les deux villes de Tunis et de Tlemcen[160], nous avons montré l'utilité des comparaisons entre les cadrans solaires dans l'étude de l'évolution de la gnomonique islamique de deux territoires voisins.

---

[158]. Maître assistant de l'Université de Tunis et Chargé de Recherches à l'Institut National du Patrimoine.

[159]. Un grand merci à notre ami et collègue Oueddène Boughoufala, Vice-doyen de la Faculté des Lettres et des Scicences socilaes et humaies de Mascara, pour son accueil très chaleueux et pour son aide dans cette recherche.

[160]. Jarray (F.), «Mesurer le temps à Tunis et à Tlemcen au VIII^{ème}/XIV^{ème} siècle d'après l'étude des deux *mizwala*-s des deux villes», à paraître dans les *Actes du colloque international : L'Islam au Maghreb et le rôle de Tlemcen dans sa propagation*, Université de Tlemcen, 21-23 mars 2011. (à praître)

Les observations actuelles portent sur les caractéristiques de la gnomonique du cadran mentionné ci-dessus et un essai de sa datation et de rapprochement avec ses analogues et par rapport à la date de la fondation de son monument d'origine.

La Grande mosquée ou la mosquée de Mustapha ben Touhami à Mascara

Cette mosquée se trouve au centre de la ville de Mascara jouxtant Hammâm al-Barka et donne sur la place de Mustapha ben Touhami qui la sépare, du côté sud, de l'église fondée à l'époque coloniale.

D'après l'inscription historique appliquée sur la base de la coupole du mihrab, cette mosquée fut fondée par le Bey al-hâjj 'Uthmân ben Zayyân ben Ibrâhîm en **1162/1749**[161]. d'autres inscriptions y figurent toujours et commémorent les différentes interventions d'extension et de remaniement menées sur l'édifice.

D'après ses éléments de construction et son plan rectangulaire irrégulier allongé d'orientation nord-sud, il

[161]. Sur cette mosqué voir: Yayà Bû'zîz, 2004, p. 209; Ben Balla Khîra, 2008, p. 83, 150 et 294, et Belhâj Ma'rûf, Dahmânî Sabrîna, 2011, p. 225.

est certain que cette mosquée a connu certaines étapes depuis sa fondation jusqu'à nos jours. Sa salle de prière qui domine la quasi-totalité de son espace global dépassant les **1458** m^2, est actuellement composée de dix nefs et cinq travées. Selon l'agencement des arcades et la disposition des plafonds, elle était probablement moins spacieuse à l'origine et ne couvrait que cinq nefs et cinq travées. Quant à son minaret sur lequel le cadran est scellé, il est fort probable qu'il appartenait au monument d'origine et se trouvait dans son angle sud-est avant son intégration au sein des adjonctions ultérieures.

Au XIX^{ème} siècle et après la transformation de la mosquée de 'Ayn al-Baydhâ', la plus importante de la ville de Mascara, en un dépôt des denrées agricoles par la colonisation française, la mosquée de Mustapha ben Touhami est devenue la principale de la ville et joua des rôles primordiaux dans la résistance contre la politique de christianisation suivie par les Français surtout après la fondation d'une église monumentale en face de sa porte principale.

Le cadran solaire

Le cadran solaire de la Grande mosquée de Mascara est réalisé sur une plaque en marbre blanc de forme rectangulaire aménagée verticalement. Il est scellé sur la façade sud-est du minaret et inséré en toute harmonie au milieu d'un cadre ayant la forme d'un

arc décoratif polylobé et qui se répète avec les mêmes spécificités sur les quatre faces du minaret.

L'assemblage de ce cadran est simple et de type vertical très déclinant du matin basé sur neuf (9) lignes des heures équinoxiales rayonnant à partir d'un arc de cercle occupant la partie supérieure centrale du cadran où un gnomon métallique de type polaire fut percé et soutenu par un jambage. Les lignes horaires de la période matinale sont numérotées en chiffres romains V, VI, VII, VIII, IX, X, XI et XII.

De ce même cercle partent aussi les huit (8) lignes des demi-heures qui intercalent les lignes horaires avec la même forme et la même technique d'exécution. Tout comme le chiffrage, l'emploi de l'unité de 30 minutes sur l'assemblage de ce cadran ne figure que sur la période de la matinée. De l'heure la plus précoce 5h jusqu'à 11h, les lignes horaires sont relativement serrées et les chiffres sont mal placés[162].

Quant à l'emploi d'un gnomon métallique de type polaire, il s'explique aussi bien par le type de l'instrument,

[162]. Un grand merci à notre ami Denis Savoie, Chef du Département Astronomie/Astrophysique du Palais de la Découverte de Paris pour ses observations étant très utiles à l'étude de de ce cadran solaire.

cadran vertical très déclinant, que par son emplacement sur le monument et son orientation vers le sud-est.

Essai de datation et de rapprochement

De la comparaison des spécificités de ce cadran à d'autres exemples de la Méditerranée se dégagent plusieurs caractéristiques concernent l'assemblage, les unités de mesure du temps et le mode de fonctionnement et qui peuvent être d'une grande utilité pour la date de sa réalisation et sa mise en place sur le minaret de la Grande mosquée de Mascara.

À l'instar de la majorité des instruments de mesure du temps de ce type, la période couverte par la graduation de ce cadran solaire est répartie sur deux phases inégales: six (6) heures pour la phase matinale et deux (2) heures seulement pour l'après-midi. L'emploi de l'heure équinoxiale comme unité de mesure du temps est très connu sur les cadrans solaires depuis l'époque antique. Quant à la demi-heure, elle est devenue courante sur les cadrans solaires depuis le XVII^{ème} siècle en Europe, alors qu'en Monde islamique, ces unités n'ont substitué aux subdivisions de 60, 20 et 4 minutes qu'à partir de la deuxième moitié du XIX^{ème} siècle.

Historiquement, ce type de cadrans solaires est apparu au début du XX^{ème} siècle en Europe et s'est propagé dans l'Afrique du

Nord au cours de la colonisation française surtout dans les Eglises et les Grandes constructions avant de laisser la place à l'horloge mécanique. Le cadran solaire sujet de ces remarques ressemble beaucoup au cadran de l'Hôtel Gigault-De-Grisenoy à Paris, qui est aussi de type vertical déclinant du matin, soit dans l'assemblage, soit dans les unités de mesure du temps, soit même pour le type de son gnomon[163]. Le cadran parisien qui a pris la place d'un autre plus ancien lors des travaux de rénovation du dit hôtel, est daté, d'après Andrée Gotteland et Georges Camus, de l'année **1937**[164].

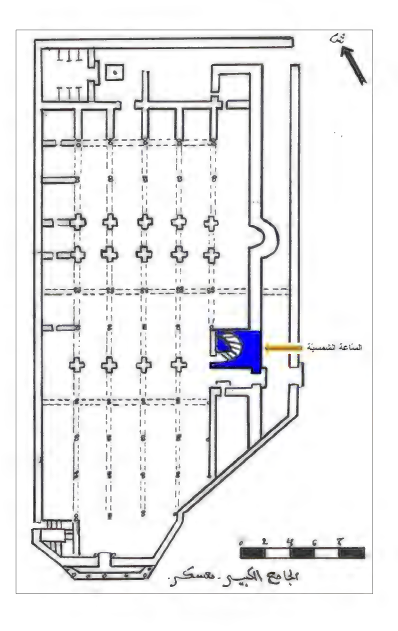
De ce fait, la date de réalisation du cadran solaire de la Grande mosquée de Mascara ne pourrait pas remonter au-delà du début du XX^{ème} siècle. Il est fort probable qu'il fut ajouté à la mosquée à l'époque coloniale française à une date indéterminée et fut scellé sur la face sud-est du minaret, à l'intérieur du cadre architectural inscrit dans un arc décoratif polylobé déjà préexistant sans aucune intervention d'aménagement pour la fixation de la plaque. Une recherche systématique dans la documentation relative à l'historique de l'édifice pourrait fournir des données fiables sur ses différentes étapes et sur la date de l'ajout de cet instrument.

---

[163]. Cet édifice se trouve au niveau du 16, rue des Quatre-Fils, 11ème Arrondissement de Paris.

[164]. Gotteland (A.) et Camus (G.), 1997, p. 58.

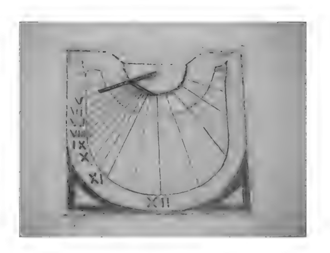
Annexe



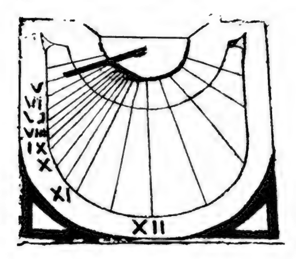
La Grande Mosquée de Mascara : emplacement du minaret et du cadran solaire



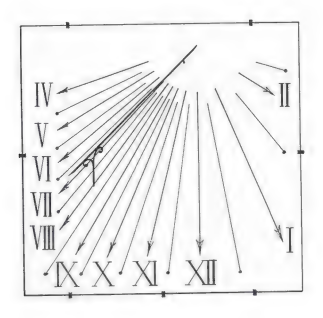
Le minaret de la mosquée et le cadran fixé sur sa face sud-est



La plaque du cadran solaire



Facsimilé du cadran solaire de la Grande Mosquée de Mascara



Facsimilé du cadran solaire de l'Hôtel Gigault-De-Grisenoy à Paris

Bibliographie

- Belhâj (Ma'rûf) et Dahmânî (Sabrîna), «al-Masâjid al-'uthmâniyya bi-l-gharb al-jzâ'irî: dirâsa tanmîtiyya», **Arab Historical Review Ottoman Studies**, n° 43, publication de **la Fondation TEMIMI des Recherches Scientifiques et des Informations**, 2011, p. 223-242.

- Ben Bella (Khîra), *al-Munsha'ât al-dîniyya bi-l-Jazâ'ir khilâl al-'ahd al-'uthmânî*, Thèse de Doctorat en Archéologie islamique, sous la direction de 'Abdelazîz La'raj, Université d'Alger, Institut d'Archéologie, 2008.

- Dr Leclerc, «Inscriptions Arabes de Mascara », *Revue Africaine*, T 4, O.P.U., Alger 1859, p. 42-46.

- Farrari (Gianni), *Le meridiane dell'antico Islam*, Modena, Italie, 2011.

- Gotteland (A.) et Camus (G.), *Cadrans solaires de Paris*, Paris, 1997.

- Jarray (Fathi), «Les cadrans solaires islamiques de Tunisie : essai de typologie préliminaire», Actes du colloque *Safranbolu Saat Kulesi ve Zaman Ölçerler Sempozyumu*, Karabük Üniversitesi, Fen Edebiyat Fakültesi, Turquie, 2011, p. 155-200.

-

array (Fathi), «Mesurer le temps à Tunis et à Tlemcen au VIII^{ème}/XIV^{ème} siècle d'après l'étude des deux *mizwala*-s des deux villes», à paraître dans les *Actes du colloque international : L'Islam au Maghreb et le rôle de Tlemcen dans sa propagation*, Université de Tlemcen, 21-23 mars 2011.

- Jarray (Fathi), *Mesurer le temps en Tunisie à travers l'histoire*, Catalogue d'Exposition présentée par la Cité des Sciences, Tunis, 2013.

- King (David), «Astronomie et société musulmane : *qibla*, gnomonique, *mîqât*», *Histoire des sciences arabes*, sous la direction Roshdi Rashed, éditions du Seuil, Paris, 1997.

- King (David), «Mizwala», *E.I.*^{2}, t. VII, 1993, p. 211-213.

- Mouloud (Gaïd), *L'Algérie sous les Turcs*, Alger, 1991.

- Mubârik (Mhîras), *al-Masâjid al-'uthmâniyya bi-Wahrân wa M'askar*, DEA, Département d'Archéologie, Institut des Sciences sociales, Université d'Alger, 1982.

- Savoie (Denis), *La Gnomonique*, Les Belles Lettres, Paris, 2007.

- Savoie (Denis), *Les cadrans solaires*, 2003, Paris.

- Yayà (Bû'zîz), *al-Masâjid al-'atîqa bi-l-gharb al-jazâ'irî*, Alger, 2004.

المحتويات

	عنوان المقال	الكاتب	
01	معسكر وأحوازها في العصر الوسيط من خلال المصادر الجغرافية العربية	أ.عبيد بوداود	5
02	موقف علماء معسكر من بعض القضايا السياسية للجزائر خلال العهد العثماني	د. محمد بوشنافي	13
03	الثورة الفرنسية الكبرى عند علماء معسكر أحمد بن سحنون الراشدي نموذجا	د.ودان بوغفالة	29
04	"نبأ الإيوان" لأبي راس الناصري المعسكري الجزائري مصدر جديد حول القيروان	د. محمد علي الحبيب	49
05	الحقيقة والمجاز في الرحلة إلى الحجاز تأليف الشيخ العربي بن عبد الله المعسكري عرض وتقديم	د.حبيب بوزوادة	95
06	السردية عند أبي راس الناصري من خلال سيرته الذاتية "فتح الإله"	د.يوسف ولد النبية	119
07	أعيان من أشراف منطقة غريس بمعسكر من خلال كتاب عقد الجمان النفيس	أ.العربي لخضر	137
08	الأنساب في منطقة غريس: عرض ببليوغرافي	الباحثة سمية مصدق	157
09	خزانات المساجد الكبرى في الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي- خزانة المسجد الكبير بمعسكر أنموذجا	د. علي بشير بلمهدي	179

191	د. بن عتو بلبروات.	وقائع الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر وأحوازها مابين 1835-1842	10
213	د. عابد سلطانة	قبائل معسكر ودورها في دعم مقاومة الأمير عبد القادر من خلال مراسلات القنصل دوما 1837-1839	11
221	د. جيلالي بلوفة عبد القادر	المنظمة الخاصة في منطقة معسكر من التفكيك إلى إعادة التأسيس	12
235	د.عدة بن داهة	مقتطفات من مساهمة معسكر في مجهود ثورة أول نوفمبر 1954	13
251	د. طاعة سعد	الإمداد والتموين في المنطقة السادسة بالولاية الخامسة ما بين 1954-1962م من خلال الشهادات الشفوية.	14
265	Dr. FATHI JARRAY	Notes préliminaires sur le cadran solaire de la Grande Mosquée de Mascara, Algérie	15

-

Mascara
Société et Histoire

Publications du laboratoire des recherches sociologiques et historiques

Sous la direction de Pr BOUDAOUD Abid

Directeur du laboratoire des recherches sociologiques et historiques

الإيداع القانوني 2904-2014

9 789947 650141

طباعة

مكتبة الرشاد للطباعة والنشر - الجزائر

شارع السكة الحديدية/ سيدي بلعباس/ الجزائر

الهاتف والفاكس: 048 54 66 07

الهاتف: 040 41 17 96

المحمول: 07 73 394265